

شرح حكم بخط صالحي

لشيخنا العلامة الشيخ شهاب الدين ... رضي الله عنه
كتبه على حجر قيل انه من حجارة الكعبة ...
وجه لوجه الله قلبا خاشعا مستقبلا ... علت ...
وبابدا ... عين منه تمتني ان لم تريه لهذه ...

... من قدر ان يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل
... عيوب الناس شيا كنقص القادرين على الكمال

... الحضارمة قوم من العجم خرجوا في بدو الاسلام
... سكنوا الشام الواحد حضرمي بالكسر قاموس

... بالكسر العهد والقوم والصداقة والصديق
... لصاحبه ان لا يغدر به قاموس

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهبا لكان البايع المغبونا
اوما من الخسران انك اخذ ذهبا وتترك جوهرا مكنونا

تعريف المحال اشريك الباري وولد الباري واجتماع الضدين وانقلاب الحقايق

... ترك ... بالجهد قال ابو العباس يعني ثعلب قال قيل لاعرابي ... ما اطول ... فقال تركت الجهد وبقيت في كتابه

لا تقطع الرجا ممن لا يرد من سأل

تنبيه الرذائل بالفضائل من الاخلاق الناصري

... ان الحكمة ربما تعقبت لاجل الجاه والحشمة لكانت ... كثيرا من اهل الجدل والمناظرة ياخذون مسائلها
... تقليدا لا ايقانا وتحقيقا يبحثون عنها ولا يتفقون بها لانهم ليسوا على يقين منها ترى احدهم ينطق بالحكمة
... خالية عنها يعجب الناس بفصاحته ويعجز الفطن بوقاحته فاذا راى القاصر حسن تقريره وجزالة لفظه
... فطنه عالما نحريرا وهو لا يكون الا مكثارا مهذارا يتقولون بافواههم ما ليس في عقولهم يتحرزون بالقيل والقال
... الزام الخصم على اي حال قال النبي عليه السلام من طلب العلم ليجاري به العلما او ليماري به السفها ويصرف به
... الناس اليه ادخله الله النار وقال من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا
... لم يجد عرف الجنة يوم القيمة من الاخلاق الناصري

... قال رسول الله صلى الله ...
... سبحانه ...
... لا الفقير

شرح الحكم للنفري

من الحكم ابو الحسن البسطامي قال

راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الكلام وراحة العقل في قلة الاهتمام وقال اجتنب ثلثة وعليك باربعة ولا حاجة الى الطبيب اجتنب الغبار والدخان والنتن وعليك بالحلواء والدسم والحمام والطيب مع الاقتصاد وقال عمي القلب داء لا دواء له

محمد بن جابر البناني كدورة العمر في الجار السوء والولد العاق والمرأة السيئة الخلق وقال اشياء لا يستقل قليلها الدين والنار والعدو والمرض

ابو الحسن علي اليسوي بالهمة العلية الصادقة ينال المرء مطلوبه لا بالكد وقال كن صاحب صناعة ولا تكن ذا آفات

قال الذواق للشيخ في الرسالة

ابو عبد الله المعصومي ليس لمتكبر مادح ولا للملك ... ولا للغدار حبيب

... المتقول ... ظالم استقامة ملك ... المشايخ ... السلطان

تعالى ... فضل ... على ...

وعلى الطائفة ...

وفي عصيت لله في سري وجهري

واصر على الذنوب ولا ابالي

امري المحشر

فكيف يكون يوم لله حالي

وكيف يكون عند الله حالي

وفي ... الحساب ... تظهرني

... بالحساب اشمالي

اوتي كتابي ام بيميني ام شمالي

الا يا رب فاغفر لي ذنوبي

وصير منزلي دار الجمال

٤٦٥

قال سهل بن عبد الله التستري ...

في صفوة الصفوة لابن الجوزي

ملكه الفقير الى الله تعالى عبد اللطيف ابن ... سنة ٩٧٦

ذا رجل محمد بن الحنفية فقال اني اجد غما لا اجد له سببا وقد ضاق قلبي فقال محمد غم لم تعرف له سببا عقوبة ذنب فعله قال ما معنى ذلك قال ان القلب يهم بالمعصية ولا تساعده الجوارح فيعاقب بالغم دون الجوارح ... وله خمس وستون سنة ولا ... في هذا ... ابو بكر رضي الله عنه من الرسالة

الباب

كنية ابو ربيع ويقال له رحمن الهدود ... بلون الحباب يضرب لمن لا ينبت على ... فان ... قبل الاقدام عليه في ... ويقال فلان يتلون بلون الحرباء يضرب لمن يخرج من ...

منلا جامي

اعيان همه شيشه هاى گونا گون بود

کافتاد بران پرتو خورشيد وجود

هر شيشه که بود سرخ يا زرد وکبود

خورشيد دران هم بهمان رنگ نمود

في علاج الصرع

يؤخذ افيون وعاقرقرحا واسطوخودوس ... ويعجن بزيت طائفي ويبتدا ... مثل الحمصة فانه يرفع الصرع في ذلك المجموع من ...

حكاية كثيرة من المشايخ في حق السماع من رسالة القشيري

قيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابنا صغيرا فارادوا ان يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فتوافقوا على ان ياتوا بقوال يقول شيئا فان حسن الصفاء علموا الكياسة فاتوا بقوال فلما قال القوال شيئا ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه من الرسالة المرغوبة

... العلماء ان كانت لشخص
... ان العلم نفسان

شرح الحكم النفزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال، الموحد باستحقاق نعوت الكمال، المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال، المقدس عن سمات الحدوث من التغيير والانتقال، والاتصال والانفصال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والصلوة على سيدنا محمد الهادي من الضلال، وعلى آله واصحابه الذين خلصت لهم الاعمال، وصفت لهم الاحوال، وعلى جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخصال، وسلم كثيرا اما بعد فانا لما راينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولي ابي الفضل تاج الدين احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري رضه ونفعنا به من افضل ما صنف في علوم التوحيد، واجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد، لكونه صغير الجرم، عظيم العلم، ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة، قصد فيها الى ايضاح طرقات العارفين والموحدين، وابانة مناهج السالكين والمتجردين، اخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهره، وكالكشف

للمعة يسيرة من انواره الباهره، ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما يشتمل عليه الكتاب، وما تضمنه من لباب الالباب، لان كلام الاولياء والعلماء منطو على اسرار مصونة، وجواهر حكم مكنونة، لا يكشفها الا هم، ولا تتبين حقايقها الا بالتلقي عنهم، ونحن في هذه الكلمات التي نوردها، والمناجي التي نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المولف، ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة مراده حسبما يفعله كل مصنف، فانا ان ادعينا ذلك كان منا اساءة ادب، يوول بنا والعياذ بالله الى العطب، وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر، في تعاطي ما لا يليق بنا من شرح كلام السادات من اهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر، وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم، وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم، فان وافقنا فيه حقيقة الامر، وعثرنا على مكنون السر، كان ذلك من النعم التي لا نحصي لها شكرا، ولا نقدر لها قدرا، وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك، احلناه على نقصنا وجهلنا، وانتفى عنا التغرير بقولنا وفعلنا، واقتصر الامر في ذلك علينا، وكانوا هم مبرئين مما قلنا ونوينا، فلا جرم اذ كان هذا مقصدنا، لوجود السلامة التي جعلناها معتمدنا، فينبغي لنا ان نقدم اولا كلام المولف رحمه الله مستوفى، ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى، ونأتي فيه بعبارة ابسط من عبارته

يشتمل

واشارة اجلى من اشارته • ليفهم بذلك ما عندنا في تفسير ما ذكره
لانه تفسيره حقيقة مقرره • ونذكر في اثنائه كثيرا مما ناسب عندي
الكلام المنبه عليه • لتتم بذلك الفائدة في الغرض المتوجه اليه •
وما ظهر لنا في كلامه من تكرار معان • وتداخل فروع ومبان •
راينا التنبيه عليه كالفرض • واحلنا بعضه على بعض • وعلى الناسخ
لهذا المجموع ان يتبع فيه ما رسمناه • ويكتب نص كلام المولف بصبغ
يخالف كونه لون ما يكتب به سواه • او يكتبهما بقلمين مختلفين
في الغلظ والرقه • ويوفي في ذلك كلا منهما حقه • ليكون ذلك
اقرب الى حصول المرام • في استخراج فائدة ترتيب الكلام •
والله الموفق لارب غيره • ولا خير الا خيره • والذي حملني على
وضعه • وتكلف تصنيفه وجمعه • بعد تقدم ارادة الله تع التي لا تغلب
وتقديره الذي ليس للعبد منه منجى ولا مهرب • ثم الراي الذي ابناه
من المطالب المهمه • ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمه • الحاح
بعض الاصحاب في ذلك علي • وترداد هم بالمسئلة الي • لكونهم
على اعتقاد صحيح في هذه الطريقه • ومحبة خالصة لاهل الحقيقه •
فاسعفتهم بما طلبوه • وحققت لهم الامل في ما رغبوه • كما شاء
الله تع وحكم • وقضى به علينا وحتم • نفعنا الله واياهم بما يجري منه
على ايدينا • ولا جعله حجة عليهم ولا علينا • ونحن نستغفر الله تع
مما تعاطيناه من الامر العظيم • واقتحمناه من الخطر الجسيم •

بالمسألة

ونستعيذه

ونستعيذه من الوقوع في حبائل العدو الرجيم • ونساله توفيقا
يوقفنا على جادة الاستقامه • ويصرفنا عن العمل بما يعقب
ملامة وندامه • ونرجوه مع هذا ان يمن علينا بالانتماء الى مذاهبهم
والانتساب الى كريم مناسبهم • والتعلق باذيالهم • ومحاولة
النسج على منوالهم • ورزقنا شيئا من تعظيمهم وحبهم • وقسطا من
تكريمهم وبرهم • ان لا يحرمنا من شفاعتهم • ولا يخرجنا من كنف
ولايتهم • ولا يطردنا عن بابهم الكريم • ولا يصرفنا عن منهجهم القويم •
فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم • شعر • لي سادة من عزهم
اقدامهم فوق الجباه •• ان لم اكن منهم فلي • في ذكرهم عز وجاه ••
اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم فبحبك
اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بحظ
منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا ارحم الراحمين • وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين • وعلى آله الطيبين الطاهرين • وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين • وسلم عليهم كثيرا • وهذا حين ابتدي وبالله التوفيق
والهداية الى سواء الطريق • قال المولف رضي الله عنه

من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل

اقول الاعتماد على الله تع نعت العارفين الموحدين والاعتماد
على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير
حتى علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارفون الموحدون فانهم

[illegible]

على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن انفسهم
فاذا وقعوا في زلة او اصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تع لهم
وجريان قضائه عليهم كما انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح عليهم لايح
من يقظة لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم
لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم وانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره
وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين
لانهم غرقى في بحر التوحيد فقد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص
من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما ياتون به
من الاحسان قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد
تولى الله امرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم
يروا انفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل لم
يشاهدوا غيره في الشدة والرخا فقيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم
هيبتهم ورجاؤهم الانس به انتهى واما غيرهم فبقوا مع انفسهم في
نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على اعمالهم
وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم
كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم
فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقتهم بها عن رب الارباب
فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد
طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة

نجار

اصحاب اليمين وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ
ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضه قال عارضني
بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك الا
ان تتوب فقلت مجيبا لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها
على اني انجو بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين
لي لبعتهما زهادة مني فيهما لاني ان كنت عند الله في علم الغيب
سعيدا مقبولا لم اتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت
عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي واخلاصي وصدقي وان
الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه وهداني لدينه
الذي ارتضاه لنفسه فقال عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله
وكرمه اولى بي ان كنت حرا عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة
وصفاتي المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه بافعالنا من قلة
المعرفة بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية وامثالها ربما
تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريقة القوم فينكر معناها ولا
يعتقده او يسلمه. ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية
بصاحبها الى حزن وخطر فليتق الله تع عبد ليس له بصر في هذه
الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والاولياء
وفي ذلك بعده من الله تع او يدعيه مقاما لنفسه من غير ان

يستظهر عليها او يتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الله تع ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من ابواب الزندقة والعياذ بالله **ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية** الاسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تع في الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تع به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تع بكونه على حال هي اعلى بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تع واقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك وان يحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه وقطعا لطمعه عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تع في التجريد واراد الخروج

منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وتسواد به وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع اقام الحق تع فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا اقامه الحق تع مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال ابو عبد الله القرشي رضه من لم يانف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيبة في وقت التجرد وصفاء قلبه ووجدان راحة من ملابسة الخلق ومحى لطمعهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت باداينها قال الشاعر

وقايلة لم علتك الهموم ۔ وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي ۔ فان الهموم بقدر الهمم

وقال اخر ۔ اذا عطشتك اكف اللئام ۔ كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى ۔ وهامة همته في الثريا

وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شي مهمة مما تقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول النتايج والله اعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال باثره وافهم رحمك

الله ان من شان العدو ان ياتيك فيما انت فيه مما اقامك
الحق فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما اقامك الحق فيه فيتشوش
عليك قلبك ويتكدر وقتك وذلك انه ياتي للمتسببين فيقول
لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت
منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون
هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه في الاسباب
فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب
من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك
وذلك قصد العدو منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح كما اتى
ابويك فيما اخبر الله عز وجل عنه وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن
الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك ياتي المتجردين ويقول لهم الى متى
تتركون الاسباب الم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه القلوب
الى ما في ايدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنك الاسعاف والايثار
ولا القيام بالحقوق وعوض ما يكون منتظرا ما يفتح به عليك
من الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح عليه
منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط
نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى
الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم في

سببه احسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها
ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان
يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وان يخرجهم عن مختار الله
لهم الى مختارهم لانفسهم وما ادخلك الله فيه تولى اعانتك عليه
وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليك وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا فالمدخل الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج ايضا كذلك
فافهم والذي يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى
يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك كما تولى ادخالك
وليس الشان ان تترك السبب بل الشان ان يتركك السبب
قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب
فلم اعد اليه ودخلت على الشيخ رضه وفي نفسي العزم على التجريد
قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال
بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير ان اساله ممتنع صح
صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من
هذه الطريقة شيئا فجاء الي وقال يا سيدي نخرج عما انا فيه
ونتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشان ذا ولكن امكث فيما
انت فيه وما قسم الله لك على ايدينا فهو اليك واصل ثم قال

الشيخ ونظر الي وهكذا شان الصديقين لا يخرجون من شيء حتى
يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد
غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى
ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم
انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما اثبتناه
ههنا على طوله لانه تولى فيه بيان المسئلة التي ذكرها في هذا الكتاب
بنفسه بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو ان جميع مسائله تكون
هكذا **سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار** الهمم السوابق هي قوى
النفس التي ينفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تع وتسميها
الصوفية همة فيقولون احال فلان بهمته على امر ما فانفعل له ذلك
وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى
قولنا باذن الله تع فهي على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق اسوار
الاقدار ولا تنقدها وهذه الهمم قد تكون للاولياء كرامة وقد تكون
لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعاين والساحر وقد ثبت ان
العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك انه يجب
ان يعتقد انها اسباب لا تاثير لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله تع
وحده عندها لا بها فكان المولف رحمه الله انما اورد هذه المسئلة
بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير لا
جدوى له ولا فائدة لان همة الفعالة اذا لم تقدر على خرق اسوار

الاقدار شيئا كيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول
لا ينبغي ان يتشاغل به ويتعب فيه ذووا العقول ولذلك قال
ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك
تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذي يقوله مذموم لان الله تع
قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا قلوبهم منه
ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو ان يقدر
العبد لنفسه شؤونا يكون عليها من امر دنياه على ما تقتضيه
شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من احوال واعمال ويستعد
لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل
اكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية
ومضادة احكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر
ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده واسبابه قال
سهل بن عبد الله رضه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على
الناس عيشهم وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضه ان كان ولا
بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وهذه المسئلة اساس
طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل وعريض
وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المولف
رحمه الله افرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير
احسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر بحيث يستغني به عما

صنف في هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد
لحبيب اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك
دليل على انطماس البصيرة منك الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي
يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله تع
تكفل بذلك وفرغ للعباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي
فيه ولا الاهتمام له والشيء المطلوب من العبد هو العمل الذي يوصل
به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تع من عبادات وطاعات
ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه
ومراعاة شروطه واسبابه واوقاته بهذا جرت سنة الله تع في عباده
قال الله تع في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وقال تع في المعنى الثاني الذي طلبه منه
وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روي في بعض الآثار عن الله تعالى
عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في بعض
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يشرفون
المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم
وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون
ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل
المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي
من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال

ابرهيم الخواص رض العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا
تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي
ذكرناه من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وتفريغ القلب من
الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور الحق
في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس
البصيرة اعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب
كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة
للمتقين فالتقوى هي التي يجب على العبد ان يجتهد فيها لا غير
وتعبير المولف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بان طلب الرزق
من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح
ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن
به تقصير فيما امر به قال في التنوير في قوله تع وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك اي قم بخدمتنا ونحن
نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه وشيء
طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم
جهله واتسعت غفلته وقلما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد
ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق اهل
الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود اذا كان سبحانه قد اجرى رزقه
على اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان فقد

علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اى مضمون لك
منها ما يقوم باودك والاخرة مطلوبة منك اى العمل لها لقوله
سبحانه وتع وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك
عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك
بما طلب منك من امر الاخرة حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا
الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن لنا الاخرة وطلب منا الدنيا
لا يكن تاخير امد العطا مع الالحاح فى الدعا موجبا ليا سك
فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي
الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذي تريد حكم العبد ان لا
يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له
لانه جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ
وهو شر له قال سيدي ابو الحسن رض لا تختر من امرك
شيئا واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن
كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشآء ويختار ودخل رجل
على سيدى ابي العباس المرسي رض وا لما به فقال ذلك
الرجل عافاك الله يا سيدى فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك
ساعة وقال تع يعافيك يا سيدى فقال الشيخ ابو العباس
وانا ما سالت الله العافية قد سالته العافية والذى انا فيه هو
العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال العافية وقد قال

الصديق

ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فالآن قد قطعت ابهري ابو بكر
رض سال الله العافية وبعد ذلك مات مسموما عمر رض سال
الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رض سال الله العافية
وبعد ذلك مات مذبوحا علي رض سال الله العافية وبعد ذلك
مات مقتولا فاذا سالت الله تع العافية فاساله العافية من
حيث يعلمها لك انها عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه الى
مولاه ويعتقد ان الخيرة له فى جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك
مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى ان له فيه
مصلحة اليقن بالاجابة لها لا محاله قال الله عز وجل وقال ربكم ادعونى
استجب لكم وقال عز من قائل واذا سالك عبادى عنى فانى
قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعانى وعن جابر بن عبد الله رض
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد يدعو بدعا
الا آتاه الله ما سال او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او
قطيعة رحم وعن انس رض عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو
الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها سوءا او حط من ذنوبه
بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فاذن الاجابة المطلقة حاصلة
لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا ان الاجابة امرها
الى الله تع يجعلها متى يشآء وقد يكون المنع وتاخر العطاء اجابة
وعطاء لمن فهم عن الله تع فى ذلك فلم ييائس العبد من فضل الله

اذا رای منعا او تاخیرا وان الح فی دعائه وسواله وقد یکون تاخیر
ذلک الی الاخرة خیر له فقد جاء فی بعض الاخبار یبعث عبد فیقول
الله له الم امرک برفع حوائجک الی فیقول نعم وقد رفعتها الیک
فیقول الله تع ما سالت شیئا الا اجبتک فیه لکن نجزت البعض
فی الدنیا وما لم انجزه فی الدنیا فهو مدخر لک فخذه الآن حتی یقول
ذلک العبد لیته لم تقض لی حاجة فی الدنیا وقد ورد عن رسول
الله صلی الله علیه وسلم معنی النهی عن الاستعجال فی اجابة الدعاء
فی قوله یستجاب لاحدکم ما لم یعجل فیقول دعوت فلم یستجب لی
وقد دعا موسی وهرون علیهما السلام علی فرعون کما اخبر الله تع
به عنهما حیث قال ربنا اطمس علی اموالهم واشدد علی قلوبهم فلا یومنوا
حتی یروا العذاب الالیم ثم اخبر انه اجاب دعاهما فی قوله سبحانه وتع
قد اجیبت دعوتکما فاستقیما ولا تتبعان سبیل الذین لا یعلمون
فقالوا فکان بین قول الله تع لهما قد اجیبت دعوتکما وهلاک
فرعون اربعون سنة وقال سیدی ابو الحسن رض فی قوله
سبحانه فاستقیما ای علی عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبیل
الذین لا یعلمون هم الذین یستعجلون الاجابة وناهیک شرفا
وحظا ما یحصل له بسبب مداومة الدعاء من اللطف لمحبة الله تع له
وموافقة رضاه فقد روی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال ان
الله یحب الملحین فی الدعاء وقد جاء فی الحدیث قال جبریل علیه

السلام یا رب عبدک فلان اقض له حاجته فیقول عز وجل دعوا
عبدی فانی احب ان اسمع صوته رواه انس بن مالک عن رسول
الله صلی الله علیه وسلم ومقتضی هذا ان من الناس من یعجل الله له نوال
حاجته لکراهة صوته وقد روی هذا المعنی ایضا منصوصا فلیکن
العبد خایفا من ذلک عند تعجیل اجابة دعائه قال ابو محمد عبد العزیز
المهدوی رض کل من لم یکن فی دعائه تارکا لاختیاره وراضیا
باختیار الحق فهو مستدرج وهو ممن قیل له اقض حاجته فانی
اکره ان اسمع صوته فاذا کان فی دعائه مع اختیار الحق تع لا مع
اختیار نفسه کان مجابا وان لم یعط والاعمال بخواتمها انتهی وقد
تکون الاجابة مرتبة علی شروط لا علم للداعی بها لعدم وقوع ذلک
او بعضه وذلک مثل وجود الاضطرار قال تع امن یجیب المضطر
اذا دعاه فرتب الاجابة علی الاضطرار وقال بعض العارفین اذا
اراد الله تع ان یستجیب دعاء عبد رزقه الاضطرار فی الدعاء والاضطرار
لا یتحقق العبد من نفسه فی جمیع حالاته قال بعضهم المضطر الذی
اذا رفع الی الله یدیه لم یر لنفسه عملا وهذا حال شریف ومقام منیف
یعز علی اکثر الناس الوصول الیه فکیف یتحقق ما ینبنی علیه والمسئلة
تاتی باثر هذا تنبیه علی هذا المعنی لا یشککنک فی الوعد عدم وقوع
الموعود به وان تعین زمنه لئلا یکون ذلک قدحا فی بصیرتک واخمادا
لنور سریرتک الحق سبحانه لا یخلف المیعاد لمن وعده مولاه

شيئا وان كان معيّن الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي
ان يشككه ذلك في صدق وعد ربه ويجوز ان يكون وقوع ذلك الوعد
معلقا على اسباب وشروط استاثر الحق تع بعلمها دون العبد فعلى العبد
ان يعرف قدره ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن
اليه ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا
الوصف فهو عارف بالله تع سالم البصيرة منوّر السريرة والا فعلى
العكس اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه
ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف
هو مورده عليك والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه
مما هو مورده عليك معرفة الله تع هي غاية المطالب ونهاية الآمال
والمآرب فاذا واجه الله تع عبده ببعض اسبابها وفتح له باب التعرف
له منها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي ان لا يكترث بما يفوته بسبب
ذلك من اعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك
به مسلك الخاصة المقربين المودي الى حقايق التوحيد واليقين من
غير اكتساب من العبد ولا تعمّل والاعمال التي من شانها ان يتلبس بها
هي باكتسابه وتعمله فلا تسلم من دخول الافات عليها والمطالبة بوجود
الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما امله من الثواب عند مناقشة الحساب
واين احدهما من الاخر مثاله ما يصاب به الانسان من البلايا
والشدايد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير اعمال البر

وادجد سكينة وطمانينة فيهما م

بيربه

11

فان مراده ان يستمر بقاوه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون
حاله في طلب سعادة الاخرة حال المترفهين المتودعين فلا تسخو نفسه
الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه
لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله منه ان يطهره من اخلاقه اللئيمة
ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من اسر وجوده الى
متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال
والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله
حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة
فاذا فهم هذا علم ان اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه
ومراده لها وقد روي ان الله تع اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدي
بلائي فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك
من شيء به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني
الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه ويستانف العمل وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة
رض يقول قال الله تبارك وتع ابتلي عبدي المومن فاذا لم يشك الى
عواده حللت عنه عقدي وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
ثم قلت له استانف العمل قال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي رض ولقد
مرضت في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تع منها مثلت في

نعني ما دبر الله تع لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة
الثقلين في قدر ايام علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين ان
يكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها الي ايهما اميل اختيارا فصح عزمي
ودام يقيني ووقعت بصيرتي ان مختار الله تع لي اكثر شرفا واعظم
اجرا وانفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي ولا شوب فيه اذ كان فعله
فشتان ما بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رايت هذا
دق في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما اتاني فصارت
العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار
الامل عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يسيرون في البلا على طيب
النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف لي كانوا يفرحون بالبلا انتهى وهذه
هي وجهة التعرف التي فتحها الله تع له وحصلت له الغبطة بها وآثرها
على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اورد الله تع على العبد شيئا فليستشعر
ما ذكرناه وليجعله نصب عينه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من
السكون والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجد
حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط به فيرى من حق شكره ان ياتي بما امكنه من اعمال بره
واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسئلة بالحكاية التي ذكرها ابو العباس
بن العريف رحمه الله في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك
الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابا الخيار

من البلايا

طريق

رحمه الله ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز
سنه التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد
واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك يوجد منه على مسافة بعيدة
قال الذي حدثني رايته يصلي على الماء ثم لقيت بعده محمد الاصبهاني
فاذا هو ابرص فقلت له يا سيدي كان الله تع لم يجد للبلا محلا
من اعدائه حتى انزله بكم وانتم خاصة اوليائه قال فقال لي اسكت لا
تقل كذلك انه لما اشرفنا على خزائن العطايا لم نجد عند الله شيا اشرف
ولا اقرب اليه من البلا فسالناه اياه وكيف بك لو رايت سيد
الزهاد وقطب العباد وامام الاوليا والاوتاد في غار بارض
طرسوس وجبالها ولحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا وقد
احاط به الذباب والنمل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما اعطاه من
الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل
القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر انتهى وسياتي شي من كلام المولف
رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق **تنوع اجناس
الاعمال لتنوع واردات الاحوال** واردات الاحوال هي ما ترد على
القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهي توجب لها
احوالا حميدة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب انسا
ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يقتضي بسطا الى غير ذلك
من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات ايضا متنوعة

فاذا كان الليل

كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه الواردات ايضا متنوعة
والاعمال الظاهرات ابدا تبع لاحوال القلب الباطنة كما سيقوله
المولف بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال **الاعمال**
صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها اخلاص كل عبد في
اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما من كان منهم من الابرار فمنتهى
درجة اخلاصه ان تكون اعماله سالمة من الريا الجلي والخفي وقصد
موافقة الهوا النفسي طلبا لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب
وحسن المآب وهربا عما اوعد به المخلطين من اليم العذاب وسوء
الحساب وهذا من التحقق بمعنى قوله تع اياك نعبد اي لا نعبد الا
اياك ولا نشرك في عبادتك غيرك وحاصل امره اخراج الخلق
عن نظره في اعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد
عليها واما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم
رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى
بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا او قوة ويعبر
عن هذا المقام بالصدق الذي به يصح مقام الاخلاص وصاحب
هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله
واياك نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا
فعمل الاول هو العمل لله وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب
المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة

سم
هذه

والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله
نعت كل قاصد والعمل لله قيام باحكام الظواهر والعمل بالله قيام
بالضمائر وهذه العبارات للامام ابي القسم القشيري رضه وبها
يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما في الشرف والجلالة فاخلاص
كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حيوتها وصلاحيتها
للتقرب بها وتكون فيها اهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك
يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك
اشباحا بلا ارواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك
بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة **ادفن وجودك**
في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه لا شيء اضر على المريدين
الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من اعظم حظوظ النفس التي هو مامور
بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من
الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو
مطالب بها قال ابرهيم بن ادهم رضه ما صدق الله من احب الشهرة
وقال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست ارواحهم المزابل
وقال ايوب السختياني والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر
بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث رضه اوصني فقال اخمل ذكرك وطب
مطعمك وقال بشر رضه ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب
دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه

السختياني

الناس وقال الفضيل رض بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما
يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك ثم ان محبة
الاشتهار مما تقدح في اخلاص العبد لانه بذلك لا ينفك عن الاغراض
التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق فتدعوه نفسه الى ذلك دعا
خفيا فيصبغ عمله بالريا اصبا غا لا يتفطن له كما سياتي عند قوله
وربما دخل الريا عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققه بوصف
الخمول تحقق له مقام الاخلاص حتى تخلص بذلك من روية اخلاصه
وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله تعالى وان
الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشياء في الوجود
قيل لسهل بن عبد الله رض اي شي اشد على النفس قال الاخلاص لانه
ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رض اعز شي في الدنيا
الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط الريا عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون
اخر وقال الشيخ ابو طالب رض والاخلاص عند المخلصين اخراج
الخلق من معاملة الخالق واول الخلق النفس والاخلاص عند
المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالعة العوض
وتشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن
النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال
انتهى فاذا اخمل العبد نفسه والزمها التواضع والمذلة واستمر على
ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لمذلته طمعا

ذكره
على اختلاف مراتبه
لانه اما سقوط الخاكم
عن النظر اليهم او سقوط
النفس عن النظر اليها
ولا يتنشق جميع ذلك للمريد
الا بالخمول او سقوط المنزلة
عند نفسه وعند الناس
لانه ان لم يكن بهذا الحيثية
لا ينفك م
اهـ

نسخة
الوجود

فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه اعلا
درجات الخصوصية ويحصل على اوفر نصيب من المحبة الحقيقية
قال الشيخ ابو طالب رض ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد
لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فبهذا لا
يكره الذم من الخلق لوجدان النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم
لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا
تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح هما صنعتان
له كساير الصنايع وربما فخر وابهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية
عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا
مقام محمود وبعده المكاشفات بسراير الغيوب ثم قال ومن
كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر
العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه
لفراق حاله كما ان المتعزز ان فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه
لان ذلك عيش نفسه انتهى فاذن لابد للمريد من اسقاط جاهه
واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه امورا مباحة
تسقطه من اعين الناس كقصة السايح الذي سمع به ملك زمانه
فجاء اليه فلما علم به ذلك السائح استدعى بقلا وجعل ياكله اكلا عنيفا
بمرأى من الملك فلما راه الملك على تلك الحال استحقره واستصغره
وانصرف عنه ذاما له وسياتي نص هذه القضية بعد هذا عند قوله

بعض

ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ ائمة الصوفية
في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلب حتى استعملوا في ذلك
اشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جايزا لهم ان يفعلوه ويأمروا
به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب
الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى
ويظن به السرقة فلما رأوه اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه
واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه
ومثل ما يروى عن ابي يزيد رضي في قصة الشاهد الذي امره بحلق
راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه من ذلك
لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحال في المحافل
والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي
رضي قال قال بعض المصنفين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام
حلال ان يسيغها بجرعة من خمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع
به ولا يفوته الا حيوة فانية فلأن يجوز مثل هذا اذا تعين اولى
اذ يفوته بذلك الحيوة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم
العبد هذه الطرق من الرياضة ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب
من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك
الثمرة اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كالصفات
الذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي انبتها الله تعالى في قلوب عباده

المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى
عليه السلام لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عليه
السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة
احاديث كثيرة منها ما رواه ابو امامة رضي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان اغبط اوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ
ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر
على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه
وفي حديث ابي هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو
اقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان يسيرا من الريا شرك وان من عادى
اولياء الله فقد بادى الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفيا الاتقيا
الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا
قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى ابو هريرة
رضي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم
اويس القرني واشار بذكره ونبه على عظم امره رضي انه قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه اذ قال

سمعة فاقتصر

بالكسر الثوب الخلق

نبا الشيء عنه تجافى وتباعد

نوه باسمه اي رفع ذكره

ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو هريرة فطمعت ان اكون ذلك
الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاقمت في المسجد
حتى انصرف الناس وبقيت انا وهو فبينما نحن كذلك اذا اقبل رجل
اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجآء حتى وضع يده في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى
الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت
يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا تشتريه
فتعتقه يا نبي الله قال واني لي بذلك ان كان الله تع يريد ان يجعله
من ملوك الجنة يا ابا هريرة ان للجنة ملوكا وسادات وان هذا
الاسود اصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة ان الله عز
وجل يحب من خلقه الاصفيا الاخفيا الابريا الشعثة رؤسهم
المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا
استاذنوا على الامرآء لم يؤذن لهم وان خطبوا المنعمات لم ينكحوا
وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح
بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول
الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس القرني قالوا وما اويس
القرني قال اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة
آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى
موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو

اى لا يبالى به

طمرين لا يؤبه له متزر ازار صوف ورداء صوف مجهول في اهل
الارض معروف في اهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان تحت
منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان يوم القيمة قيل للعباد ادخلوا
الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة
ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله
لكما وذكرا في الحديث وفي حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يكون في امتي رجل يقال له اويس القرني يدخل في شفاعته
عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابره فمن لقيه بعدي فليقرأه مني
السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل اصهب اشهل ذو طمرين ابيضين
له ام وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار
الدينار او الدرهم لا يؤبه له مجهول في اهل الارض معروف في السما
وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس كانوا يسخرون
منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه اهلية الخداع واللصص
ينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع اليه بعض فقهآء الكوفة ثوبين
وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العرى فردهما عليه بعد ان
اخذهما منه وقال ان الناس يقولون من اين له هذان الثوبان
ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقها ويظهر
للناس وذلك قبل ان يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه
عمر رضه به على المنبر فلما راى ان الناس عرفوا حاله هرب عنهم واختفى

منهم ولبس امره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رض لما سال عنه
قومه ما فينا اخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلي رض وساله من هو فقال
راعي غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما ساله عن اسمه فقال له عبد الله فلما
ساله عن اسمه الذي سمته به امه امتنع ان يجيبه عن ذلك فلما اخبراه بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى ان يكون ذلك
غيري فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر
لمعة بيضاء وطلبا منه ان يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها وذلك
والله تع اعلم ليريهما رويه عين صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بالغيب وذلك امر واجب عليه والا فلعله كان
سيفعل لهما كما فعله في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر رض ان
يلتقي معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا امير المومنين
لا ميعاد بيني وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل التي
كان يرعاها الى اصحابها وخلى عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم
بن حيان رض لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له حدثني
بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لا احب ان
افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا
فلما فرغا من الكلام الذي كانا بصدده وساله متى وقت الاجتماع به
ابى وامتنع وقال لا اراك بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق انت
ههنا حتى انطلق انا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم

يقع له على خبر ومن عجيب امره ان حقق الله فيه له هذا الحال من التخفي
والتستر وانه له بعد موته مع ما ظهر بسببه من الايات والعبر
حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رض
ومعنا اويس القرني رض فلما رجعنا مرض ومات فنزلنا فاذا قبر
محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه
ودفناه وقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر
ولا اثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار
اكثر من ان ياتي عليها الحصار وقد ورد كثير منها الايمة المصنفون
في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تع حسن التوفيق
والتاييد وتعبير المؤلف رحمه الله ههنا بالدفن والارض والنبات
والنتاج من مليح الاستعارات **ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل
بها ميدان فكره** مداواة امراض القلب واجبة على المريد وامراضه
انما تكون من غلبة احكام الطبع عليه من صحبة الاضداد ووقوفه مع
المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة
هذا المرض تتاتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة
عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة
من لا تصلح مخالطته ومن لا يامن من دخول الافات عليه بصحبته
فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي يتعرض لها بالمخالطة
مثل الغيبة والمداهنة والريا والتصنع ويحصل له بذلك السلامة

مطلب فائدة العزلة

من مسارقة الطباع الردية والاخلاق الدنية ويستفيد ايضا بذلك
صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والفتن
فان للنفس تولعا وتسرعا الى الخوض في امثال هذا فواجب على المعتزل
ان يكف لسانه عن السوال عن اخبار الناس وما هم مشغولون به
ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى اراجيف
البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على ان لا يغشاه
في خلوته وعزلته من شانه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب
صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال
في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح
فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويودي الى ارتكاب مساخط
الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه
في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شانه من المنسوبين
الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف
الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك
بشراره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى
عليه السلام يا بن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ
او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله الى داود
عليه السلام فقال له يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت
الخلق من اجلك فقال له يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا

القين

وكل

18

وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك
ويباعدك مني وما احسن قول ابي اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري في بيتيه
فخف ابناء جنسك واخش منهم • كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذارا • وكن كالسامري اذا لمستا
وبالعزلة ايضا تجتمع الهمة ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها
تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد في خلوته على خصال
من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حللوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى
يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا
الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها
وفي الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ضعف
اليقين وضعف اليقين انما يكون من روية اهل الغفلة ومخالطة
ارباب البطالة والقسوة قال ابو طالب المكي رض واضر ما ابتلي به العبد
وادخله واعمله في هلاكه واشده تخبيثه وابعده ضعف يقينه لما وعد
من الغيب ويوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح
وقال بعض اهل هذه الطائفة قلنا لبعض الابدال المنقطعين الى
الله تع كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر
الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان
كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران
وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال

فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا
انتظر الي اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتغافل البطالين وتسكن
الي الهلكي وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع الله عز وجل
هيهات هذا ما لا يكون ابدا وبالعزلة ايضا يكف بصره عن زينة
الدنيا وزهرتها وتنصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تع
من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها
ومنافسة اهلها فيها قال الله تع ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم الاية ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه يؤدي
الي امراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تع
منها قال الامام ابو القسم القشيري رض فارباب المجاهدات اذا
ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات
وهذا اصل كبير لهم في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى وقال محمد بن
سيرين رض اياك وفضول النظر فانها تودي الى فضول الشهوة
وقال بعض الادبا من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا
ان العين سبب الحين ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر
الي الاشيا بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد انشدوا في هذا المعنى
وانك ان ارسلت طرفك رائدا ۔ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ۔ عليه ولا عن بعضه انت صابر
وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من

انظر الي م

سمو
ومن ارسل عينيه اقتنص حينه

اعظم

19

اعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة
الا باشتغال القلب بالفكرة وهي المقصودة ههنا وكان العزلة مقدمة
لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة
ومراعاة اداب باطنة وقد ذكر منها الشيخ ابو حامد الغزالي جملة شافية
في كتاب العزلة من الاحيا فلتنظر هناك وقد جا في الخبر تفكر ساعة
خير من عبادة سبعين سنة كذا هو والله اعلم وكان عيسى بن مريم
عليه السلام يقول طوبى لمن كان قيله ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة
ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من
اراد شرف الاخرة فليكثر التفكر وقيل لام الدردا ما كان افضل عمل
ابي الدردا قالت التفكر وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقائق
الاشيا وتبيين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها على
خفايا افات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف بها وجوه
الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن رض الفكرة مرآة
تريك حسنك من سيئك وتطلع بها ايضا على عظمة الله تع وجلاله
اذا تفكر في اياته ومصنوعاته ويطلع بها ايضا على الائه ونعمائه
الجلية والخفية فيستفيد بذلك احوال سنية يزول بها مرض
قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التي ذكرها
المولف رحمه تتضمن وجود الخلوة وهي احد الاركان الاربعة
التي هي اساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت

مطلب فائدة التفكر

اذ لا يأتي من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان اضاف
اليهما المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية
الدوا والتحق بزمرة الاوليا والبدلا قال سهل بن عبد الله رض اجتمع
الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صارت الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في نظمه

يا من يريد منازل الابدال ، من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ، ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت اركانه ، ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائما ، والجوع والسهر النزيه العالي

كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته ام كيف
يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل حضرة
الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم دقائق
الاسرار وهو لم يتب من هفواته الجمع بين الضدين محال كاجتماع
الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها المؤلف
رحمه الله اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين
مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان
واعتماده عليها والمسير الى الله تع بقطع عقبات النفس مضاد
للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية
لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي

اي من ميله

المقتضية

مقتضاها

مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد
من التقوى مضاد للاصرار على المعاطي والهفوات واليه الاشارة
بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار
من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معاذ رحمه الله
التقى احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري فقال احمد بن حنبل لابن ابي
الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك ابي سليمان
فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله
وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمن يقول
اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت
الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما
قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام
بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم
ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد
وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا اعجب المؤلف
رحمه الله ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب الرجال
مع كونه على اقبح الخلال الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه
فمن رأى الكون ولم يشهد المكون فيه او عنده او قبله او بعده
فقد وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار
العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم

الحال
ه

اعوزه م

اعوزه الشي اذا احتاج اليه

وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلفت
احوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك
عن رؤية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب آثار
الكائنات ومنهم من لم تحجب بالاكوان عن المكون ثم هم في
مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء
هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد
الاكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من
شاهده مع الاكوان والمعية ههنا اما معية اتصال وهو شهوده
في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان ثم هذه
الظروف المذكورة ليست زمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان
من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليس على ما يفهم
من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه
الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول الى
اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت اقدام كثير من الناس
فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع فكفروا
وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك
بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير مما يدلك على وجود
قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه اتفقت
مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما

ذكرناه

ذكرناه قبل هذا من ان ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته
لا يوصف بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالت الشعراء
الا كل شيء ما خلا الله باطل قال بعض العارفين ابى المحققون ان
يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية
وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله تعالى ببصر
الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل
به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراه وان
كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا
وقال ايضا رضه قوي علي الشهود مرة فسألته ان يستر ذلك عني
فقيل لي لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه
صلى الله عليهم وسلم لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسألته فقواني
قال ابن عطا في التنوير فما سوى الله تعالى عند اهل المعرفة لا يوصف
بوجد ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره
لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان
على فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان
وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو
كلفت ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه
وقال الشاعر ... مذ عرفت الاله لم ار غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع

وكل نعيم لا محالة زائل صح

مذ تجمعت ما خشيت افتراق ** وانا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى ** ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته ** عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها ** لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته ** فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ** شيئا سوى المتكبر المتعالي
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ** في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنفوا في بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا تقرر هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنياوية ودرجاتهم الاخراوية ومقاماتهم العلوية وكل ذلك من الاعتبار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من اسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم واراداتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل ابو سعيد بن الاعرابي عن الفنا فقال الفنا ان تبدو العظمة والجلال على العبد وتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات والمقامات والمدركات وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وعن فنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفنا لانه يغرق

في التعظيم قالوا والفنا على ثلاثة اوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله عز وجل وفناء في الذات لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ** فكان فناؤه عين البقاء

وقال الشيخ محي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حيوة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وانشدوا

من ابصر الخلق كالسراب ** فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا ** بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه ** هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه ** ولا مشير الى الخطاب

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء اذ هو المتجلي فيه بمحاسن صفاته واسمائه كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء في طور ذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا

بجده ولكن لا نفقه ذلك كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر
قبل وجود كل شي لتحقق هذا الاسم له ازلا وابدا كيف يتصور ان يحجبه
شي وهو اظهر من كل شي لان الوجود اظهر من العدم على كل حال كيف
يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد ليس معه شي اذ كل ما سواه عدم
لا وجود له على التحقيق كيف يتصور ان يحجبه شي ولولاه لما كان وجود
كل شي حتى استدل به المستدلون الشاهدون على الاشياء اولم يكف
بربك انه على كل شي شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لان
العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور
الحق كما قال تع وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وقوله عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
قلت وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا ابدع فيه
المولف غاية الابداع واتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع
فانه رضه ذكر جميع متعلقات الظهور وابطل حجابية كل ظلام ونور
واراك فيه الحق روية عيان وبرهان ورفعك فيه من مقام
الايمان الى اعلى مراتب الاحسان كل ذلك في اوجز لفظ
وافصح عبارة واتم تصريح والطف اشارة فلو لم يكن في هذا
الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عن ذلك خيرا
وقال رضه ما ترك من الجهل شيا من اراد ان يحدث في الوقت

الذي م

وهو اقرب اليك من كل شي
لثبوت احاطته بك ووجود
قيوميته عليك كيف
يتصور ان يحجبه شي
ح

غير

23

غير ما اظهره الله فيه اذا اقام الله تع العبد في حال من الاحوال التي لا
يذمها الشرع فليلزم حسن الادب في اختيار بقائه عليها ورضاه
بها وليراقب الله تع في مراعاة ادابها وليوافق مراد الله تع
في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها قال ابو عثمن رضه
منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى
غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المولف رحمه الله مع شيخه
ابي العباس حين عزم على التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال
بالعلم الظاهر وما اجابه به الشيخ رضه وهذا من نتايج العلم بالله تع
ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال
عنها بنفسه واراد ان يحدث غير ما اظهره الله تع فقد بلغ
غاية الجهل بربه واساء الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا
من معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم
من اعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم
الله تع في ذلك الوقت فهو ادب العبودية ومقتضى العلم
بالله تع وهذا هو احد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم قال
الامام ابو القسم القشيري رضه وقد يريدون بالوقت ايضا ذكرهم
من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون
فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير
اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه امر واقتضاء لحق

شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك
المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن
كلامهم الوقت سيف اى كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقضيه
الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن
لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم وكذلك الوقت من استسلم
لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضى انتكس وتردى وانشدوا
وكالسيف ان لاينته لان مسه ❊ وحداه ان خاشنته خشنان
ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت
فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام ابي القسم وهو موافق لما
ذكره صاحب الكتاب والله اعلم **احالتك الاعمال على وجود
الفراغ من رعونات النفوس** اذا كان العبد متلبسا بحال من احوال
دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة واحال
ذلك على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت
فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من
وجوه الاول ايثاره الدنيا على الاخرة وليس هذا شان
عقلاء المومنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تع بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى والثانى تسويفه بالعمل
الى اوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك
او يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض

كما

كما قيل ❊ فما قضى احد منها لبانته ❊ ولا انتهى ارب الا الى ارب ❊
والثالث ان تفرغ منها ما الذى يؤمنه من تبدل عزمه وضعف
نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع
الاحوال ما يستحقر فى جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر
الى الاعمال على اى حالة كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل
مفاجاة الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله فى تيسيرها
عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها وما احسن قول ابن الفارض
فى هذا المعنى ❊ ❊ ❊
وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ❊ وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ❊ واياك علّى فهى اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسير فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد ❊ تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت
**لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد
لاستعملك من غير اخراج** كانه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه
كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغى له ان يروم الخروج
منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهره الله كما
تقدم فى قوله ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث فى الوقت
غير ما اظهره الله فيه مع الشروط المقدمة وهو ان لا يكون فى
ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهى ينبغى له ايضا ان لا يعارض حكم

الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها
لان هذا من التحجر على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له حسن
الادب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ تحقق بحال
يتعرف منها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا عنده
مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى
له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره قال في التنوير ويحكى
عن بعضهم انه كان يقول وددت لو اني تركت الاسباب
واعطيت لكل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب
قال فسجنت ثم كنت في السجن يوتى لي كل يوم برغيفين فطال ذلك
علي حتى ضجرت ففكرت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا
كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت
من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت
قال فيه فتادب بهذا ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك من امر
ويدخلك فيما سواه اذا كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم
فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج
بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيئا
وداخل في غيره ليجد الثروة والراحة فتعب وقوبل بوجود التعب
عقوبة لوجود الاختيار انتهى كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما
ذكره هنا فلذلك اوردته ما ارادت همة سالك ان تقف عند

ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك
ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا
تكفر السائر الى الله تعالى يتجلى له في اثناء سلوكه انوار وتبدو
له اسرار فان ارادت همته ان تقف عند ما كشف لها من
ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من
المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوبة الذي تطلب
امامك فجد في السير ولا تقف وان تبرجت له ظواهر
المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها نادته حقائقها
الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت
اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم انه ما دامت لك همة
وارادة فانت بعد في الطريق لم تصل فلو قد فنيت عنهما لوصلت
وما احسن قول الشيخ ابي الحسن الششتري في هذا المعنى شعر
فلا تلتفت في السير غيرا فكل ما ۞ سوى الله غير واتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ۞ حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ۞ عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ۞ فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى
وقد رايت لسيدي ابي الحسن الشاذلي رض كلاما حسنا مناسبا
لما ذكره المولف رحمه الله ههنا من الترقي في الاحوال وظهور
النقص في روية الكمال فرايت ان نذكره ههنا بنصه لما فيه

من سنيّ الفوائد وشرف المقاصد **قال** رض اعلم انك اذا
اردت ان يكون لك نصيب مما لاولياء الله تع فعليك برفض
الناس جملة الا من يدلك على الله باشارة صادقة واعمال ثابتة
لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن
يعرض عنها ليعطى شيا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله امرك
ان ترفض عدوه فان اتيت بهاتين الخصلتين الاعراض
عن الدنيا والزهد في الناس فاقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة
بالرعاية والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة
وتفسير هذه الوجوه الاربعة ان تقوم عبد الله فيما تاتي وتذر
وتراقب قلبك ان لا ترى في المملكة شيا لغيره فان ايست بهذا
ناديك هواتف الحق من انوار العز انك قد عميت عن طريق الرشد
من اين لك القيام مع الله بالمراقبة وانت تسمع قوله تع وكان
الله على كل شئ رقيبا فهناك يدركك من الحيا ما يحملك على التوبة
مما ظننت انه قريب فتلزم التوبة بالرعاية لقلبك ان لا يشهد
ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك
ناديك الهواتف ايضا من قبل الحق التوبة منه بدات والانابة
منه تبعتها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك
فهناك تنظر اوصافك فتستعيذ بالله منها وتاخذ في الاستغفار
والانابة والاستغفار طلب الستر من اوصافك بالرجوع

الى اوصافه فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار والانابة
ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم
مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية
فكن عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فمتى رايت منك قدرة وكلتك
اليها وانا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته اشرفت
من هناك على اسرار لا تكاد تسمع من احد من العالمين **طلبك**
منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة
حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه الطلب الذي
يتصور من العبد على اربعة اوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من
الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له
اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سوال لما طلب منه وطلبه
شيا ءمر
له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حيا منه اذ لو
استحيى منه لانقبض عن ما يكرهه له مولاه من طلبه لغيره ومن حق الحيا
منه ان لا يذكر معه غيره ولا يوثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود
بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه
فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول كان الطلب متعلق
بالحق او بالخلق الا ما كان من الطلب على وجه التعبد والتادب واتباع
الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول عنه العلة **ما من نفس تبديه**
الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس ازمنة دقيقة تتعاقب على

العبد ما دام حيا فلكل نفس بيد ومنه فهو ظرف لقدر من اقدار الحق
تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت جزئيات العبد
ودقائقه قد استغرقتها احكام الله تعالى واقداره وكان جميع
ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو
مطالب بذلك ومسئول عنه وعن انفاسه التي هي امانة للحق
عنده لم يبق له اذ ذاك مجال التدبير امور دنياه ولا محل لمتابعة
شهواته واهواه لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن
وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه اذا اقام الله عبدا في سبب
من الاسباب فالواجب عليه ان يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب
ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان تامله للوقت
الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما اقيم فيه وتوفيته
ما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد
قال ابو حفص رض الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه
فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال
سهل بن عبد الله رض اذا جنك الليل فلا تومل النهار حتى تسلم ليلتك
ملك وتؤدي حق الله تعالى فيها وتنصح فيها لنفسك واذا اصبحت
فكذلك وسئل سهل رض متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا
غير الوقت الذي هو فيه لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه
الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها

جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلا ليعمل كل احد فيها على مقتضى ما
سبق له ويوفي جزاه في الدار الاخرة قال الله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه
او موافقتها وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه
بفعل او ترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق
فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك وايضا في اصل الدنيا امور وهمية
انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها
وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها فيتجاذبونها بينهم فيتكدر عيشهم
ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل شعر
ارى اشقيا الناس لا يسامونها ... على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت قليلا كانها ... سحابة صيف عن قريب تقشع
فلا تستغرب وقوع امثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها
وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض
الحكماء لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج
في اللوزينج وسياق التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها
محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض
الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رض انه قال من طلب ما
لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا
وفي معناه انشدوا ... تطلب الراحة في دار الفنا ... خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ
على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضه
الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح وقال الجنيد ليس
استبشع ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدار
دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقاني بكل
ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل هو الاول
وقال ابو تراب رضه يا ايها الناس انتم تحبون ثلاثة اشياء وليس
هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون الروح والروح لله وتحبون
المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح
وهما في الجنة فالواجب على العبد ان لا يوطن على الراحة في الدنيا نفسا
ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحا وانسا ويعمل على قول النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه عنه ابو هريرة رضه الدنيا سجن المومن فيوطن
العبد على المحن في دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند
فقدان ما يهواه كما قيل

يمثل ذو اللب في نفسه ... شدائده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى اخر ... فصير اخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ... ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام
لجريان القضاء فعن قريب ان شاء الله تعالى ينجلي الامر ويستوجب من
الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق قال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه
قال لي ابو سليمن الداراني رضه جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر
قليل وقد انقضت عنك ايام الدنيا فاعلم ان ما ذكرناه من الصبر
هو جامع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال عز
وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضه
ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر
فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع
الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضه لرجل ان صبرت
مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا
وقال علي رضه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضه
افضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر
عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وان طالت مطالبه ... اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

اَخْلِقْ بذي الصبر ان يحظى بحاجته ۞ ومدمن القرع للابواب ان يلجا
فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعدّه من اعظم عدده ووسائله
فهو مصيب في رأيه منجح في سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب
عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته
اجرا وناهيك به خسرا كما قيل شعر
واذا اصابتك مصيبة فاصبر لها ۞ عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر وكما قيل ايضا
وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن ۞ فقيدك لا يأتي واجرك يذهب
**ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه
بنفسك** من انزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل في امره عليه
كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى
علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله
وحرمه توفيقه واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم
على القطع من نصوص الشريعة وانواع التجارب قلت
وكلام المؤلف رحمه الله تعالى في هذه المسألة عام يتناول كل مطلوب من
المطالب الدينية والدنياوية التي مآل امرها الى الدين واشرف تلك
المطالب واكثرها قواطع ومعاطب اخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد
ففيه التعلق بالله تعالى احق واصوب وفي جميع جزئياته الرجوع الى
الله تعالى اولى واوجب فلا جرم كان من الرأي السديد والامر الاكيد
ان نخصصه من ذلك العام وان نفرده عقب هذه المسألة بمزيد من

الكلام فلذلك قال **من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله في
البدايات** للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال
وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة
به كما ذكرناه الآن افلح وانجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى وامن
عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشائخ ما رجع من رجع الا من الطريق
ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره
اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن انه
يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل
الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل معتمد امره الاستعانة بالله على ما هو
بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا قليله فهذا هو اساس
السلوك الذي تنبني عليه قواعده **من اشرقت بدايته اشرقت نهايته**
هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد رجوعه
الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته بالوصول الى
قربته والحصول في حضرته **ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة
الظواهر** هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما انغمر
به باطنه من المزيد المتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل
الاسرّة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره
فما استودعه الله تعالى القلوب والاسرار من المعارف والانوار
لا بد ان تظهر آثار ذلك على الجوارح بالكلم الطيب والعمل الصالح فيستدل

الاسرّة

يشاهد العبد على غائبه من اراد صحبته والوصلة به وما اشبه
هذا من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص رضه حسن ادب الظاهر
عنوان حسن ادب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا
لخشعت جوارحه وقيل لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى
اصحاب ابي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لامره ولا يخطئ احد منهم
فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القسم
ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن قلت واكد
من ذلك ان يعرف المريد نفسه ويكون من امرها على بصيرة ولا
ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى بقلبه
معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك واثاره من
اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع امره والاغتباط بوجوده والاستبشار
عند تعين شهوده والفرار من القواطع الشاغلة والاضراب عن
الوسائط المبعده منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان
كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال
فهو في دعواه اكذب وحاله الى النفاق والشرك اقرب قال الشيخ
ابو طالب المكي رضه وقد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر
الله وحده في شيء انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره فرحوا وجعل من
نعتهم انهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده حتى غطوا ذلك وكرهوه
واذا اشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده

يغشى

اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من
دونه اذا هم يستبشرون وقال ايضا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم والكفر التغطية وان يشرك به تؤمنوا والشرك الخلط اي
يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق
في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه
وعطائه ولا نظير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهم من الخطاب
ان المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والانفراد في شيء انشرحت صدورهم
وانسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت
الاواسط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم
وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك او من قلب غيرك لتستدل
بها على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السر ان
كنت عارفا انتهى قلت وهذه المسئلة التي تضمنها كلام الشيخ
ابي طالب رضه من اعظم المسائل وعلى صدق الصادق وكذب
الكاذب من اوضح الدلائل ولما قصدنا في هذا التنبيه على استغنام
ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين
في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين
الى العلم والفضل حسن هنا ايراد هؤلاء الكلمات على جهة
ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد
سالك ولينتهج من مناصحة ربه في دينه وقلبه اوضح المسالك

كان و

واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم يظهر لك مطابقته ولم يتم في
نظرك مناسبته لتسلم من ذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما
تولع به اصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك شتان
بين من يستدل به او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله
واثبت الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول
اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى يكون الآثار هي
التي توصل اليه بنو ادم في نشأتهم ومبدا خلقتهم وخروجهم من بطون
امهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تع والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم ان الله تع لما اختص بعضهم بخصوصية
عناية واختار منهم من اهله لولايته وما ذاك الا لحصول
العلم الذي يتضمنه قوله تع وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
الذي يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفة والقربة المشار الى ذلك
بقوله تع لعلكم تشكرون جعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان
شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق
قال الله تع الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون
الى الله تع في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار
والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تع غيب عنهم فهم يستدلون
بها عليه في حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تع بوجهه
الاكرام وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه احتجبت الاغيار

بنه فضله م

أولام

عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين
وشتان ما بينهما اي بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره
عرف الحق الذي هو الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم
واثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود اصله المشار به
الى المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه
لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفي
على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه
بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى يكون الآثار القريبة هي التي توصل
اليه او فقد حتى يكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه شعر
عجبت لمن يبغي عليك شهادة وانت الذي اشهدته كل شاهد
قال في لطائف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب
الحق لا لمن يشهده فان الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان
يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية
ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات مما هو غني
بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون اولى بغناه عن الدليل منها
ثم قال ومن اعجب العجب ان يكون الكائنات موصلة اليه
فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل اليه او هل لها من الوضوح
ما ليس له حتى يكون هي المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة
اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة

التوصيل فوصلت في وصل اليه غير المتسبب ولكن الحكيم هو واضع
الاسباب وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب
لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه
السائرون اليه هذه اشارة مليحة الى حال الفريقين فالواصلون الى
الله تع لما خرجوا من سجن روية الاغيار الى فضاء التوحيد
وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فانفقوا من سعتهم
وتصرفوا في عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه مقدور عليهم في
ارزاق العلوم والفهوم محبوسون في مضيق الخيالات والرسوم
ينفقون مما اتاهم الله من الرزق المقدر المضيق اهتدى الراحلون المعلوم مح
اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة فالاولون
للانوار وهولاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه انوار التوجه
هو ما منهم الى الله تع من عبادة ومعاملات ومجاهدات
ومكابدات وانوار المواجهة ما من الله لهم من تعرف وتقرب
وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها في
الوصول الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم
عنها بربهم فهم لله لا لشيء دونه وسياتي هذا المعنى عند قوله
انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان
معك قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة
الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب

وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا
عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال تع بل هم في خوض يلعبون
وقال رض تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك
الى ما حجب عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوف الى معرفة
ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو
حق الحق تع منه فينبغي له ان يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه
ليحصل له صفاء اعماله من الافات ونقاء احواله من الكدورات
وينتفي عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه مواد الشرور وقد
ذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رض في كتاب رياضة النفس فصلا في الطريق
الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل
حاصله اربعة اوجه احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب
والافات فيحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني
مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه
على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة عيوبه
من اعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم عند ثلبهم وغيبتهم
والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم
فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية
في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيره فيطالب
نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا ملخص ما ذكره ثم قال وهذه

كلها حيل من فقد شيخا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين
فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد
الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي
هو بصدده انتهى واما طلبه للعيوب المحجوبة من خفايا القدر ولطائف
العبر فانها حظ نفسه ولا حق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا
يشتغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه
فان ذلك من المعائب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالب
الاستقامة ولا تكن صاحب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب
الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك
اولى بك من ان تكون بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا المعنى
الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن منبه رض
ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة
ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف تغوي الشياطين الناس فلما
طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني
وبين ربي لكان خيرا لي من هذا المعنى الذي طلبته فارسل الله
عز وجل ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني اليك وهو يقول لك
ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي من ماضي عبادتك
وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس احاطت بالارض
واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال

اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسياتي بيان ان
الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا يغتبط بوجودها لدى كل عالم
نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه **الحق ليس بمحجوب**
وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه
ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له
قاهر وهو القاهر فوق عباده الحجاب على الله تعالى محال واستدل المؤلف
على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد
واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم
وبين الوجود فاذا اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء
متى شاء راى من ليس كمثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده **اخرج من اوصاف**
بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا
ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية المتعلقة بامر الدين نوعان
احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال والثاني ما يتعلق
بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم
الى قسمين ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية
واما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق
الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا
والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما
يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية

العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح
جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يامره وينهى
عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها
وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من اوصاف
البشرية التي اشار اليها المولف رحمه الله وهي التي تسم صاحبها
بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والريا والسمعة
والحقد والحسد وحب الجاه والمال وتتفرع عن هذه الاصول فروع
جنية من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء والاستخفاف بالفقراء
وترك النفقة لمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق
والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة
والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة
والجفا والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة
وقلة الحيا وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار
للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير
ذلك من العيوب الذميمة والاخلاق اللئيمة واصل فروعها وعنصر
ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضى عنها وتعظيم قدرها وترفيع امرها
فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها

والاستحقار

خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المولف
رحمه الله بازيدا وشان الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من
انواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم
قال الشيخ ابو طالب رضه ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعاني
صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين اوصاف
المومنين وبطبائع البهائم اوصاف الروحانيين من الاذكار
والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا ان تملك
نفسه فتملكها فتسخرها وتسلط عليها فاذا اردت ان تملك نفسك
فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان
لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها
لهواها واحبسها عن معتاد ملاذها فان لم تمسكها انطلقت بك وان
اردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع اسبابها وحبس موادها
والا قويت عليك فصرعتك انتهى فاذا قام بذلك المريد على
الوجه الذي رسموه له والتزم الوظائف التي امروه بها طهر قلبه
وزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد
وينال بها من قرب ربه غاية المراد فتظهر عليه حينئذ آثار حميدة
من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ
لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص
في عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه في منعه

ملاذها

وعطائه وتتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق
وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة
والعطف والتأني والوقار والسخا والجود والحيا والبشاشة
والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها
ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان
المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ائمة الصوفية رض بالتخلي والتحلي
اى التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون
عنها بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه ايضا
وسياتى الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى
افضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه
سواه وارتقى في القرب من ربه الى اشرف محل فيكون هناك
منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله لنداء الحق
مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب
حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا
في اجابته متحققا في نسبته ويكون ايضا من حضرة قربا لوجود
بعده عن بغيته التي من شانها النفور عنها والفرار منها فاذا
اقامه الحق في مقام العبودية وحاز مرتبة القربة من حضرة الربوبية
كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه اعمال الاخيار متحليا

في الظاهر والباطن باشرف الحلي محتظيا بفضيلة القربة بالملاء الاعلى
قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تع ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من
قائل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العندية
انالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في مجلس صفاتهم من
الصفوة الصوفية الا ان هؤلاء محفوظون لا معصومون على
ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما
قاله الامام ابو القسم القشيري رض ان المعصوم لا يلم بالذنب
البتة والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات
ولكن لا يكون له اصرار اولئك الذين يتوبون من قريب وقد
وصف الله عباد التخصيص اولى التطهير والتمحيص في ايات كريمة
بصفات جليلة عظيمة واعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تع
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما الى قوله حسنت مستقرا ومقاما واليك النظر فيما
قاله فيها اهل التفسير وما استنبط منها ارباب الاشارات والتذكير
واما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا حظوظهم الدنياوية
قال عز من قائل افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم فيما روى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء

من عبيد العدد للمعينين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
واعلم انه لا يتهيأ بهذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه
الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك
من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها اخذا حذره منها والا وقع
في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف على هذا بقوله
اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة
ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها الرضى عن النفس اصل جميع
الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل الصفات المحمودة وقد
اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى
عن النفس تغطية عيوبها ومساويها وتصيير قبيحها حسنا كما قيل يوجب مر
وعين الرضى عن كل عيب كليلة وعدم الرضى عن النفس على عكس
هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهره
من الطاعات والانقياد كما قيل في الشطر الآخر ولكن عين
السخط تبدي المساويا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها
ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة
ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة
على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكر ما يدفعها به ويقهرها فتصير
الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا

محاله واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن
حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا ومتنبها
للطوارق والعوارض وباليقظة والتنبه يتمكن من تفقد خواطره
ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة
فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى
الله عنه محافظا على جميع ما امر به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل
واصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذن لا شيء اوجب على العبد من
المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى عنها وبقدر تحقق العبد في
معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة
الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم
رضاهم عنها اكثر من ان يحصى ولذلك قال ابو حفص رض من لم
يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها
الى مكروهها في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان
شيء منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم بن الكريم
بن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال ايضا
رض منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر
السخط واعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رض لا تسكن الى نفسك
وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال ابو سليمن الداراني
رض ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكي عن سري السقطي رض

انه قال انی لانظر الی انفی فی الیوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود
لما اخافه من العقوبة وقال ايضا رضه من الناس ناس لو مات نصف
احدهم ما انزجر النصف الاخر ولا احسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات
الصادرة عن المشايخ رضه في هذا المعنى وقد الف الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي رضه جزءا صغير الحجم عظيم الفائدة في عيوب النفس وكيفية مداواتها
فلينظر فيها المريد وكذلك الف قبله الامام ابو عبد الله الحارث
المحاسبي كتابا سماه بالنصائح جمع فيه من معائب النفس وخدعها
وغرورها وشرورها جملة شافية كافية ونبه فيه على سنن دارسة عافية
مما كان عليه سلفنا الصالح رضه من التفتيش والتفقد والنظر
فيما تصلح به اعمالهم واحوالهم وتفسد والمحافظة على تطهير الاسرار
والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام
ابو حامد الغزالي رضه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه
ونص خطابه بعد ان اثنى على مؤلفه بما هو اهله بان يليق به علمه
وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملات
وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال
واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم ذكره وقد
كان اوحد زمانه علما وعبادة ونخبة اوانه ورعا وزهادة
سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر رضه يكثر من التحريض على مطالعة
ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب واظنني سمعته

ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الا ولي او كلاما هذا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تع وسائلا منه
توفيقا ورشدا لينصح لمولاه في مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم
الصدق في مواطنه وليجعل بحذاه مطالعة كتب التصوف وموالاة
اهله بالتالف والتعرف فبذلك تتقوى انوار ايمانه ويقينه وتنتفي
عنه الغرة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض العين
وما تشتغل به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه
بعلم يعبر في وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده
وهو مما اكب عليه الناس اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى تطرق
لهم بسبب ذلك من رذائل الصفات وعظائم الافات ما اصارهم
الى الهلاك والشقاء واعقبهم النفاق في قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل
بالكذب في دعواهم انهم قاصدون لعلمهم رضى مولاهم فاياك واياهم
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولذلك قال المؤلف رحمه الله **ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه**
خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه واي علم لعالم يرضى عن نفسه
واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فائدة الصحبة انما هي الزيادة في الحال
وعدم النقصان فيها حسبما ياتي الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان
عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذي وجب

اي رابه وعادته

قيل
دنانير لو تمخضت به اصابت ولكن ضاع تمخضك في الرماد

رضاه عن نفسه ضار غاية الضرر وكانه اذ فاته هذا العلم الذي يريه عيبه
حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن نفسه وان كان
جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب
له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكانه اذ حصل له هذا العلم لا
جهل عنده شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة
تشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك
ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق
البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا انفسهم وشاهدوا
ربهم قريبا منهم اي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا انفسهم
عدما في وجودهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشهدوا
معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه كان
الازمنة ههنا امور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود
ان الله عز وجل لا شيء معه لثبوت احديته ..
فلم يبق الا الحق لم يبق كائن .. فما ثم موصول وما ثم بائن ..
بذا جاء برهان العيان فما ارى .. بعيني الا عينه اذ اعاين ..
وسياتي من كلام المولف رحمه الله الاكوان ثابتة باثباته ممحوة
باحدية ذاته وقال رض لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا
تتخطاه الآمال الهمة العالية تانف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على
الحقيقة سوى الله تع قال الجنيد رض الكريم الذي لا يحوجك الى مسئلة

38

وقال الحارث المحاسبي رض الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل الكريم
الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا
يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي
عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى ويغنيه عن الوسائل
والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها احد سوى الله تع
فينبغي اذن ان لا تتخطاه آمال المومّلين الى غيره كما قال بعضهم ..
حرام على من وحّد الله ربه .. وافرده ان يجتدي احدا رفدا ..
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة .. اموت بها وجدا واحيى بها وجدا ..
وقل لملوك الارض تجهد جهدها .. فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى ..
لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع الى غيره ما كان
هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان
يكون لها عن غيره رافعا اذا اورد الله تع عليك حاجة وانزل بك
نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له
واضعا لثبوت توحيده في ان لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره
لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها
عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك في
حاجتك ممن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور
لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم لم يزل
ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك

الذي لا يخيب رجا المؤملين
واجمع العبارات في
معنى الكرم ما قيل
الكريم صح

الذي م

منه الفضل والعطا في كل نفس وحين واوان وزمان وقال عطآء
الخراساني لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت حدثني حديثا
احفظه عنك في مقامي واوجز قال اوحى الله تع الى داود عليه السلام
يا داود اما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي
اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع والارضون السبع
ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي
لا ينتصر عبد من عبادي بمخلوق اعلم ذلك من نيته الا قطعت
اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته ولا ابالي
في اي واد هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هرون
وكان الى جانبي رجل فسالته عن قصته وخبره فقال نفذت نفقتي
فقلت ومن تومل لما قد نزل فقال يزيد فقلت اذن لا يسعفك
لحاجتك ولا ينجح طلبتك ولا يبلغ املك فقال وما علمك يرحمك
الله فقلت اني قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي
وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني لاقطعن
امل كل مومل لغيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس
ولانحينه من قربي ولاقطعنه من وصلي ايؤمل غيري في النوائب
والشدائد بيدي وانا الحي ويرجى غيري ويطرق الفكر ابواب
غيري وبيدي مفاتح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني
من ذا الذي املني لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذي

ومن فيهن صح

رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني ام من ذا الذي قرع بابي
فلم افتح له جعلت امال خلقي بيني وبينهم متصلة فقطعت بغيري
وجعلت رجاهم مدخورا لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملات سماواتي
ممن لا يملون تسبيحي من ملايكتي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني
وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي
انه لا يملك كشفها احد غيري فما لي اراه بامالة معرضا عني وما
لي اراه لاهيا الى سواي اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم انتزعته
منه فلم يسالني رده وساله غيري افتراني ابدا بالعطية قبل المسئلة
ثم اسال فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبادي اليس الدنيا
والاخرة لي اوليس انا محل الامال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما
عسى ان يؤمل المومّلون لو قلت لاهل سماواتي واهل ارضي املوني
ثم اعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما اعطيت الجميع ما انتقص
ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بوس
القانطين من رحمتي ويا بوس من عصاني ولم يراقبني وتوثب
على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله امل هذا الحديث
على فكتبته وقال والله لا اكتب حديثا بعده ابدا والاصل
الذي ينبني عليه هذا المعنى تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تع
ولذلك اخذ المولف رحمه الله في ذكره باثره فقال رحمه الله ان
لم تحسن ظنك به لاجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته

اوليس الرحمة والفضل بيدي
اوليس الكرم والجود لي صح

معك فهل عودك الاحسانا وهل اسدى اليك الا امتنانا حسن
الظن بالله تع احد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة
وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات
العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول
الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فلذلك لا يخاف
من الانقلاب والتغير في احدهما ما يخاف في الاخر لان ارباب
المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تع واحتظوا بانوار اليقين
به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة
ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام الثاني لم يرتفعوا عن نظرهم الى الافعال
وهي متلونة عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها فهم
ربما يضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا يحصل لهم البراءة من
خواطر سوء الظن من تحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع
فليكن العبد عند وجود ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وما اشبهه وليقس النادر على الغالب قال
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رض حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان
يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت ثان فمتى اعطيت
اذنك للوهم هلكت وحدثت وكذلك الاصغاء بالاذن الى
الشيطان والنفس جنس واحد انتهى قلت وحسن الظن يطلب
من العبد في امر دنياه وفي امر اخرته اما امر دنياه فان يكون

واثقا بالله تع في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعي
فيها او سعي خفيف ماذون فيه وماجور عليه بحيث لا يفوته شيئا
من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه
فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما امر اخرته فان يكون
قوي الرجا في قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها في دار
الثواب والجزا فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير
من اعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال
يحيى بن معاذ رض اوثق الرجا رجاء العبد ربه واصدق الظنون
حسن الظن بالله تع ومن مواطن حسن الظن بالله تع التي ينبغي
للعبد ان لا يفارقه فيها اوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب
في الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع
والسخط وسيأتي هذا المعنى في كلام المؤلف وهو قوله من ظن
انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواضع حسن
الظن بالله تع حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا
وهو يحسن الظن بالله تع وفي حديث جابر رض من استطاع منكم
ان لا يموت الا وهو حسن الظن بالله تع فليفعل ثم تلا هذه الاية
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ولانه تع قال فيما يروى عنه
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء قال ابو طالب المكي رض
وكان ابن مسعود رض يحلف بالله تع ما احسن عبد ظنه بالله تعالى

الا اعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده واذا اعطاه حسن الظن به
فقد اعطاه ما يظنه لان الذي حسن ظنه هو الذي اراد ان يحقق
له انتهى وقد روي عن ابي النضر حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن
الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا
عليه وهو في فراشه فلما راى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فاقبل
واثلة حتى جلس على الفراش واخذ يزيد بن الاسود بكف واثلة حتى
جعلها على وجهه فقال له واثلة اسألك عن شيء تخبرنيه قال لا تسألني
عن شيء اعلمه الا اخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل
فقال ظني والله بالله حسن قال فابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي ان ظن
بي خيرا وان ظن شرا وروي عن ابي سعيد الخدري رضه قال عاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت
فان الله تبارك وتعالى عند ظن المومن به وروى ابو هريرة رضه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله
والاخبار والاثار في الرجا وحسن الظن بالله وسعة رحمته اكثر من
ان تحصى ومطالعتها مما تزيد المريد قوة في هذا المقام فمن اراد
الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجا من قوت القلوب
وكتاب الاحياء ثم بين رحمه الله الحال التي لمنازلها تحقق العبد

في مقام حسن الظن بالله تع وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق
قلبه بوحدانيته واشار ان ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الاماني
لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والامنية التي تفنى وتزول
وحكم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق ان يتعجب منه
كل ذي لب فقال العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه
ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة
هواه وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي
هو ادنى بالذي هو خير واثر الفاني الذي لا بقاء له معه على الباقي
الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي على الفاني
ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به
فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما
توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا
لن نوثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ثم قالوا والله
خير وابقى فهولاء استنارت قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما
كان لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والذي
ارتحل اليه هو الذي ارتحل عنه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون
وان الى ربك المنتهى العمل على طلب الجزا والدرجات ونيل الرتب
العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال

وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس
في ان يحصل لها رتبة وان تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان
والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا وان كان بعضها انوارا
وتمثيله بحمار الرحى مبالغة في تقبيح حال العاملين على روية الاغيار
وتلطف في دعائهم الى حسن الادب بين يدي الواحد القهار حتى يحققوا
بمعنى قوله تع وان الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف
قلوبهم عليه وتكون اعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق
الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على اى حالة تكون فهذا هو
تحقق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من اهله
بمنه وفضله وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او
امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلوة والسلام
فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام
في هذا الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل
والله اعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اى ولا نصيب له من
الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله
فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي
اى لا صديق لي غيره فكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا
التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس

والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهره
طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من
الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح
وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو
الذي نهي عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى
لا يكون له التفات الى غير ولا كون البتة ولقد احسن الشاعر في قوله

وكل ما قد خلق الله و ما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرق

قال رجل لابي يزيد رضه اوصني فقال له ان اعطاك احد من العرش
الى الفرش فقل له لا انت اريد قال ابو سليمن الداراني رضه لو خيرت
بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين لاني في الفردوس
بحظي وفي الركعتين بربي وقال الشبلي رضه احذر مكره وتوق قوله
كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولكن في كل شئ به لا بنفسك
فقوله تع كلوا واشربوا وان كان ظاهره اكراما وانعاما ففي باطنه ابتلا
واختبار حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ وقال رضه لا تصحب
من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله تكلم هنا في الصحبة
وهي اصل كبير من اصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر
عليها شانهم قديما وحديثا وقد نبه المولف رحمه الله على فائدتها في
قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض الحال

ودلالة المقال على الله تع هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة
ههنا هو ان تكون همته متعلقة بالله تع مرتفعة عن المخلوقين لايلجئ
فى حوائجه الا الى الله ولا يتوكل فى اموره الا على الله قد سقط الناس
من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا
يشاهد لها فعلا ولا يقتضى لها حظا ويكون فى اعماله كلها جاريا على
مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين
والموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مامونة
الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنياوية لان
الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على محبة الاقتدا بمن تستحسن
حاله ولا يشترط فى المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية
الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما
يفوق صاحبه به فقط بحيث يكون اعلا منه حالا واصوب منه
مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه المعاملة بالظاهر
لا غير فليس له فائدة فى صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته تدعوه
الى التصنع له والتزين ويوديه ذلك الى كبائر معاصى القلوب
وهى اشد عليه من معاصى الجوارح بكثير قال يوسف بن حسين الرازى
رض لان القى الله بجميع المعاصى احب الى من ان القاه بذرة من
التصنع فيدخل عليه بذلك النقص فى حاله من حيث رجا الزيادة
فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده

ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده
سوا وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة
بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يحبك
ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الى واجله واعرف قدره ولكن يهون
على ان القى الشيطان الف مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له كيف ذلك
قال اخشى ان اتزين له ويتزين لى قال الشيخ ابو طالب المكى رحم وكانت
هذه الطائفة الصوفية لا يصطحبون الا على استيفاء اربع معان
لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض
ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم
يقل له صاحبه افطر وان نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم فصل وان صلى
الليل كله لم يقل له نم بعضه وتستوى احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه
وقيامه ولا نقص لاجل افطاره ونومه قالوا واذا كان يزيد عنده
بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد من المراياة من
قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبلاة بان يرى
حالها التى عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها
وان تجتلب ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم عندهم
واذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا صفة
المخلصين فمجانبة هولاء الناس اصلح للقلوب واسلم للدين
وفى معاشرة امثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين

لان هذه اسباب الريا وفي الريا حبط الاعمال وخسران راس المال
والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضه يقول من عاشر
الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما
هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في
اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير لها
الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع اخر
من كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة اعماله او واقفا مع
اكمل احواله دل على جهله بهذه الطريق التي تنفذ الى التحقيق لانها تحول
وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة في الاصول فان اقترن
الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو
منزلته وتحسن عنده اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن
حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه
لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف
فيكون هذا الصاحب حينئذ اشأم الناس عليه واضرهم له ويصير
احدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد
النقصان بصحبته وتدخل عليه الافات بمقارنته وليتفرد بنفسه ويصدق
في حالة عالية كانت او دنية وضيعة كانت او رفيعة من غير مقارنة
احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل على ارادة صاحب
الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه على قوله لا تصحب من لا

ينهضك حاله ما عقب به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون
الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى
عبودية ودلالة قال سهل بن عبد الله رضه احذر صحبة ثلاثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين
وقال يوسف بن الحسين الرازي رضه قلت لذي النون المصري من اصحب
فقال من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضه اصحب
الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع
يعظمونك به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد رضه اذا
اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي رضه
شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال مرة شر
الاصدقاء من تكلف له وانشدوا ليوسف بن الحسين الرازي رضه

احب من الاخوان كل مواتي * وفي غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر احبه * ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني قد وجدته * فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع
للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا
من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها احد وسريان
ذلك الى الصاحب من المصحوب هو غاية الامل والمطلوب وقد قيل
من تحقق بحالة لم يخل حاضروه عنها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد

الرائحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمؤانسة
وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا غير الله
ولا يشهد مع الله سوى الله لقد سخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل
شيء ولم يسلط عليه شيء يأخذ النصيب من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء
يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد عن كل شيء وكفاه واحد
من كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها وما اشرف
حال من اتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم وفي صحبة
امثال هولاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات
وانواع المكابدات حتى يبلغ من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط
به علم عامل ناقل قال سيدي ابو العباس المرسي رض ماذا اصنع بالكيمياء
والله لقد صحبت اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا
للوقت فمن صحب هولاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال ايضا رض والله
ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا
لقوه كان بغيتهم وقال ايضا رض الولي اذا اراد اغنى وقال ايضا رض والله
ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد اغنيته وقال فيه شيخه ابو
الحسن رض ابو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه الرجل البدوي يبول
على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وصله الى الله وسيأتي طرف من ذكر
حال المؤلف رحمه الله في صحبته وما اوصله اليه بركة رويته عند قوله كل
كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز **ربما كنت مسيئا فاراك**

الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوأ حالا منك هذه اعظم آفة
تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهو استحسانه
بما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورويته لاحسانها وهو
اصل كل شر كما تقدم **ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب
راغب** مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين
في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق وما
صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحس فهو قليل على
التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص
اعمالهم من مراياة الناس والتصنع لهم بطلب الاعواض الدنيوية عليها
منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول اعمالهم فيتوفر قليلها بسبب ذلك
ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم
بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من اعمالهم لوجود
النقصان فيها وقد قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رض كونوا
لقبول العمل اشد اهتماما منكم للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف
يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من
وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا فسمي الخالص كثيرا
وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة
لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال يراءون

الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود رضه
انه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر
الدهر ابدا سرمدا وقال بعض الصحابة رضه لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا
واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم
ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة رضه تابعنا الاعمال كلها
فلم نر في امر الاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضه
سالت معروفا الكرخي رضه عن الطائعين لله تعالى باي شي قدروا على الطاعة
فقال باخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان شي منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال
ابو عبد الله القرشي رضه شكا لبعض الناس رجل من الصالحين انه يعمل اعمال البر
ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لان عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد
للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يوثر دخوله الا فسادا
وكان ابو محمد سهل رضه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المومنين
ثواب اعماله قال ولا ياتي في القيمة احد افضل من ذي زهد عالم ورع حسن
الاعمال من نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات
الانزال حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط واداب عبودية لله تعالى
لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل
والدعاوي موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو
ارتقاء القلب بما نزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث
ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتبة بعضها على

بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضه لا بد في كل مقام من مقامات
اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام
الذي ذكره المولف نوع استدلال على ما قاله في الزاهد والراغب لا
تترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد
من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة
الى ذكر مع وجود ~~حضور~~ يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع
وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور
وما ذلك على الله بعزيز الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود
ولاية كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب
الذكر فقد عزل وقال الشاعر ٭ الذكر اعظم باب انت داخله ٭
لله فاجعل له الانفاس حراسا ٭ قال الامام ابو القسم القشيري رضه الذكر عنوان الولاية
ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية
فليس وراء الذكر شي وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها عن الذكر
وفضائل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني
اذكركم وقوله تعالى فيما يروي عنه رسوله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي
وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة لكان في ذلك الشفا
والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه انه غير موقت

بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره
من الطاعات قال ابن عباس رضه لم يفرض الله تع على عباده فريضة الا جعل
لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم
يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز من
قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تع يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر
وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضه الذكر الكثير
ان لا ننساه ابدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله تعالى
حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد ان يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق
فيه جميع اوقاته ولا يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته فيه فان
تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله تع بلسانه وان
كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة
وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع
وجود الحضور وهذه صفة العلما ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الغيبة
عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الاوليا قال الله تع
واذكر ربك اذا نسيت ما دون الله عند ذلك يكون ذاكرا الله تعالى
وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان
وفي هذا المعنى انشدوا
ما ان ذكرتك الا هم يلعنني ۰ سري وقلبي وروحي عند ذكراكا

اي اذا نسيت م

تلقيني

حتى كان رقيبا منك يهتف بي ۰ اياك ويحك والتذكار اياكا
اما ترى الحق قد لاحت شواهده ۰ وواصل الكل من معناه معناكا
وقال الواسطي مشيرا الى هذا المقام الذاكرين في ذكره اكثر غفلة من الناسين
لذكره لان ذكره سواه قال ابو العباس بن البنا في كلام ذكره على
مقدمة كتاب ابي العز تقي الدين المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار
العقلية في الكلمات النبوية ورايت هذا الكلام بخطه رحمه ومن
احسن الذكر ما ج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر
الخفي عند المتصوفة على الاستهتار والتمكن في الاسرار واما قولهم حتى
يتمكن المذكور الى حالة يستغرق به عن الذكر فليس ذلك بمعنى حلول
ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان عوز ذلك ان يكون القلب
عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله تع جل ذكره فيصير
القلب بيت الحق ومليا منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبر وحينئذ
يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان
يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به فقد استولى
المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه
وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك
يخرج الذكر من غير تكليف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة
من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله تع

الله م

ح

يعني ملازم

قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحق واصبح فواد ام موسى فارغا
اى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى وكادت ان تبدى به من غير
قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها للتصريح بذكره صبرا بما ربط الله
على قلبها لتكون من المومنين بما اوحى اليها من قبل فى شان موسى
وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذى ذكره ابو العزو وصفه
بالعظم وهو اجتماع الضدين فى بادى الراى وهما الذكر والغفلة عن
الذكر وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا
والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بايات الله فتكون من
الصم البكم فى الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه البعد والعدم ولا
يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه
الغيبة بوجه ولا يتصف باحوال المحدثين ولا يجرى عليه احكام المخلوقين
فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شئ
واقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشية فيه
والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه اوصافها واوجد
الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلى الكبير انتهى كلام الشيخ ابى
العباس رحمه الله تع فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو فى
غاية الحسن والتحقيق مشير الى توحيد الخواص من اهل هذه الطريق فلا ينبغى
ان يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على
الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحسن الاسباب ومن الله تع رفع الحجاب

وقال رض **من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات
وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات** القلب اذا كان حيا بالايمان
حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى
هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب
المعاصى والسيئات وقد جاء فى الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته
فهو مومن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم
على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل ان اعمال العبد
الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضى الله تع على العبد وسخطه عليه
فاذا وفق الله تع عبده للصالحات سره ذلك لان ذلك علامة على
رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصى ساءه
ذلك واحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجا
يبعث على الاجتهاد فى الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن
على ما فاته منها امنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة فى
اجتناب المعاصى والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم
عليها اياسا وقنوطا وفى حديث عبد الله بن مسعود رض قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه آت فلما حاذانا
وراى اجتماعنا اناخ راحلته ثم مشى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اوضعت راحلتى من مسير تسع فسرتها اليك ستا
واسهرت ليلى واظمأت نهارى وانضيت راحلتى لا اسالك الا

عن اثنتين أسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت فقال أنا
زيد الخيل قال له النبي صلى الله عليه وسلم بل انت زيد الخير سل فرب معضلة
قد سئل عنها قال جئت اسال عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا
يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يا زيد قال أصبحت
احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت
عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد فلو اراد بك الله
للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم
ارتحل ولم يلبث لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تع
فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه عظم الذنب عند مرتكبه
على وجهين احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه
وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات
ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله بن مسعود رض ان المومن يرى ذنوبه
كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب
وقع على انفه قال به هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت
كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله والثاني ان
يعظم عنده عظمة توقعه في الاياس والقنوط وتوديه الى سوء الظن بالله تع
فهذه مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب
ذلك وجود جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه
وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله تع حق المعرفة لاستحقر

ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد او قيمة حتى يبلغ في ذنب لا
يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفره له قال في التنوير واعلم لا بد في مملكته
من عباد هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة
وانهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون حتى يستغفرون الله تعالى
فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء
رجل الى الشيخ ابي الحسن رض فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا
من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون
هذا فقال يا هذا كانك تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان
لا يعصى الله في مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان لا تكون شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب كثرة اسائته وذلته في الغفلة
اوجبت له الرحمة من ربه فكن له راحما بقدر ايمانه وان عصى عالما انتهى
فلا ينبغي للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه الى ان يلقي بيديه
اياسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه ان يتوب
الى ربه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تع في تسليطه عليه وتخليته بينه
وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير
للمومنين من العجب ما خلى الله تع بين مومن وبين ذنب ابدا
فنبهك بهذا على ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم
حجاب بين العبد وبين مولاه ولان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى

ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك وساكن له بخلاف
الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجا الى الله تع والفرار اليه
عن نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تع والذنب يصرفه اليه والعجب
يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يوديه الى الاستغنا
والذنب يوديه الى الافتقار واحب اوصاف العبد الى الله تعالى
افتقاره اليه واشرف احوال المومن مايرده اليه ويقبل به عليه **لا صغيرة**
اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذا ظهرت الصفات
العدلية بطلت اعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من ابغضه
ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الفضل
لمن احبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ
رض ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم حسنة واذا نالهم فضله لم يبق لهم سيئة
ومن دعائه رض الهي ان احببتني غفرت سيأتي وان مقتني لم تقبل
حسناتي وما احسن قول سيدي ابي الحسن رض في دعائه ومناجاته
واجعل سيأتنا سيئات من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من
ابغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب
منك وسيأتي من مناجاة المولف في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من
طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني
منها فضلك **لا عمل ارجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر**
عندك وجوده في النسخ الموجودة بايدينا لا عمل ارجى للقلوب ومعناه

على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة لا تبعث اليه القلب
ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتحرره من رق
رويته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله فيكون ذلك على حذف مضاف
تقديره لا عمل ارجي (تصلح) القلوب اوما في معناه وسيأتي من كلام المولف
ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه
عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم الخ والغالب على الظن ان الذي
قصده المولف وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب
حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه ان نقول
سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لان صاحبه متق لله تع
وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات
باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه
اذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه
وان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له
وغافلا عن شهود منة الله تع عليه في توفيقه له اوقعه ذلك في
العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال ابو سليمن رض ما
استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رض كل
من افعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على انه لم يقبل
منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك
فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل

فكان نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تع اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال بعضهم رفع الحق تع ذلك
العمل انه لا يبقى عندك منه شئ فانه اذا بقى في نظرك منه شئ لم يرفع اليه
لبينونة بين عبديتك وعنديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده
نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قوله
إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الوارد عبارة عما يرد على
القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة
عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث باقذار الاغيار فاذن انما
اورده عليك لتكون به عليه واردا أورد عليك الوارد ليتسلمك من
يد الأغيار وليحررك من رق الآثار الآثار والاغيار غاصبة ومسترقة
لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما
اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك عن ملكية
من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تع من المثل
للكفار في قوله عز وجل ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن تسلم من يد الاغيار وحرر من رق الآثار
لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة فلكان سلما لله عز وجل أورد عليك
الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك سجن وجوده
هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده ان يغيب عن ذلك

بشهود عظمة الله تع وجلاله ورؤية قيام حركاته وسكناته به قال
ابو القسم النصرابادي رضه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في
راحة الابد وسيأتي من كلام المولف في معنى قوله سجن وجودك
الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته
ومحصور في هيكل ذاته الأنوار مطايا القلوب والأسرار انوار الايمان
واليقين مطايا حاملة للأسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب
وتلك هي الواردات المذكورات النور جند القلب كما أن الظلمة جند
النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد
الظلم والأغيار نور التوحيد واليقين وظلمات الشرك والشك جندان
للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا اراد الله نصر عبده امد قلبه بجنوده
وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا اراد الله خذلان عبده فعل العكس
فاذا مال القلب الى العمل بامر محمود مولم في الحال متلذذ به في المآل
ومالت النفس الى العمل بامر مذموم متلذذ به في الحال مولم في المآل
وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من امر الله تع ورحمته الى
نصرة القلب وبادرت الظلمات التي هي من وسواس الشيطان
ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد
من الله سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تع واستهان العاجلة
ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه في الحال لما
يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ

بالله تخلّي القلب عن النور واعمه الظلمة عن منفعة الآجل واغترّ بلذة
العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل لما يحصل لها من لذة
الحال وعند التقاء الصفوف والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد
الا فزعه الى الله تع ولياذه به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته
به من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمسة من قوله انما اورد عليك
الوارد لتكون عليه به واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها
بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب رض النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له
الاقبال والادبار هذه الفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف
المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي باطن القلب تفيد
الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة
وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة لا تفرحك الطاعة
لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعات
على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو
الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من
حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا فرح
مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها
على هذا الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في آخر الكتاب انواع الفرح بالنعم

وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة قطع السائرين له والواصلين
اليه عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا
الصدق مع الله فيها واما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها
لقد اسبغ الله تع نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه ابقاهم معه
ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك
بهم كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون
قطعهم عن ذلك بشهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره
اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم
بالصدق مع الله تع والبراءة من الدعوى فهم ابدا متهمون لانفسهم في توفية
اعمالهم وتصفية احوالهم قال النهرجوري رض من علامة من تولاه
الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره والنقصان
في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع احواله
عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله تع في قصده وسيره حتى يفنى عن
كل شيء دونه وقال ابو عمرو بن نجيد رض لا يصفو لاحد قدم في العبودية
حتى تكون افعاله عنده كلها رياء واحواله كلها عنده دعاوى وقال
ابو يزيد رض لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء والى هذين
المقامين تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي رض وذلك انه لما دخل
نيسابور سأل اصحاب ابي عثمان رض بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان
يامرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية

المحضة فهلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ
ابو القسم القشيري رحه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب
لا تعريجا في اوطان التقصير او تجويز الاخلال بادب من الاداب وقال رض
ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت
النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تع والنخل باسقات والاغصان جمع غصن
وهو ما يتشعب عن سوق الشجر وجمع ايضا على غصون والبذر الحب الذي
يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من اعظم افات النفوس وعيوبها
القادحة في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه محض تعلق بالناس
والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذلة والمهانة ما لا
مزيد عليه ولا يحل للمومن ان يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي
يقتضي وجود العزة والعزة التي اتصف بها المومنون انما تكون برفع
هممهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هي
العزة التي منحها الله عباده المومنين قال الله تع ولله العزة ولرسوله
وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين كذلك الذلة من اخلاق
الكافرين والمنافقين قال الله تع ان الذين يحادون الله ورسوله
اولئك في الاذلين قال ابو بكر الوراق الحكيم رض لو قيل للطمع من ابوك
قال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما
غايتك قال الحرمان وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري من اشعر
نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل

وبذله هلك وقديما قيل : اتطمع في ليلى وتعلم انما :
يقطع اعناق الرجال المطامع : فالطامع لا محالة فاسد الدين مفلس
من انوار اليقين قال في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر
ما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع منهم بسبعة
ابحر ما طهره الا الاياس منهم ورفع الهمة عنهم قال رض وقدم علي بن ابي طالب
البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى
الحسن البصري رض فقال له يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبتني عنه
ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا
فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما
فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت
شيخنا رض يقول كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت الى
بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي
فلعله لا ياخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع
في المخلوقين وقال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان
حروفها كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها
المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمتك ووجودك
وتقدم ثبوتك ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر
لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تاكله
بذل قلت تقدم الان من كلامه في التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع

وكذلك في جواب الحسن لعلي رض لما ساله متخبرا عن صلاح الدين وفساده
في الكلام الذي حكاه عنهما فلا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس
وهو ترك المشتبهات والتحرز من اقتحام المشكلات لا تقابل الطمع
كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم
صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف
الهم عليه وطمانينة القلب به ولا يكون له ركون الى غير ولا انتساب
الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل
عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن البصري رض في جوابه المذكور
قال يحيى بن معاذ رض الورع على وجهين ورع في الظاهر ان لا تتحرك
الا بالله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله وذكر ان
بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا من هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه
ويحتال على التوصل اليه بان ياخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويقصد به الفقرا
والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ لا لك فكانوا
ياخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده بكلامه الى ان
ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال
لاحدهم خذ لا لك فقال اخذه لا منك فان كان للعبد استشراف
الى خلق او سبقه نظر اليهم قبل مجيء الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع
والواجب في حق الادب ان لا ينيل نفسه شيئا مما ياتيه على هذا الحال
عقوبة لنفسه في نظره الى ابناء جنسه كقصة ايوب الحمال مع احمد بن

حنبل رض وهي معروفة وكما روي عن الشيخ ابي مدين رض انه اتاه حمال
بقمح فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من اين هذا فقال لها انا اعرفك
من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقرا
عقوبة لها لكونها رات الخلق قبل روية الحق تعالى وقد قيل احل
الحلال ما لم يخطر على بال ولا سالت فيه احدا من النساء والرجال
وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الغرض الذي قصدناه
شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتاخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوي
فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في
اخذ او عطا او قبول او رد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان تاتي
اليه طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال
وان لا يكون بينه وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة
لانه لا يدري ايا كله ام لا وقال ايضا الورع ان لا تتحرك ولا تسكن
الا وترى الله في الحركة والسكون فاذا رايت الله ذهبت الحركة
والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيئا
الا رايت الله فيه فاذا رايت الله ذهبت الاشياء وقال ايضا اجمع العلماء
ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام
التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه الى غير
هذا من العبارات التي عبر بها في هذا المعنى وقال بعض هذه

الطائفة العبيد كلهم يأكلون ارزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات
فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل
رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا اذلة
فاما الذين يأكلون ارزاقهم بذل فالسؤال يشاهدون ايدي الخلق
فيذلون لهم واما الذين يأكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع يأكل
احدهم رزقه بمهنته وكده واما الذين يأكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار
ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره واما
الذين يأكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا اذل فالصوفية
يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزه وقال سهل بن
عبد الله رحه ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب مع الاسلام
قال الشيخ ابو طالب رضه معناه ليس في حقيقة الايمان روية
الاسباب والسكون اليها انما رويتها والطمع في الخلق يوجد
في مقام الاسلام وبه عقد المؤلف رحه في لطائف المنن فصلا في
هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الاداب الدينية اصلا ومبنى فرأينا
نقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله تعالى بنجاح
الامل قال رحمه الله واعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا
قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب
لغيره او تمتد اطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم
عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب

ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات
والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا
او توقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الاخرة صدقا
قال الشيخ عثمن بن عاشور اخرجت من بغداد اريد الموصل فانا اسير
واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها
ومزيناتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها
وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمن لو وقفت مع الاولى لحجبناك
عن الثانية ولو بقيت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من
الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بشرقي الاسكندرية
حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية
فاذا علي بقايل لي انك العام المقبل عندنا فقلت في نفسي اذا كنت العام
المقبل ههنا فلا اعود الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى اليمن فاتيت
الى عدن فانا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا بضائعهم ومتاجرهم
ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي
لم اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا علي بقايل لي من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة
يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه
واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله
والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم
اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون

ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون
ولا يتحركون الا بالله ولله ومن حيث يعلمون بهم بهم العلم على حقيقة الامر فهم
مجموعون في عين الجمع لا ينصرفون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما
ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع
عليهم ومن لم يكن بعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف بدعوى
وميراثه التقذر للخلق والاستكبار على مثله والادلال على الله بعمله فهذا هو
الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن
هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزد بعلمه وعمله افتقارا لربه
وتواضعا للخلق فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم
عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه
هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل اوليائه ومن عليك بمتابعة
احبائه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رض هل كان يصل فهمك الى مثل هذا
النوع من الورع الاترى قوله حتى انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن
الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة
فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذي ينشأ عن سوء
الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعاني ههنا تتميما للفائدة
المتعلقة بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي
مزيد بيان فيها في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى
الاخذ من الخلائق الخ فانظر فيه ما قادك شيء مثل الوهم الوهم

امر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور
الوهمية الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة
بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن
الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا
فلا تتعلق هممهم الا بالله تع ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط
اعتبار الاوهام والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال
عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحيوة الطيبة
والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من
بداية احوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو
جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه اهل الدنيا من الاتساع والنعمة
وعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تع فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة
أَنْتَ حُرٌّ مِمَّا أَنْتَ مِنْهُ آيِسٌ وَعَبْدٌ لِمَا أَنْتَ فِيهِ طَامِعٌ الطمع في الشيء دليل
على الحب له والاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس من
الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد
واليائس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا المطامع
الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لا خطر له وقيل ان العقاب يطير
في فضاء عزه بحيث لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول
اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزل الطمع من مطاره فيعلق

بالشبكة جاحة فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتح الموصلي رضه كان قاعدا
فسئل عن متابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز
بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه
اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال صاحبه نعم فجعل خيطا في
فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل اما انه لو رضي بخبزه ولم
يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له
فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادام فاخذ يتمنى بقلبه ان ليت
كان له ادام يقدمه الى استاذه فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله الى
باب الحبس فرأى الناس يضرب واحد ويقطع اخر ويعذب كل واحد
بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هولاء الذين لم يصبروا
على الخبز القفار وقيل ان رجلا خرج من السجن وفي رجله قيد يسال الناس فقال
لانسان اعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك
ورأى رجل رجلا من الحكما ياكل ما تساقط من البقل على راس ماء فقال لو
خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم
تحتج الى خدمة السلطان وقد اردت ان اذكر ههنا حكاية مناسبة
لما نحن فيه ليتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية
في اخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة الله تع
في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا
فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر

وهيئة ومروة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه
القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه
طينا واثرت العصم في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال
الكم غيرها قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكر الله
كثيرا ثم اعتزل وقعد ياكل اكل جائع فادركني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام
طيب كان عندنا واكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص
بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي
فورة جوع فما ابالي باي شي رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى
جنبي اتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد
المطلب هذا من ولد سليمن بن ابي جعفر المنصور كان يسكن البصرة
فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له اثر قال فاعجبني قوله ثم تجعت به
وآنسته وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك
فاحببت الاتصال بك فهل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي
فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان لي معدا ثم انس الي وجعل يحدثني
فقال انا رجل من ولد العباس وكنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد
وتجبر وبذخ واني امرت خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة
بورد نثير فبينما انا نائم اذا بقمع وردة قد اغفله الخادم فقمت اليها
فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني
آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال افق من غشيتك وابصر

القوبه

من حيزتك ثم انشا يقول ٭ ياخذنك ان توسد لبنة ٭
وسدت بعد الموت صم الجندل ٭ فامهد لنفسك صالحا تسعد به
فلتندمن غدا اذا لم تفعل ٭ فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي
الى ربي هاربا فهذا خبري قال الراوي فلما قضى حديثه انحبس عني ومضى
مَنْ لَمْ يُقْبِلْ عَلَى اللهِ بِمُلَاطَفَاتِ الْإِحْسَانِ قِيدَ إِلَيْهِ بِسَلَاسِلِ الْامْتِحَانِ
النفوس الكريمة تقبل على الله بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه
والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب
في الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي
والقيود
ابو مدين رضه سنته عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق
ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمه فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء
لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا او كرها
مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِهَا
شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب
لزوالها وانفصالها قال الله تع ولئن شكرتم لازيدنكم وقال ان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات
وهي شكر النعم غير الله تع ما منه من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء
العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر
قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا ادعيت بالشكر
فهي اطواق واذا ادعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثة اوجه

شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب ان يعلم
ان النعم كلها من الله عز وجل قال تع وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان
الثناء على الله تع وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها
ونشرها قال الله تع واما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضه تذاكروا
النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسائط بالثناء عليهم
والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن
اسامة بن زيد رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم
للناس وسياتي الكلام على هذا المعنى في اخر الكتاب ان شاء الله تع عند
كلام المولف عليه وشكر سائر الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى
اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسال رجل
ابا حازم رضه وقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته
واذا رايت بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا
وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما
ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون
اسفله صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تع والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير

ملوم من قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيئا غبطته استعملتهما
فيه وان رايت شيئا مقته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تع فاما
من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فاخذه
فضمه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات
للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان
والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضه حين سأله السري قال الجنيد
كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون
في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال
يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة
خَفْ من وُجُودِ احْسانِهِ اليكَ ودَوامِ اسائَتِكَ معَهُ أنْ يَكُونَ ذلكَ استدراجا
لكَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ الخوف من الاستدراج بالنعم من
صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من
صفات الكافرين يقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة
والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة
وهذا من المكر الخفي قال الله تع سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا
يشعرون بذلك وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شي وليسوا
كذلك ليستدرجهم في ذلك شيئا شيئا حتى ياخذهم بغتة كما قال تع
فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب
كل شي اي فتحنا عليهم اسباب العوافي وابواب الرفاهية حتى اذا

فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها
الينا اخذناهم بغتة اي فجاءة فاذا هم مبلسون اي آيسون
قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضه في قوله تع سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى
النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطا كلما احدثوا خطيئة جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة مِنْ جَهْلِ المُرِيدِ أنْ يُسيءَ
الأدَبَ فَتُؤَخَّرَ العُقُوبَةُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَوْ كَانَ هَذا سُوءَ أدَبٍ لَقَطَعَ الامْدادَ
وَأَوْجَبَ الابْعادَ فَقَدْ يُقْطَعُ المَدَدُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ الا
مَنْعَ المَزِيدِ وَقَدْ يُقامُ مَقامَ البُعْدِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي وَلَوْ لَمْ يَكُنْ الا
أنْ يُخَلِّيكَ وَما تُرِيدُ هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء
ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة
ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب
والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل
الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءة الادب بين
يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية المؤجلة اشد
على المريد من العقوبة الجلية المعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره
من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب
الذي ذكرناه فاذا ابتلي به المريد ولم تدركه رحمة الله تع في الحال العتيد
كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه

وتبدل الانس بالوحشة والانساخ الضيا بالظلمة ولم تمكنه بعد ذلك معاودة
الحال الاول لانه اذ ذاك ينقطع عنه الامداد المتصلة والواردات المتحصلة
فينكسف عنه حينئذ شمس العرفان ويستتر عنه المكشوفات والبيان وهذه
جنود الله تع في قلب العبد فاذا فقد النصرة من الله تع بذلك ووقع في
الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساه الذكر وحاق به سيئ المكر
ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج عن دائرة الصفوة المختارة
ونعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوائل الامور
وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذى ذكره المولف ليقتضى توجه هذه
العقوبة اليه ضربة لازب لان قوله لو كان هذا سوء ادب الخ دليل
على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد
الذى اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد
عندما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من مكره
ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى ابو العباس رضه
كل سوء ادب يثمر ادبا فهو ادب وهو الذى اوجب له ايضا التخلية
بينه وبين ما يريد الذى اقتضاه اقامته مع البعد اذ لو كان
مقام
مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما لها في ارادتها
وكان واقفا مع مراد الله به فان اقدم على امر بارادته وشهوته تداركه
الله تع بالعصمة وعوق عليه ما اراده وسد عليه مسالكه ولم يخله
وما اراد من ذلك ويقال من التوفيق ثلاثة دخول اعمال البر

عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها
وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تع في كل الاحوال ومن علامة
الخذلان ثلاثة تعسر الطاعة عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي
عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تع وترك الدعا
في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال
ابو حفص رضه التصوف كله اداب لكل وقت ادب ولكل حال
ادب ولكل مقام ادب فمن لزم اداب الاوقات بلغ مبلغ
الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث يظن القرب
ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف رضه
قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال
بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد الادب في الظاهر
الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا
وقال ذو النون المصري رضه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه
يرجع من حيث جا وقال النوري رضه من لم يتادب للوقت فوقته
مقت وقال ابن المبارك رضه نحن الى قليل من الادب احوج منا
الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب
فقيل له ومن ادبك قال الصوفية والاداب اللازمة للمريد عامة
في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن واداب
الباطن هي التحلي بمحاسن الاخلاق في الحديث عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن ادبي ثم امرني بمكارم الاخلاق
فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل له
ذلك بعد توفيق الله وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطا
النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة الادب فالنفس
تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة
فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة
والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة كريم السجية
سهل المقادة لا يحتاج في ذلك الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص
يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة
وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات
لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب بادابهم
واتباع اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لا يصح له
الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك
لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رح بماذا يقوم الرجل اعوجاجه
فقال بالتادب بامام فان لم يتادب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد
على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره
انوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب
حتى تنتهي الى المحافظة على تجنب امور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون
ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه ويعاقب من

اجله قال سري رض صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي
في المحراب فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت
وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد رض فبقي ستين سنة ما مد
رجله ليلا ولا نهارا وقال ابو القسم القشيري رض وكان الاستاذ ابو
علي لا يستند الى شيء فكان يوما في جمع فاردت ان اضع وسادة خلف
ظهره لاني رايته غير مستند فنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى
الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة فقال لا اريد الاستناد
فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا وقال ابو القسم الجنيد
رض كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد
على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك
يسال الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به
فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل حتى البكاء والصلوة
وغيره فثقل على جميع اورادي فسهرت ليلي وانا قاعد فغلبتني عيني
فرايت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد
اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته انما قلت في نفسي شيئا
فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فاصبحت
ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الماء عند تراد الماء
اوراقا مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القسم
فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من ادابهم رضي الله عنهم

والظاهر ان مراد المولف رحمه الله باساة الادب ما كان فيه نوع من
الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفات المولى وانبساطه
وادلاله في موقف الهيبة والحيا وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه
وقوع الاستدراج ولكن ينبغي للمريد ان لا يتهاون بشيء من الاداب
ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار به من وجود مخامرة
الجهل وعدم المعرفة بالله تع وهو افتح انواع سوء الادب فان وقعت
منه اساة ادب فليكن خائفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى
التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية ان يوجه اليه العقوبة
من حيث لا يشعر واكد ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات
هذه الجملة التي ظهر لنا انها مراد المولف رحمه الله من انواع سوء الادب
ان يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تع وتعاطي التدبير معه
والتبرم باحكامه المولمة له في نفسه او غيره وان يسرح لسانه بالشكوى
والعيب لما لا يوافق هواه او نقص في نظره مما ذراه الحق فان
خطر بباله او جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار
منه والتفصي عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من احسن الحسنات وافضل
القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعم
والعطا كما ان توطئته عليه وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر
ذنوبه ويوديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع في دركات النار
نعوذ بالله من ذلك صنع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له

خبرا ثلاثة ايام فقيل له لو سالت الله تع ان يرده عليك فقال اعتراضي
عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادات اذنبت
ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل
التوبة من ذلك الذنب قال وما هو قال قلت مرة لشيء ليته كان وقال
بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول
لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رض فقال اللهم
عافني فسمع هاتفا يقول مالك والدخول بيني وبين ملكي ومن مقتضياتها
ايضا ان يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان
يترك تعظيمهم واحترامهم وان لا يقبل اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا
عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم
لا يفلح قال ابو القسم القشيري رض من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه
بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من اهل السلوك
قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خامر
قلبه على بعض شيوخه في بعض اوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين
قال وفي الخبر الشيخ في اهله كالنبي في امته وكذلك من سوء ادبه تصدره
للتعليم والهداية وتصديه للامرة والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة
وتربيته للكبر والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بما يسره ان
يكرم ويعظم ويتبرك به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من
اضر الاشياء وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه

واتهام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه قال ابو عثمن رضه لا
يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيا وانما يرى عيوب نفسه
من يتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي رضه من استحسن
شيا من احواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى
ابتدائه فيروض نفسه ثانيا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضه سمعت جدي
يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من
نفسه مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستيصال عروقه من قبل ان
يستحكم ذلك فيه ويرسخ فبدايات الامور هي التي ينبغي ان تراعى كثيرا
ومن انواع سوء ادب المريد المفضي الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة
الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط
الرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا قالوا اذا رايت المريد انحط عن
رتبة الحقيقة الى رخصة الشريعة فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ
عقده بينه وبين الله قال ابن خفيف رضه الارادة استدامة الكد
وترك الراحة وليس شيء اضر على المريد من مسامحة النفس في قبول الرخص
والتاويلات وقال يوسف بن الحسين رضه اذا رايت المريد يشتغل
بالرخص فاعلم انه لا يجي منه شي وقال ابو اسحق ابرهيم بن شيبان رضه
من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ونعني بالرخص ههنا ما كان مضادا
لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المالوفات
والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات

شيأ منه

والتاويلات فان حال المريد يقتضي مباينة لهذا كله وان كان بعض
ذلك مما جا في رخصة الشرع لعامة الناس كان ابرهيم الخواص رضه يقول
الا ان هذه الشهوات التي اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورهم
وفترت ابدانهم بعد اجتهادهم وحجبت قلوبهم بعد قربها واطالت امالهم
بعد قصرهم وانسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتواطوا الفرش بعد
الترك لها فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرهم بعد باطنهم
فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو سليمن
الداراني رضه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اني انما خلقت الشهوات
لضعفاء خلقي فاياك ان تعلق قلبك منها بشي فايسر ما اعاقبك به
ان انزع حلاوة حبي من قلبك وفي اخبار داود عليه السلام يا داود
تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب
محبتي عنك اقطع شهواتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي
ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي
فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك
عالما سكرانا يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على
عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم
يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك
وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة وقال ابرهيم بن ادهم رضه لن
ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق

باب النعمة ويفتح باب الشدة والثاني ان يغلق باب العز ويفتح
باب الذل والثالث ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع
ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس ان يغلق باب
الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق باب الامل ويفتح
باب الاستعداد للموت وقال ابرهيم الخواص رح كنت في جبل
اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت منه واحدة
فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام
يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء
فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك ويقيك من هذه
الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يقيك شهوة الرمان
فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يوجد
المه في الدنيا وقال السري رضه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة
او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما كان ترك
الشهوات والارادات من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه
الوفاء به وكان عمله على خلافه نقصا وفسخا كما تقدم وقال جعفر
بن نصير دفع الي الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته
فلما افطر اخذ واحدة فوضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له
في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف اما تستحيي شهوة تركتها من

صح والشهوات

اجله ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابرهيم قال لقيت ابرهيم بن ادهم رضه
بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من
الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده فقلت له اي شيء هذا البكاء
يا ابا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فلما اكثرت عليه
قال يا شقيق استر علي فقلت يا اخي قل ما شئت قال اشتهت نفسي
سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني
النعاس فاذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة
سكباج قال فاجتمعت بهمتي عليه فقرب مني وقال يا ابرهيم كل فقلت
ما اكل شيئا قد تركته لله تعالى قال فاذا اطعمك الله تعالى تاكل فما كان
لي جواب الا ان بكيت فقال لي كل رحمك الله قال ابرهيم فقلت له قد
امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال لي كل رحمك الله
فانما اعطيته وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابرهيم بن ادهم
فقد رحمها الله من طول صبرها على ما تحملها من منعها اعلم يا ابرهيم اني
سمعت الملائكة يقولون من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت
ان كان كذلك فها انا بين يديك لا احل العقد مع الله عز وجل
ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه انت فلم
يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت
ارني كفك فاخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع
الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي

فلو سهم من محبة اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يدا ابرهيم الى السما
فقلت بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجدته منك
جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق
ذلك قال فقام ابرهيم رض ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام
لعبد الواحد بن زيد رض ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها
قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان
تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له
بعض اصحابه لا ابكى الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه
فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هوا اذا ترك شيئا
لم يعاوده ابدا وقال احمد بن ابي الحواري رض اشتهى ابو سليمن الداراني
رض رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال
عجلت لي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة
فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تع وقال ابو بكر الجلاء رض
اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني
بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان اطوي عشرة ايام
ولكن اتركي هذه الشهوة وقال ابو سليمن رض ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال ابو حامد الغزالي
رض وقد اشتد خوف السلف رض من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين
النفس عليها وراوا ذلك من علامة الشقاوة وراوا ان منع الله تع

منه غاية السعادة حتى روي عن وهب بن منبه رض قال التقى ملكان
في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين فقال امرت بسوق حوت
من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت
اشتراه فلان العابد قال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من
علامات الخير قال ابو حامد رض والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم
فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسر اسباب ذلك ويكون ذلك من الله تع
ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت
ذلك وفسدت واذا اتفق منه كسر فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس
بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد عليه به الرياضة
بالكلية هذا كلام الامام ابي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فليعمل عليه
ايها المريد وقد يعجل الله لبعض هولاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال
ابو تراب النخشبي رض ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة
تمنت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي
وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم
فقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي فحملني رجل منهم الى منزله وقدم
الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي كلي بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى
ابو الخير العسقلاني رح السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال
فلما مد يده اليه لياكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت

في ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد
يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضه كنت جائعا في الطريق
فوافيت الري فخطر ببالي ان لي بها معارف فاذا دخلتها اضافوني
واطعموني فلما دخلت البلد رايت فيه منكرا احتجت الى ان امرفيه
بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في نفسي من اين اصابني هذا
الضرب وانا على جوعي فنوديت في سري انما اصابك ذلك لانك
سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي
عن ابراهيم بن شيبان رضه انه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من
الخبز والعدس واتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرايت على باب المسجد
قوارير معلقة شبه لمودجات فتوهمتها خلا فقال لي قائل اما تنظر
اليها انها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اضرب
دنا دنا حتى اتيت على الجميع فاخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني
في السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله المغربي البلد
فسمع بحالي فشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شانك قلت شبعة من
خبز وعدس وضرب مائتي خشبة وسجن اربعة اشهر فقال لي نجوت مجانا
اي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت فيه من
سرايرك وكان ذلك رفقا من الله بك قال الامام ابو القسم القشيري
وما اصدق ما قال فان من ادب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة
هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر بالتادب جوهره ومعناه

وحكاية خير النساج رضه المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة
للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم رضه حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال
سالت خير النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت به
قال عاهدت الله واعتقدت اني لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما
فاخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا رجل نظر الي وقال يا خير
اين هربت مني وكان له غلام اسمه خير فوقع علي شبهه وصورته فخنقني
فاجتمع الناس فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا
اخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان فيه ينسج غلامه
وقالوا يا عبد السوء اتهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت
تعمل وامرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على ان اعمل فاخذت بيدي الته
فكاني كنت اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا انسج له فقمت ليلة فتمسحت
وقمت الى صلوة الغداة فسجدت وقلت في سجودي الهي لا اعود
الى ما فعلت فاصبحت فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي
التي كنت عليها فاطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج
اتباعي شهوة عاهدت الله تع ان لا اكلها فعاقبني الله تع بما سمعت
وفي بعض الاخبار ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على
محبته ان احرمه لذيذ مناجاتي وسياتي ان شاء الله تع كيفية مجاهدة
النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا
المعنى كرهوا له التزوج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك

قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك في الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد
قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من اهتم بشيء مما اباحه
العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا
وقال ابو سليمن الداراني رض ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب
معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من
اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابرهيم بن ادهم رض يقول من
تعود افخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا
للرجال وانا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة امر غيره ومراعاة
توفية حقوقه ومعاناة اخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على المريد
حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له في معاناة امر نفسه اعظم شاغل
عن ان يضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما يتسلط على باطنه من
خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التاويلات
والرخص وذلك كله مضاد لحال الفقير المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي
فقد ركب السفينة فان ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافي
رض يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان اكون جلادا على الجسر وفي الخبر
في فتن اخر الزمان قال وفي ذلك الوقت حلت العزلة فقيل وكيف قال
يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل
يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل

جلوادا على الجسر
[illegible]

ابن عبد الله رض اياكم والاستمتاع الى النساء والميل اليهن فان النساء
مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مصائده وخطه من
بني ادم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف الى خط الشيطان ومن جاء عنهن
ليس منه وما مال الشيطان الى احد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر
معهن حيث كن فاذا رايتم في وقتكم من قد ركن اليهن فايسوا منه فقيل له
فحديث النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبي
صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معهن هي عدوة الرجل
ظاهرا او باطنا ان اظهرت له المحبة اهلكته وان اضمرتها له اغوته وان
الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام سهل رحمه الله
وقال حذيفة المرعشي رض كان ينبغي للرجل لو خير بين ان يضرب عنقه
وبين ان يتزوج امراة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امراة
في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤول اليه امر المتزوج من اكتساب الحرام
وارتكاب الاثام في زمن الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة
من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله تعالى فان قارف شيئا من
ذلك المريد فهو داء عضال في حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة اقبح
من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه
في الامانة وقال بعض الانبيا على جميعهم السلام في مناجاته لربه عز وجل لو
عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك فاوحى الله تعالى اليه ليس الذنب
في القرب كالذنب في البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصي حلاوة

الطاعة فقال لا ولا من حم بالمعصية ومن عظم سوء ادب المريد ان يميل
الى اهل الدنيا وان يتقرب منهم وان يصحبهم قال الامام ابو القسم القشيري رح
ومن شان المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون
به وهو ينتقص بهم قال الله تع ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امره فرطا وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث
والشبان وقبول ارفاق النسوان فان التعرض لاستجلاب ذلك منهن
فهو اشد قال يوسف بن الحسين الرازي رض رايت افات الصوفية
في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال الامام ابو
القسم ومن اصعب الافات في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن
ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه
الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو الف الف كرامة اهله
ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم
فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدو حال الهجران نعوذ بالله
من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا على بعض ما يعظم
فيه الخطر والضرر مما حذر منه ائمتنا رض وبالعوائق التوصية به والنهي عنه
وجميع ذلك محتمل لان يكون ذلك مرادا للمولف في قوله من جهل المريد
ان يسيء الادب فرايا ان لا نخلو منه هذا الموضع من هذا التنبيه
لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولي التوفيق **اذا رايت عبدا اقامه**

**الله تع بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن
ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيماء العارفين ولا بهجة المحبين فلولا
وارد ما كان ورد** عباد الله المخصوصون منقسمون الى قسمين
مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم
واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهولاء
هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين حجبوا بقوا مع حظوظهم
وارادتهم واقيموا في الاعمال والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات
في الجنان وهولاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم
ممد في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منهم القيام بحقوق
مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت عبدا اقامه الله تع في اعمال البر الظاهرة
ومواصلة الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة والتيسير
فذلك من اختيار الله تع له فلا تستحقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه
سيماء العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات
بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة
محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالهي
الذي اورده الله تع عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج
عن دايرة عنايته وحيطة رعايته فلم تستحقر خطير ما منحه وتستقل
كثير ما رجحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك
وسياتي من كلام المولف رحمه الله لا يستحقر الورد الا جهول

قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا الحق تع له الاختيار التام والمشية النافذة لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة اقامهم الحق لخدمته حتى صلحوا الجنة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا القربة والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رض الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تع بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكره من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال ابو يزيد رض اطلع الله تع على قلوب اوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم في كتاب حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رض انه قال ان الله تع يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد ان يقسم لهم من نفسه قسمة فلا يجد في قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال ابو العباس الدينوري رض ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فاهلهم والاشارة بالاية الكريمة التي ذكرها المولف رح بينة في هذا المعنى وقال رض قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد الواردات الالهية هدايا من الله تع وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون في الغالب الا

فاهلهم لمعرفته

بغتة اي فجأة لئلا تدعوها ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم ونهيئتهم وتحف الله تع وهداياه مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان تقابل باعمال بر بل هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا لكل ما شهد وذاكرا لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سوال والتعبير لكل مشهود والذكر لكل معلوم امارة على وجود جهل من يتصف بها كما قال اما الاجابة عن كل سوال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تع وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور مع هذا الاجابة عن كل سوال لولا وجود جهله وايضا فانه يجب عليه ان يراعي حال السائل من وجود الاهلية لما سال عنه فيمتنع عن اجابة من لا اهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يساله ان يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت في راس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال حتى اعلمك من غرائب العلم وكما اخذ الله تع على العلماء ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ عليهم ان يصونوه عن غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر امانة الله تعالى عند العبد فاشتهاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين وايضا

منه و

فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارات والايما واستعمال
العبارات فيها ايضاح بها واشتهار لها وفي ذلك ابتذالها واذا [illegible] عنها
ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية
تستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار
والقدح في علوم السادة الاخيار قال ابو علي الروذباري رضه علمنا هذا
اشارة فاذا صار عبارة خفي واما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين
المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان
كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله
انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا
تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار
لا بقاء لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين
احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان يعطيهم من انواع النعيم حسا ولا معنى
اما الحس فلان الدنيا متدانية المسافة ضيقة الاقطار ويعطي الله تع
لآحاد المومنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر
مسيرة سبع ماية عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا
عن كلية جزائهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص
والخساسة والحقارة والاشياء التي يتنعم بها اهل الجنة امور شريفة
رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا
وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما اشبه هذا ويكفي

اسلام

سر
خمس ماية

في هذا قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني ان
الله تع اجل اقدار عباده المومنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار
فانية منقضية منصرمة لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شي بل
اعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به
شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في التفسير
في قوله تع وملكا كبيرا يرسل الله تع الملك الى وليه ويقول له استاذن
على عبدي فان اذن لك فادخل والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين
حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه
من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد
فيه مكتوبا عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق
الى ان يصل الى بساط اللقاء **من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود**
القبول ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك في
كثير الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب
الامر قال بعض العارفين ليس شي من البر الا ودونه عقبة يحتاج
الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة
النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم

وقال ثابت البناني رض كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين
سنة وقال بعض العلماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته
كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى
مقام فوقه وكنت اتلوه كأني اسمعه من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به
فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم
انما ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الريا والدعوى قال ابو
تراب رض اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا
اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه
الصفات مقبولة بفضل الله تع وورد في الخبر لا يقبل الله تع من مسمع ولا
مرائي دليل خطابه ان العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول مع قوله عز
من قائل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تع لعمل العبد ورضاه به
هو ثوابه المعجل كما يقوله المولف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء
عليه في الدار الآخرة حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا
بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال ابو سليمان الداراني رض
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فحصل من هذا
ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا
والجزاء ولذلك قال الحسن رض تفقدوا الحلاوة في ثلثة فان وجدتموها
فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق

عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار
وقيل في قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة
الطاعات ولذاذة المناجاة والاستيناس بفنون المكاشفات
وجنة مؤجلة وهي فنون المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه
الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصية وهي التي
تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على السائل وقال ترى
اعبد من لا اعرفه فقال له او تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم بم تعرف انك
عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال اسمعيل
بن نجيد رض التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فاذن العصيان
في حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة او هفوة بحكم وكان امر
الله قدرا مقدورا وجد لذلك لا محالة مرارة وألما في قلبه فوجدان هذه
المرارة والالم في المعصية علامة صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في
الطاعات فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير
المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا المقام
في بعض العبادات فمدخولة معلولة الا ما فيها من تنشيط المعتاد
للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل
في العمل لا ينبغي له ان يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك
ايضا لا ينبغي له ان يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ
فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن [illegible]

بحصولها ليكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط قال الواسطي رحه
استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي رض
وافق ما في ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها
متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحجب دوامها
لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر
قائما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك ان تكون حلاوة
الطاعة جزاء معجلة في الدنيا فتاتي يوم القيمة ولا جزاء لك **إن أردت**
أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان صحيح وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم منزلته عند الله
فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث
انزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى
الاقامة المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رحه
انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ ابو طالب المكي رض فاذا
كان العبد ينظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته
مسارعا كان الله عز وجل له في آخرته لوجهه مكرما ولشانه معظما والى مسرته
من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد يجفو مولاه متهاونا وبامره مستخفا
ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشانه متهاونا والى
ما يكره من العذاب الاليم مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال
وهب بن منبه رض قرات في بعض الكتب ابن آدم اطعني فيما

امرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي وانما اكرم من اكرمني
واهين من هان عليه امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي
في حقي **متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه**
ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيئان اقامة الظاهر والتعلق بالله في
الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله العبد هذين الامرين
فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله الى غاية الامل في الدنيا
والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رض **خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك**
ان كان لا بد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك من الاستقامة
على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك
لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير
واما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تاخير
ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب يحكى عن ابي
الحسين الديلمي رض انه قال وصف لي بانطاكية انسان اسود يتكلم
على القلوب قال فقصدته فلما رايته رايت معه شيئا من المباحات
يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد
فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك شيئا قال فمضيت
الى غيره وتغافلت وكاني لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين
يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك
جائع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع

على قلبي منحبة فلما باع ذلك اعطاني شيئا ومضى قال فمضيت خلفه لعلي
استفيد منه شيئا قال فالتفت الي وقال اذا عرضت لك حاجة
فانزلها بالله تع الا ان يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله ومن دعاء ابي
القسم الجنيد رض اللهم وكل سؤال سالت فعن امرك لي بالسوال فاجعل
سؤالي اليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسواله مواضع الحظوظ بل
يسال القيام بواجب حقك ومن دعائه ايضا اللهم اني اسالك منك ما
هو لك واستعيذ من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله
عنك ما اراده منك الا ان يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر
من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي اليك ما هو
لك ولا تجعل قصدي اليك ما اطلبه منك **الحزن على فقدان الطاعة**
مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار هذا هو الحزن الكاذب
الذي يكون عنه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس
وهو من مكر الله تع الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر به من الحزن
والبكا سمعت رابعة رض رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه
لو كنت محزونا لم تتهيا لك ان تتنفس واما الخوف الصادق فبخلاف هذا
وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال
والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو علي الدقاق رض صاحب
الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين
وفي الخبر ان الله تع يحب كل قلب حزين وفي التورية اذا احب الله

عبدا نصب في قلبه نائحة واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة وقيل الحزن
اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة
فاذن الحزن الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض
والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام
السالكين الابرار **العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه**
من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه
في شهوده الاشارة الطف من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا
تصريح وهي التي يستعملها اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار
التوحيد كما تقدم عند قوله من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا لكل ما شهد
فالمشير الى الله تع الملاحظ لاشارته وان وجد الله تع اقرب اليه من اشارته
غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف
الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب عن الاشارة
والمشير والمشار به وسئل الدقاق رض عن المريد فقال حقيقة المريد
ان يشير الى الله عز وجل فيجد الله عز وجل مع نفس الاشارة قيل له فالذي
يستوعب حاله قال هو ان يجد الله باسقاط الاشارة وسئل ابو علي
الروذباري رض عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه
الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل
والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلي رض كل اشارة اشار

بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشير والى الحق بالحق وليس لهم
الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضه ابعدهم من الله اكثرهم اشارة اليه
الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنية الرجا مقام شريف من مقامات اليقين
وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه في الحزن لان من رجا
شيا طلبه ومن خاف من شئ هرب منه واما الرجا الكاذب
الذي يقعد صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجا
عند العلماء ولكنه امنية واغترار بالله تع وقد ذم الله تع قوما ظنوا مثل هذا
واصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا
والخلف الردي من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
قال معروف الكرخي رضه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا
يطاع جهل وحمق وقد قالوا من زعم ان الرجا مع الاصرار صحيح
فكذلك فليزعم ان طلب الربح في الفقر وقدح النار من البحر صحيح وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسين
رضه ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة
يقول احدهم احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن
العمل وتلا قوله تع وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين

وكان يقول رضه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى فيخلون
فيها والله ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب
ابو عمير المنصوري الى بعض اخوانه اما بعد فانك اصبحت تامل بطول عمرك
وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا **مطلب
العارفين بالله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية**
مطلب العارفين من ربهم اعلى من مطلب غيرهم سوا كان عابدا او زاهدا
او عالما لان مطلب العارفين انما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق
الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا التفات مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا
الحظوظ والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المولف رضه كثير
ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي ابو مدين رضه شتان بين
من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور
**بسطك كيلا يبقيك مع القبض وقبضك كيلا يتركك مع البسط
واخرجك عنهما حتى لا تكون لشئ دونه** القبض والبسط من الحالات
التي يتلون فيهما العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجا للمريدين المبتدئين
وتسميتهما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب
قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما وصفان ناقصان
بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله
بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال
فارس رضه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط

يبقيان في الوجود دواما مع الفناء والبقاء وقلا وكان الجنيد رض يقول
الخوف يقبضني والرجا يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني
بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجا ردني علي واذا جمعني بالحقيقة
احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله
محركي غير مسكني وموحشي غير مونسي فحضوري لذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف
المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا
فمن اراده فلينظره هناك **العارفون اذا انبسطوا اخوف منهم اذا انقبضوا**
ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما اشتد خوف
العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملائمة لهوى انفسهم
بخلاف القبض كما سيقوله المولف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم
اليهم فذوقهم لطعم نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين
الرازي الى الجنيد رحمه لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق
بعدها خيرا ابدا ومن ثم تتأكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام
الانقباض والانكسار وذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على
حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المولف رح وقد قيل قف على
البساط واياك والانبساط وقال رجل لابي محمد الحريري رح كنت على
بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف
السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي

الكل في قهر هذه الخطة لكن انشدك ابياتا لبعضهم وانشا يقول
قف بالديار فهذه اثارهم • تبكي الاحبة حسرة وتشوقا •
كم قد وقفت بربعها مستخبرا • عن اهلها او سائلا او مشفقا •
فاجابني داعي الهوى في رسمها   فارقت من تهوى فعز الملتقا
وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال انبساط مع الحق بغير ادب
قال الاستاذ ابو القسم القشيري رض ومن هذا خشي الاكابر والسادة قال
في لطائف المنن البسط مزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم
وكثرة لجائهم والقبض اقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ
هو في اسر قبضة الله تع واحاطة الحق محيطة به ومن اين يكون للعبد
البسط وهذا شانه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق
بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة
والمطالبة بحقوق الله تع قال واخبرني بعض الصوفية قال رأيت شيخ
شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقلت له يا استاذ ما لك مقبوضا
فقال له يا فتى القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما
في الاخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حيوته البسط انتهى
البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه
في هذا اشارة لما تقدم من ان مراعاة الادب في البسط امر عسير
وذلك ان في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا
تتمالك حتى تقع في سوء الادب والقبض ليس فيه حظ النفس فلذلك

كان اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضه يقول القبض حق الحق
منك والبسط حظ العبد منه ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون
بحظك منه واما اداب القبض والبسط فلا اعلم الآن من استوفى الكلام
فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات
الى امور جملية كقول الامام ابي القسم القشيري رضه بعد ان تكلم على
لفظتي القبض والبسط وتبيين معانيهما الى ان قال وقد يكون قبض
يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه
وسبيل هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف
او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد
ذلك منه سوء ادب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول
القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط
يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف لها سببا يهز صاحبه ويستفزه
فسبيل صاحبه السكون ومراعاة فان في هذا الوقت خطرا عظيما فليحذر
صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت
زلة فحجبت عن مقامي انتهى كلام الامام ابي القسم وقد رأيت كلاما
مستوفى في اداب القبض والبسط لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضه
فاحببت ان اذكره ههنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المولف
رضه وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما هو عند غيره
من ائمة الصوفية قال رضه القبض والبسط قل ما يخلو العبد منهما وهما

يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق يقتضي منك العبودية فيهما
فمن كان وقته القبض فلا يخلو ان يعلم سببه او لا يعلمه واسباب القبض
ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم
يؤذيك في نفسك او في عرضك او ينسبك لغير دين وغير ذلك
فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية ان ترجع
الى العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فبالتوبة والانابة وطلب
الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص فبالتسليم والرضا
والاحتساب واما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر
ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك
فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال اثابك سعة الصدر
حتى تعفو وتصفح وربما اثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك
فتدعو له فتجاب فيه وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك
فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان
ليل ونهار فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا
ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون عن
ثلاثة اشيا عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت فعن
قريب يذهب به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد
والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك

واعتبر بقوله تع ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبضين جميعا واما
من كان وقته البسط فلا يخلو من ان يعلم له سببا او لا يعلم له سببا
فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة
والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب
الثالث بالمدح والثنا من الناس واقبالهم عليك وطلب الدعا منك وتقبيل
يدك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي
ان ترى اثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيا من ذلك
لنفسك وحصنها ان يلازمها الخوف خوف السلب مما به انعم عليك
فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تع واما الزيادة
من الدنيا فهي نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما
مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما
ستر عليك وخف من الله ان يظهر ذرة مما بطن فيك فيمقتك اقرب
الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه
ترك السؤال والادلال والصولة على النسا والرجال اللهم الا ان تقول
سلم سلم الى الممات فهذه اداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان
عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك حسن
والحمد لله الذي بيده لطائف المنن ربما اعطاك فمنعك وربما منعك
فاعطاك منع الله تع عبده من نيل شهواته ولذاته والكون من حيث عادته

عطاء جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن حظوظه واغراضه وحرره
منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ
محي الدين بن عربي رض اذا منعت فذلك عطاؤه واذا اعطيت فذلك
منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد ان يترك التدبير والاختيار
لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد
المنع هو عين العطا وسيأتي بيان هذا من كلام المؤلف في قوله متى
اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره الخ الاكوان ظاهرها
غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن
عبرتها الاكوان ههنا كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع
الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل
على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة
فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب
ينظر الى مقابحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي في الكتب
السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام صف لنا اولياء الله تعالى
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق
الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب
وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاجلها
آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان

بميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار دركهم فيها فواتا وفرحهم
بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه
خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت
في صدورهم فلم يحيوها بل هدموها وبنوا بها اخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا
ذكر الحيوة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به
لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض العلما يقول ما سطع لي
زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عزوف عنها قال
ابو طالب المكي فهذه عناية من الله لمن وليه من اوليائه المقربين منه
فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر باخره ومن عرفها بباطن حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى
عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها
نتن إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تتعززن بعز يفنى العز
الذي لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالمتعلق
به عز لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها
لانها فانية فالمتعلق بها عز فان لا يبقى وليس لك الا احدهما لانهما
ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يقدر احد ان
يذلك يحكى ان رجلا امر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون
وكان له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا
ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا

ذلك فروي في بستان وباب البيت مسدود فاخبر هرون بذلك
فاتي بالرجل فقال من اخرجك من البيت فقال الذي ادخلني البستان
فقال ومن ادخلك البستان قال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه
دابة وطوفوا به في البلد وليقل قائل الا ان هرون اراد ان يذل عبدا
اعزه الله فلم يقدر وان اخترت العز بالاسباب خذلتك واسلمتك احوج
ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال
رايت رجلا في الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد
ذلك بمدة رايت انسانا يتكفف الناس على الجسر ويسال شيئا قال فكنت
انظر اليه واشبهه بذلك الرجل فقال اي شيء تنظر فقلت اشبهك برجل
رايته في الطواف من شانه كذا وكذا فقال انا ذلك اني تكبرت في
موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس قال شيخ
التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا
بقا لعزك اذ لا بقاء لمن انت به معتز قال وانشد بعض الفضلا لنفسه
لكن بربك عزك ۝ ليستقر ويثبت ۝ فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت
قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شانك
فقال مات استاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من
يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فعقدته او استندت الى غيره
فعدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في
اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما الطي

الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك
طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا اشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ
تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الاخرة حاضرة لديه
موجودة عنده بل يراها اقرب منه اليه اذ ذاته فانية منطوية بهذا
الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفاني
وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الاخرة فلذلك كان اصل
الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق
في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده احب
الدنيا وهي لا شئ فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيئا فهذا هو الطي الحقيقي
لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به اولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم عز وجل
لا طي مسافة الارض الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام
بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم تمحض طاعة وبرا وسيأتي من
كلام المؤلف لو اشرق نور اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها
ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كاسفة الفناء عليها **العطاء من الخلق**
حرمان والمنع من الله احسان عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه
من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك
احسان لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان
شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على
ذلك وتعلقك منهم في اخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكلما

بفعل المحبوب محبوب ولله در من قال فلا البس النعما وغيرك ملبسي
ولا اقبل الدنيا وغيرك واهبي وفي وصية علي رض ولا تجعل بينك وبين
الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكما حمل المنن
اثقل من الصبر على العدم وقال اخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة
وقال رض **جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة** جزا المعاملة
لا يختص بالدار الاخرة بل ربما اظهر الحق ثمرته لبعض اوليائه في الدنيا لتقوى
تحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها في كل الاحوال
وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله سبحانه جل وعلا **كفى من جزائه اياك على الطاعة**
ان رضيك لها اهلا هذا بيان ان جزائهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله
وكبريائه ما استحقروا معه انفسهم ان يكونوا اهلا لان يكلفهم القيام بطاعته
ويمدهم فيها بتيسيره ومعونته فيأتيهم حينئذ حبه واستولى عليهم فرحه فانحلت
لذلك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحيا كل مذهب وهذا هو غاية
الجزا ونهاية العطا عند العلما العارفين الذي يمنعهم وجدانه عن التطلع
الى غيره من الحظوظ الاجلة **كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم**
في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته هذا بيان اخر لما
يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف
ويورد على قلوبهم من انواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتنعمون
به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى
دونه كل جزا ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة

للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة اظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا
يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلما ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري رضه دخلت على ابي سليمن الداراني رحه يوما وهو يبكي فقلت
له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل
حبيب بحبيبه وافترش اهل الحب اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطر
في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبرئيل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح
الى ذكري واني لمطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي
فيهم يا جبرئيل ما هذا البكا هل رأيتم حبيبا يعذب احباءه ام كيف يجمل بي ان
اخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا علي يوم القيمة
لاكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم **مَنْ عَبَدَهُ لِشَيْءٍ يَرْجُوهُ**
مِنْهُ أَوْ لِيَدْفَعَ بِطَاعَتِهِ وُرُودَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ فَمَا قَامَ بِحَقِّ أَوْصَافِهِ
عمل العاملين لاجل حصول الجزا او فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول
ليس من شان العارفين والمحققين لان قيام العبد بحق اوصاف مولاه
يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب او دفع عقاب لانه عبد
يستحق عليه مولاه كل شي ولا يستحق هو عليه شيا وهذا من علامة المحبة لله تعالى
لان المحب مجتمع الهمم بامر محبوبه لا مراد له الا ما اراده فعلى العبد ان يعمل لربه
عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا تشارك
فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظ لم يقم بحق صفات مولاه وكان

ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد
الله التستري رضه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا
وهم جهال بالله تعالى الا من يوثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه واخرته
وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الاوداء الي
من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه
من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او لنار لو لم اخلق جنة ولا نارا
الم اكن اهلا ان اطاع او كما قال عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام
اذا رايت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه ومر
عيسى عليه السلام على طائفة من العباد وقد احترقوا من العبادة كانهم
الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا نحن عباد قال ولاي شي تعبدتم قالوا
خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يؤمنكم مما خفتم منه
ثم جاوزهم فمر باخرين اشد عبادة منهم فقال لاي شي تعبدتم قالوا
شوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على
الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال ما انتم
قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته
ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم فاقام
بين اظهرهم وفي لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم
وقال للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رضه وممن يروى عنه
هذا القول واقفهم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو

حازم المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب
فاكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واني لاستحيي ان اعبده لاجل الثواب
فاكون مثل الاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ
ابو طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن
احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل
وقال بعض اخوان معروف رضه له اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك
على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شيء
ذكر الموت قلت فذكر القبر فقال واي شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة
فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده فان احببته انساك جميع هذا
وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وقال ابو طالب رحمه وحدثونا عن
علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على
مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت
رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد اخرين
قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص
بصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي
عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد اباحه النظر اليه
الى يوم القيمة وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضه وقال ابو طالب
روينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان الثوري يجلس
بين يديها فيقول علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول

لنعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها
وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهي
ابواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة
فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فاكون كالعبد السوء
ان خاف عمل ولا حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته
حبا له وشوقا اليه والاثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تحصر فاذا عمل
المريد على ما ذكرناه كان عبد الله حقا فان طلب منه الثواب واستعاذ به
من العقاب فانما يطلبه او يستعيذ به انجاز الموعد به وفرارا من دعوى
رويته عدم حظ واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه
وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه هو المعني بالحديث المروي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلوة قال اتشهد
ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك من النار اما والله ما احسن
دندنتك ولا دندنة معاذ فقال صلى الله عليه وسلم حولها ندندن لا ان
يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته
وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب
العارفين والمحققين وعليه تنبني قواعد التصوف مَتَى أَعْطَاكَ أَشْهَدَكَ بِرَّهُ
وَمَتَى مَنَعَكَ أَشْهَدَكَ قَهْرَهُ فَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُتَعَرِّفٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ بِوُجُودِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ
المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية
والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون

بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام ثم هي على قسمين ما وافق
الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطا
يشهد صفاته البرية من الجود والعطف واللطف والاحسان والكرم
وغير ذلك وبوجود المنع يشهد صفاته القهرية من الجبروتية والكبريا والعزة
والاستغنا فينبغي لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت معرفة ربك
ولم يرقك حب حظك اذا منعك عطا على التحقيق فهو في تلك الحالتين
منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح
لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم قال سفين الثوري
رضه اتيت ابا حبيب البدوي اسلم عليه ولم اكن رايته فقال لي انت سفين
الثوري الذي يقال قال قلت نعم نسال الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لي
يا سفين ما رايناخير قط الا من ربنا قلت اجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر
خيرا قط الا منه ثم قال يا سفين منع الله اياك عطاء منه لك وذلك انه
لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه لك نظر منه واختيار يا سفين ان
فيك لاسا ومعك شغل قال ثم اقبل على غنيمته وتركني انما يؤلمك المنع لعدم
فهمك عن الله فيه اذا كان منع الله نعمة وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما
ذكرناه الان فينبغي ان تكون في كليتهما فيهما قرة عين المريد فان تالم المنع
ولذة العطا فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل الاكمل والافضل له ان يتالم
بالعطا ويتلذذ بالمنع كما قال ابرهيم الخواص رضه لا يصح الفقر للفقير حتى يكون
فيه خصلتان احدهما الثقة بالله والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به

غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع افضل من
نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما
لا يجد للعطا لا يعرفه غير باريه الذي خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى
سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شي له تابع وكل شي له
خاضع انتهى ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى
عليك بالذنب فكان سبب الوصول ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور
الاشيا ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول
لها لما قد تتضمنه من الافات القادحة في الاخلاص فيها وذلك مانع
من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا تقتضي الابعاد والطرد
بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه
كما قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن ابي
هريرة رضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر
لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعة ان يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر
بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب اللجا
الى الله تع فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله
قال ابو حازم رضه ان العبد ليعمل الحسنة يسره حين يعملها وما خلق الله له من
سيئة اضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله
من حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتبجح بها ويرى

ان له بها فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان
العبد حين يعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله ان يحدث له بها وجلا
حتى يلقى الله وان خوفها في جوفه لباق ثم بين المؤلف رح هذا المعنى بقوله
معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا
الذل والافتقار من اوصاف العبودية والعز والاستكبار منافقان
لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات اذا لزم عنها
ما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كما لا ابالة بالمعصية
اذا لازمتها صفات العبودية لانها ايضا تمحوها وتزيلها قال سيدي
ابو مدين رض انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي ابو
العباس المرسي رض كثير الرجا لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة
وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تع حتى انه ربما دخل عليه مطيع
فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطائع اتى وهو
متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه بكسرة معاصيه وذلة
مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك
عن حسن الظن بالله فمن هذا المعنى ما روى عن ابان بن ابي عياش
انه قال خرجت يوما من عند انس بن مالك رض بالبصرة فرايت جنازة
يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل اخر فقلت سبحان الله سوق
البصرة وجنازة مسلم لا يتبعها احد فلاكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها
بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت انتم اولى به فقالوا كلنا سوا فتقدمت وصليت

عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكثرتنا تلك المراة قال فقعدت فدفنوه
فلما كان بعد ساعة اذ قد رايت تلك المراة وهي تضحك فدخل في قلبي
شيء فقلت لا ينجيك الا الصدق اخبريني اي شيء القصة فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة ايام فقال
لي يا اماه اذا مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون
بموتي واكتبي على خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه في كفني
فلعل الله تع يرحمني وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزا من عصى الله
فاذا دفنتيني فارفعي يديك الى الله تع وقولي اني رضيت عنه فارض عنه
فلما مات فعلت جميع ما اوصى به فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته
بلسان فصيح انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان
علي فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الاخر ما روى ان رجلا من بني
اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد
ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله عز وجل ايها المتالي على الله بل انت
لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي رض انما اتى على الله عز وجل ان لا يغفر له
لعظم قدر نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تع
لعبادته وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا
واغترارا بالله تع ومن المعنيين جميعا ما روى ان عيسى عليه السلام خرج ومعه
صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطي مشهور بالفسوق فيهم فقعد
منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا

الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين ذلك العاصي فاوحى الله الى عيسى عليه السلام
اني قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم
وروي عن الشعبي وروي ايضا عن خالد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل
يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر من بني اسرائيل يقال له عابد
بني اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل
وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل ان يرحمني به فجلس اليه فقال
العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فانف منه وقال
قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت
للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة على رأس
الخليع قال الحارث المحاسبي رضه وانما اراد الله عز وجل من عباده قلوبهم
لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم او العابد وانف وتواضع الجاهل
او العاصي وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو اطوع لله عز وجل من العابد
والعالم بقلبه **نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودٌ عَنْهُمَا وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مُكَوَّنٍ مِنْهُمَا نِعْمَةُ
الْإِيجَادِ وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ** نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان
لكل مكون موجود باق لانه في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد ازالت
العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم
اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني قال سيدي ابو مدين رضه الحق تعالى مستبد
والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة
لانهد الوجود وهذا توطئة لما نريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد

أَنْعَمَ عَلَيْكَ أَوَّلًا بِالْإِيجَادِ وَثَانِيًا بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ هذا احد جزئيات الحكمة
المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي ان يغفل
عنه من انواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادها
وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم الجليلة العظيمة التي
لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بهاتين النعمتين
في القسمين لتاه في ظلمات الضلالة وغرق في بحر الجهالة وقد نبه الله
عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون ثم قال فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القسم القشيري رضه
وان من فكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة اغاليط الناس
في البدع والاهواء وما تشعب بكل قوم من مختلفي النحل والاراء ثم فكر
في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض
تدبيره في احواله وشدة حاجته الى الاستعانة باشكاله في اعماله ثم
راى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن
غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن وهم الشك علم ان ذلك ليس
من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه وجده بل بفضل ربه وسابغ
طوله قال الله تعالى ذكره واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر
بنعمائه والاثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بالائه وزوائد كرمه
لديك متواترة انتهى فعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل

على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعلمه قال
بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار
وعن ذي النون المصري رض ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا
الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه
عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة قال الشيخ ابو طالب المكي بعد ان ذكر ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه
ولما يغذوكم به ايضا فمن افضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له
وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في
تصريف الاحوال اذ هو اصل الاعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلوبنا
عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك
والضلال كما يقلب نياتنا في الاعمال اي شيء كنا نصنع وعلى اي شيء
كنا نعول وباي شيء كنا نطمئن ونرجو فهذا من كبائر النعم ومعرفته
هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة
وادعاء الايمان انه عن كسب معقول او استطاعة بقوة وحول هو
كفر نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه
بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ ابي طالب رض وهو حسن في هذا
المعنى فاردت ان لا يخلو هذا الموضع من هذا التنبيه **فاقتك لك ذاتية
وورود الاسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة
الذاتية لا ترفعها العوارض** اذا ثبت ان نعمتي الايجاد والامداد

لازمتان لك وانك في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة لك ذاتية
لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين
المذكورتين فان ذلك امر عرضي والامور الذاتية لا تزيلها الامور
العرضية وانما اورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك وبقاء وجودك
ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار
اللازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك
وطورك قال بعضهم انما حمل فرعون ان قال انا ربكم الاعلى طول العوافي والغنى
لبث اربع ماية سنة لم يتصدع راسه ولم يحم جسمه ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة او الليلة كل يوم
لشغله ذلك عن دعوى الربوبية قال في لطائف المنن الاضطرار العقيقية
حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممد يمده ومدد يمده
وكان الحق سبحانه هو الغني ابدا فالعبد مضطر اليه ابدا ولا يزال العبد ذا
الاضطرار لا في الدنيا ولا في الاخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله فيها
غير انه غمس اضطراره في المنة التي افرغت عليه ملابسها وهذا هو
حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا
ولا في الاخرة فالعلم صفة الكشف اي علم كان وفي اي وقت كان والارادة
صفتها التخصيص اي ارادة كانت وفي اي وقت كانت ومن اسبغت
انواره لم يفت اضطراره وقد عتب الله اقواما اضطروا اليه عند
وجود اسباب الجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال

سبحانه وتعالى واذا مسكم الضر في البحر الاية وقال واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه الاية وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الايتين الى غير
ذلك من الايات الواردة في هذا المعنى ولما لم يصل عقول العموم الى ما يعطيه
حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر
ربوبيته وعظمة الهيته انتهى **خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك**
وترد الى وجود ذلتك انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك
فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والاسباب الموجبة لبعدك
وحجبك فهي لا محالة خير اوقاتك وهي مواسمك واعيادك حسبما يقوله المؤلف
رحمه الله بعد هذا الحكي عن عطاء السلمي رضه انه بقي تسعة ايام لم يذق شيئا
من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يا رب ان
لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة وقيل ان فتح الموصلي رضه
رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فاخذ يحمد الله ويتضرع
اليه ويقول الهي لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل
به اولياءك قال بشر بن الحارث الحافي رضه بلغني ان بنتا لفتح الموصلي رضه
عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا ادعها حتى يرى الله عريها
وصبري عليها قال وكان اذا كان ليالي الشتاء جمع عياله ومال بكسائه
عليهم ثم قال اللهم افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي
واعريتني واعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا
باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضه

بكى في ليلة قرة فقال اللهم اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت
عيالي واقعدتني واقعدت عيالي في بيت ليس فيه مصباح وقديما
تفعل هذا باوليائك واهل طاعتك الهي فباي عمل استحققت هذا منك
حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم رضه قد غلا السعر فقال نحن اهون
على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه **متى اوحشك من خلقه فاعلم انه**
يريد ان يفتح لك باب الانس به فتح باب الانس بالله هو الاستيحاش
من الناس ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك
هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت في انسك بربك
ومعنى الوحشة منها ان تشمئز منها بقلبك وتنقبض عنها بسرك ولا تكون
للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها معنى لك كما جاء عن ابي يزيد رضه حين
اطلع على انواع من العجائب ووجه بشيء من الغرائب وكشف له عن الملكوت
الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيئا فقال لم ار شيئا استحسنه فقيل له انت
عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه
بمقام الانس ونزوله في حضيرة القدس وسياتي هذا المعنى في قوله في
مناجاة ربه انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم **متى اطلق لسانك**
بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو ان
يحل عنه عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم روية الفاقة
والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وانطلق لسانه
بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة

لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد ، وانشدوا
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ، من فيض جودك ما علمتني الطلبا ،
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اذن له
في الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسال الله شيا قط احب اليه
من ان يسال العفو والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر الخفاف رض
كيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له الدعا عن انس بن مالك رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلا صبا وسحه
عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك
فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته فاذا
قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك
ولا تسالني شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك
عندي افضل منه واما ان ادفع عنك به من البلاء ما هو اعظم من ذلك العارف
لا يزول اضطراره ، ولا يكون مع غير الله قراره ، معرفة العارفين بالله
معرفتهم بانفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر
ما يتحققون بذلك في انفسهم يكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من
عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار قال
سيدي ابو العباس المرسي رض في قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الولي
لا يزال مضطرا قال ابن عطا رض معنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم

لمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس
على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى
الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشيا ونفوره
بقلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله قصد بهذا ان يعلمك ان ما تقدم له من
الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت
العارفين انار الظواهر بانوار اثاره ، وانار السرائر بانوار اوصافه لاجل
ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار القلوب والسرائر ، ولذلك قيل
ان شمس النهار تغرب بالليل ، وشمس القلوب ليس تغيب ، انوار الظاهر
التي بها انار الحق تع هي الادراكات والاحساسات والحركات التي اتصف
بها ظاهر العبد وانوار السرائر التي بها انارها الحق هي المعارف والعلوم واللطائف
الادركات والعلوم التي اشتمل عليها باطنه وسره فانوار الظواهر متعلقة
بانوار الاثار الحادثات وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها
وانوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف
المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا كان ما ذكره المولف رض
من افول انوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم افول انوار ما تعلق
بالقديم الباقي ثم انشد المولف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه
بين وقبله ، طلعت شمس من احب بليل ، فاستنارت فما لها من غروب ،
وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط ويفرح
بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة

وجنيد يكون العبد على ملة ابرهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان رجلا سال سهل بن عبد الله عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سالناك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر قيل انما سالناك عن طعم الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفى معناه انشدوا

يكمل حقيقتك التى لم تكمل ❊ والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
اتكمل الفانى وتترك باقيا ❊ هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة ❊ ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى ويبقى دائما فى غبطة ❊ او شقوة وندامة لا تنجلى
اعطيت جسمك خادما فخدمته ❊ اتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف انت فى حبلاته ❊ ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلى منزل ❊ ما باله يرضى بادنى منزل

وقيل فى معناه ايضا ❊ يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
وتطلب الربح مما فيه خسران ❊ عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان ❊ وقال رضى الله عنه ليخفف عنك ألم البلا علمك بانه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل ما يورده من انواع البلايا والرزايا ينبغى

له ان لا يكترث بذلك ولا يبالى به فانه لم يتعود منه الا خيرا فليحسن ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار له وان له فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها هو كما قال وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم قال ابو طالب المكى فى هذه الاية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الاخرة وقد يحب الغنى والعوافى والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة وفى معنى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة الاخرة فاذن كلما يصيب المومن فهو نعمة كائنا ما كان فالحمد لله على كل نعمة قال فى التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وانشد قوله لنفسه ❊

وخفف عنى ما الاقى من العنا ❊ بانك انت المبتلى والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل ❊ وليس له منه الذى يتخير

وكان الاستاذ ابو على رضه يقول جربت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبى بشئ من الرضا فكنت الثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر وقال الاستاذ ابو القسم القشيرى رضه سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رضه يقول فى اخر عمره وقد اشتدت به العلة فقال من امارة التأييد حفظ التوحيد فى اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو ان يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن جامد وقال الجنيد رضه كنت نائما عند سرى السقطى رضه فانبهنى وقال لى يا جنيد

رايت كاني وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا
محبتي وخلقت الدنيا فهرب منه تسعة اعشارهم وبقي معي العشر وخلقت
الجنة فهرب منه تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر العشر فسلطت
عليهم ذرة من البلا فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر فقلت للباقين
معي لا للدنيا اردتم ولا للجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون
قالوا انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم
ما لا تقوم له الجبال الرواسي اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما
شئت فهولا عبادي حقا **من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور
نظره** قصور النظر في عدم روية اللطف في القدر من ضعف اليقين
وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراى في
ذلك من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولكان كما روي
عن بعض الصالحين العارفين انه قال لقد مرضت مرضة فاحببت
ان لا ازول وكان عمران بن حصين رض قد استسقى بطنه فلبث ملقى على
بطنه ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من
جريد وكان تحته نقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف او اخوه العلا
ابن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال لم تبكي فقال لاني اراك على هذه الحالة
العظيمة فقال لا تبك فان احبه الي احبه الي الله تع ثم قال احدثك بشيء
لعل الله تع ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فانس بها وتسلم
علي فاسمع تسليمها قال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا

ملقى وما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت امراته اهلي فداوك ما نطعمك
ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا ما
اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما ثم قال ما يسرني اني نقصت
من هذا قلامة ظفر فهولا شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنته منته
وفي عنفه لطفه فاوجب لهم ذلك الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ بما حلهم
على انه لم يجوزوا زوال ذلك عنهم ولا انفصاله ووجوه الالطاف والمنن
في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن
بربه عز وجل وتحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله تع
بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكلما ازعج النفس
ونغصها والمها فهو محمود العاقبة من قبل ان ذلك زادله الى الله وملازمه
بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو اعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من
نفسه كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا ضعف النفس
وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب
والمعاصي وتتاكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد
قيل لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تع
الفقر سجني والمرض قيدي احبس بذلك من احببت من عبادي وفيها
ايضا تحصل له طاعات القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقا الله تع
قيل لعبد الواحد بن زيد رض ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال

حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به فقال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل
رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلوة والصيام قال نعم قال
لولا اني استحيي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال
ابو طالب المكي رح زاد بذلك انه لم يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين
فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي يستعمل
بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال موقن والانس مقام المحب
والرضا وصف المتوكل اي انما انت عبده في صفة اصحاب اليمين
فمزيدك منه مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذا اشارة الى ما قلناه
من فضيلة اعمال القلوب التي تحصل بسبب البلايا على اعمال الجوارح فمن
وفقه الله تع الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة
به فقد حصل على كل كنوز البر ذكر ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رح
في كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير رض امتحن بقرحة في ساقه بلغت
به الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له الاطبا الا نسقيك مرقدا
فلا تحس ما نصنع فقال لا ولكن شانكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار
فما حرك عضوا ولا انكروا منه حتى مسته النار فما زاد على ان قال
حس واصيب جنيد ابنه محمد وكان من احب ولده اليه فلما راى القوم
بيد بعضهم قال اما ان الله تع يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال
يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول الهي
لئن اخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت

لطال

90

1.

قصة عجيبة لمن اعتبر

لطالما اعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدائني قال
قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال
بت ليلة في بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي
فطرقنا سيل اذهب ما كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا
صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت
الا ورأس الذئب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني
رمحة حطم بها وجهي فاذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد
ولا ذا عين فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم
بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد رض انه خرج مع بعض اخوانه الى
ناحية من نواحي البصرة فاواهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع
بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له ما هذا لو دخلت البصرة فتعالجت
من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السما وقال يا سيدي باي ذنب سلطت
علي هولاء يسخطوني عليك ويكرهوك الي سيدي لك العتبى من ذلك الذنب
واستغفرك منه لا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه
وروي عن بشر بن الحارث رض انه قال رايت بعبادان رجلا قد قطعه البلا
وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى
قال واذا هو قد صرع من جنبه قال فوضعت راسه في حجري وجعلت
اسال الله تع ان يكشف ما به وادعو فافاق فسمع دعائي فقال من هذا
الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه علي

ونحى راسه من حجري قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة اراها
عليه من البلا وقد روي في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما السلام
التقيا فقال يونس لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فاتى به على رجل قد قطع
الجذام يديه ورجليه فقال واذا هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما
حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس عليه السلام
يا جبريل انما سالتك ان تريني صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلا
هكذا وقد امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني
بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر
يا وصول فقال جبريل هل تدعو وندعو معك ان يرد عليك يديك
ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك
قال ولم قال اذا كانت محبته في هذه المحبة احب الي من ذلك فقال يونس
يا جبريل بالله ما رايت احدا اعبد من هذا فقال جبريل يا يونس ان هذا
طريق ليس يوصل الى رضاه شي افضل منه وفي الخبر اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وبها ايضا تحصل له
كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا
ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع البلايا لان العبد قد يعجز
عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات
فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سياته بها وان قدر
عليها ولم يتكاسل عنها من له بتخليصها عن الشوائب وتسليمها من

الافات والمعائب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به امله
فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم انما يختاره له خير له مما يختار لنفسه بشهوته
وهواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي
قال له اوصني لا تتهم الله في شي قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من
حديث صهيب رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن
ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سرا شكر
فكان خيرا له وان اصابته ضرا صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم
في صحيحيهما من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضه انهما سمعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من وصب ولا نصب
ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وذكر ايضا من
حديث ابن مسعود رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة
وذكر البخاري ايضا عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل
البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروي عن عيسى عليه السلام
انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على
جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي عن نبينا صلى
الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والصداع وغير ذلك وذكر البزار من حديث

ابي سعيد الخدري رضه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه
وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول
الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول
الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلي
بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحوبها وان كان احدهم ليبتلي بالقمل حتى يقتله
وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح احدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين اى من الاثام والذنوب
بالحمى والامراض لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحمى اذهبي الى اهل قبا
وقد روى في بعض الاخبار بدلا من اهل قبا الانصار وفيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت فقالت انا
مُلْدَمٌ صُورَةُ الحُمَّى فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا
فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرَ احدًا من الانصار حضر الصلوة
فطلبهم فقيل اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة
فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى يزيدنا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث
جابر رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب
فقال ما لك يا ام السائب او يا ام المسيب تزفزفين قالت الحمى يا رسول
الله لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني ادم كما
يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري رضه من حديث انس بن مالك رضه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا

ابتليت عبدي المومن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه
كذا قال في اخر الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان
وهما الكريمتان ايضا روي ان انس بن مالك رضه وابا ظلال رضه كانا في
بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال متى فقدت بصرك قال وانا صبي
لا اعقل فقال الا احدثك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه
عن جبريل عليه السلام ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من
سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري
والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو ابو ظلال المذكور انه
سمع انسا رضه يقول مر بنا ابن ام مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عن هذا وضرباته الذين ذهبت ابصارهم
قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت
كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب
بصر عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري رضه من حديث
ابن عباس رضه ان امراة سوداء اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني
اصرع واني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها ايضا تحصيل
لتجديد التوبة واداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار
وحسن الادكار وكثرة ذكر الموت اذ ذلك ابلغ ما يذكر به فقد قيل الحمى بريد

الموت وقيل فى قوله تع اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون اى يختبرون بها وفى حديث عائشة وانس رض
قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهدا يوم القيمة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل
يوم عشرين مرة وفى لفظ الحديث الاول الاخر يذكر ذنوبه فيحزنه وقد
كان السلف رض يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس
او مال ويقال لا يخلو المومن فى كل اربعين يوما ان يروع بروعة او
يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك فى هذا العدد من غير ان يصابوا
فيه بشئ وفيها ايضا يقع له حلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات
فيكتب له فى مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك فى صحته وذلك ابلغ له فى الوصول
الى غرضه لانه من اختيار الله وهو خير له من اختياره لنفسه وفى الخبر يقول
الله للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل فى صحته فانه فى وثاقى ان
اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته
الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث ابى موسى الاشعرى رض قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما
صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التى لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعانى ههنا
لانها لائقة بكلام المولف رحمه الله وكانها مفسرة له وايضا فان العبد
محتاج اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلايا به يتسخط ويجزع
ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعانى
ليحصل له بذلك من الرجا وحسن الظن بالله والمحبة ما يرجى له بذلك ان مات

من فوره وحسن الخاتمة وحب لقاء الله تع والاعمال بخواتيمها وبهذا
الغرض هو الذى اوجب لنا فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار
نسبة اكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات ليطمئن قلوب اهل البلا
بذلك ويسلكوا الى الله تع واضحات تلك المسائل والله ولى التوفيق لا يخاف
عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَبِسَ الطُّرُقُ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى عَلَيْكَ
الطرق الى الله تع واضحة لائحة لان الحق تع هو الذى تولى ذلك وبه انزل
الكتاب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من
التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن رويتها
قال احمد بن خضرويه البلخى رض الطريق واضح والحق لائح والداعى قد اسمع
فما التحير بعد هذا الا من العمى سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ الْبَشَرِيَّةِ
فظهر بعظمة الرُّبُوبِيَّةِ فى اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التى
اختص بها اهل ولاية الله تع بحيث لا يبقى معها وجود للغير ولا كون وذلك لما جبل
فيهم من التهيؤ والقابلية فمن لطيف حكمة الله ان ستر ذلك بما اظهر من البشرية
التى من لوازمها وجود الغير والكون ولولا ذلك هذا الستر لكان سر الله
مبتذلا غير مصون كما قال فى لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء
من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار
والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتاله
فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هى عظمة الربوبية التى ظهرت
لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال

سيدي ابو الحسن الشاذلي رض العبودية جوهرة ظاهرها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره المولف ههنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى **لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك** اذا دعوت ربك وسالت منه مطلبا من المطالب ولم يظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفا بذلك لك فانه يفعل ما يشا لا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك فانها اهل للمطالبة وسوء ادبها من وجوه احدها انك دعوت ليجاب في دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وسياتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك تسببا الى العطا منه فيقل فهمك عنه ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية والثاني اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما لك في ذلك من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما يشا مما يعلمه او يجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخر امداد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا لياسك الخ والثالث وهو اشدها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك له اذا الحالة التي تاخرت اجابة دعائك ثم ذكر المولف الحالة التي اذا كان عليها العبد قام بحق الادب ووصل الى غاية الارب فقال **متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك** هذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فمتى يسرهما الله تع واقامك في مراعاة

احكامهما ووفقك لذلك فقد اعظم المنة عليك فماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي ابو الحسن رض صحبت انا في الله في البادية واعتزلنا في مغارة عسى ان نكون من اولياء الله وان يفتح الله علينا بما فتح عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر يفتح الله علينا فنحن كذلك اذا شيخ على باب المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبدي الله تع كما امرك مخلصة لوجهه قال الله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما علمك وما خطرك انت لا شيء وتبنا واستغفرنا الله تع قال ففتح الله علينا بجوده وفضله **ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه** التخصيص ههنا هو ان يظهر الحق تع على بعض عباده اثره وعنايته ويوليه لطفه ورعايته فمنهم من يتم له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الاغيار والاكوان وهولاء هم خواص المقربين اهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال وتربيه في حالة لما يليق به من علوم واعمال وهولاء عامة

المقربين وخلاصة اصحاب اليمين العباد والزهاد واهل المجاهدة
والاوراد وهولاء وان شاركوا الاولين فيما خصهم الحق تع من
لطائف الكرامات وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات
والعبادات فلم يتخلصوا من روية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم
بل هم ساكنون الى الاسباب مغتبطون بوجود الحجاب وقد يخص الحق تع
هولا باظهار الكرامات على ايديهم ويسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين
فى قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ فى
اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد
يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدر افضل ممن يكاشف بها اذا
كاشفه الله تع بصرف المعرفة فالقدرة اثر من القادر ومن اهل القرب
القادر لا يستغرب ولا يستكثر من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من حجب
اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلى رض وقيل له ان ابا تراب ذكر انه جاع فى
البادية فراى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل
التحقيق لكان كمن قال انى لاظل عند ربى يطعمنى ويسقينى قال فى لطائف
المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولى وتارة تظهر منه لغيره فاذا
ظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله وفردية واحدية
وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست
هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته وسحب
شمس احديته فواقف عندها مخذول وناقذ منها اليه هو بالعناية موصول

قال وقال الشيخ ابو الحسن رض فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى
بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية بجمع لا بفرق بامر لا ينفقد
كانها صفة واحدة قائمة بذات الواحد ايستوى من تعرف الله اليه
بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها مثبت لمن ظهرت له زعما
وجدها اهل البدايات فى بداياتهم وفقدها اهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما
عليه اهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون
معه الى مثبت وهكذا كان السلف رض لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى
وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم
الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك
فى المنة ومعرفة بفضل الله تع فيمن اظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة
مع الله سبحانه وتع والناس فى الكرامات على ثلاثة اقسام قوم يجعلوها
غاية الاعراف وجدوها عظموا من اظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا
بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها اهل
الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يجوا مقاما ليس هو لهم حتى قال
ابو تراب النخشبى لابى العباس الرقى ما تقول اصحابك فى هذه الامور
التى تكرم الله بها على عباده فقال ما رايت احدا الا وهو مومن بها
فقال ابو تراب من لم يومن فقد كفر انما سالتك عن طريق الاحوال
فقلت ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بلى قد زعم اصحابك انها
خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فاما

من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب
بعد ان عطش القوم وهم اصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال
فتى اريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج
ابيض فشرب وسقاني قال ابو العباس الرقي ومازال القدح معنا الى
مكة قال الشيخ ابو الحسن والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب
ادبا مع الله ومن اظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله
قال والقسم الثاني وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف
ذلك العبد الذي شهده بصحة طريق هذا الولي الذي اظهرت عليه الكرامة
اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او
شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرف اعتقاده بما فيه من
ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال ابو نصر السراج سالت ابا الحسن بن سالم
فقلت له ما معنى الكرامات هنا وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا
وكيف اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك
لعذرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا ايكون ذلك على نفوسهم عند اضطرابها
وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر
على ان يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر اليه اليس بقادر ان
يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على ضجيج
نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون في ذلك
سببا لرياضة نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى ابن سالم في معنى ذلك

حكاية عن سهل بن عبد الله رض انه قال كان رجل بالبصرة يقال ابو الحق
بن احمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا اعني من جميع ماله
وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست
تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له
سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال ومن
امامي في ذلك حتى افعل فقال سهل امامك ابرهيم عليه السلام حيث
قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العيان
لان من جبلتها الشك فقال ابرهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي
فاني مومن بذلك فالنفس لا تطمئن الا برؤية العيان قال فكذلك
الاوليا يظهر الله لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم وتهذيبا لها
وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلما رأيت هذه الكرامات
الا على ايدي البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبد
الله رض فقال له يوما ربما اتوضا للصلوة فيسيل الماء من بين يدي
قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان
اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي
عن الجنيد رض قال جاني ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله
الرباطي وجماعة وكان فيهم رجل اصلع قليل الكلام فقال يوما لابي
حفص رض كان فيما مضى لهم الايات الظاهرة يعني به الكرامات

وليس لك شيء من ذلك فقال له ابو حفص رضه تعال فجاء به الى سوق الحدادين
الى كير عظيم تحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير المحمى فاخرجها فبردت
في يده فقال له تجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه
فقال كان مشرفا على حاله فخشي على حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك
من نفسه فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما
يعز عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف الطف
ما يخادع به الاوليا الكرامات والمعونات وذكر عن ابي حفص او غيره
انه كان جالسا وحوله اصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى
ابو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع في قلبي ان لو كان لي شاة
لذبحت لكم فلما نزل هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سال الله تعالى
ان يجري له النيل فاجراه معه فبكيت وسالته الاقالة مما تمنيت
وسيبت الظبي ويحكى عن بعض الابدال انه قال لتلميذ من تلامذة
الشيخ ابي مدين رضه ما بالنا لا يتعاص علينا شيء وهو يتعاص عليه اقل
الامور مع انا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين
فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى
الى بئر فاذا الماء ارتفع الى راس البئر فقال انا اعلم انك قادر على هذا
ولكن لا اطيقه فلو قيضت لي بعض الاعراب ليصفعني صفعات
ويسقيني شربة ماء كان اسلم لي ثم اني اعلم ان ذلك الرفق ليس من
جهته وقال يحيى بن معاذ الرازي رضه اذا رايت الرجل يشير الى الايات

والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رايته يشير الى الآلاء والنعما فطريقه
طريق المحبة وهو اعلى من الذي قبله واذا رايته يشير الى الذكر ويكون قلبه
معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق العارفين وهو اعلى درجة من جميع
الاحوال وقال ابو يزيد رضه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الايات والكرامات
ولا التفت اليها فلما راني كذلك جعل لي الى معرفته سبيلا وقال رضه لا يستحقر
الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الاخرة والورد ينطوي بانطواء
هذه الدار واولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك
والوارد انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما انت طالبه منه
الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة والوارد هو
الذي يرد على باطن العبد من لطائف وانوار ينشرح بها صدره ويستنير
بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد
ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد احق ما يعتني به
العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدهما ان الورد مختص بهذه الدار
لا يقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغي للعبد
ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا امكان لخلف ما فات منها والثاني
ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامه بحقوقه
عليك اولى واليق بالعبودية من طلب حظوظك او وقوفك معها فاذا
ثبت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية
الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال قال في لطائف المنن واعلموا ان

الله اودع انوار الملكوت فی اصناف الطاعات فای من فاته من
الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد فاته من النور
بمقدار ذلک فلا تهملوا شیئا من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد
بالواردات ولا ترضوا لانفسکم بما رضی به المدعون جری الحقائق علی
السنتهم وخلو انوارها من قلوبهم وان الحق بحکمته جعل الطاعة الجاریة
علی العباد مستکرعة لباب الغیب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب
لم یحتجب الغیب عنه والتطهر من العیب یفتح لک باب الغیب ولا تکن
ممن یطلب الله لنفسه ولا یطالب نفسه لله فذلک حال الجاهلین
الذین لم یفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمومن لیس
کذلک بل المومن من یطالب نفسه لربه ولا یطالب ربه لنفسه فان
توقف الوقت علیه استبطا ادبه ولا یستبطی مطلبه ثم ذکر کلاما کثیرا
وفی کلامه رحمه الله تنبیه علی تاکد امر الاوراد وعظم موقعها من الدین
وان مراعاتها من احسن سمات العارفین وقد روی الجنید رضه وفی
یده سبحة فقیل له انت مع شرفک تاخذ بیدک سبحة قال نعم سبب
وصلنا الی ما وصلنا لا نترکه ابدا وکان یدخل کل یوم حانوته ویسبل
الستر ویصلی اربعمایة رکعة ثم یعود الی بیته وروی الجنید رح بعد وفاته
فی المنام فقیل له ما فعل الله بک فقال طاحت تلک الاشارات وفنیت
تلک العبارات وابیدت تلک الرسوم وغابت تلک العلوم وما نفعنا
الا رکعات کنا نرکعها فی السحر وحکی ابو محمد الجریری رضه قال کنت عند

الجنید رح فی حال نزعه وکان یوم جمعة ویوم نیروز وهو یقرا القران فختم
فقلت فی هذه الحالة یا ابا القسم فقال ومن اولی منی بذلک وهو ذا تطوی
صحیفتی وقال ابو الحسن الدراج رضه ذکر الجنید اهل المعرفة بالله وما یراعوه من
الاوراد والعبادات بعد ما الطفهم الله به من الکرامات فقال الجنید رضه العبادة
علی العارفین احسن من التیجان علی رؤس الملوک وقال ابو بکر العطار حضرت
الجنید عند الموت فی جماعة من اصحابنا قال فکان قاعدا یصلی ویثنی
رجله اذا اراد ان یسجد فلم یزل کذلک حتی خرجت الروح من رجله فثقل
علیه حرکتها فمد رجلیه فراه بعض اصحابه ممن حضره ذلک الوقت وکان
رجلا ابی القسم نور رمتا فقال ما هذا یا ابا القسم فقال هذه نعم الله الله اکبر فلما
فرغ من صلوته قال له ابو محمد الجریری رضه یا ابا القسم لو اضطجعت فقال
یا ابا محمد هذا وقت منة الله اکبر فلم یزل ذلک حاله حتی مات رحمة الله علیه
ورضوانه وقال الحصری رضه الناس یقولون الحصری لا یقول بالنوافل
وعلی اوراد من حال الشباب لو ترکت منها رکعة لعوتبت وقال محمد
بن ثابت البنانی رضه لما حضرت ابی الوفاة جعلت القنه الشهادة
فقال یا بنی دعنی فانی فی وردی السابع قال ابو طالب المکی رضه ومداومة
الاوراد من اخلاق المومنین وطریق العابدین وهی مزید الایمان
وعلامة الایقان وفی خبر ان عائشة رضه سئلت عن عمل رسول الله صلی
الله علیه وسلم فقالت کان عمله دیمة وفی لفظ اخر کان اذا عمل عملا اتقنه
واثبته وفی الخبر المشهور احب الاعمال الی الله ادومها وان قل وجا فی

الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة عن الحسن البصري ومرة
عن عائشة رضه وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى
يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في زيد
فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار
الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذلك ان يلوح له خيالات
وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار بطالته
وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ
بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال
الجنيد رضه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك
الحركات من باب البر والتقرب الى الله تع فقال الجنيد ان هذا قول قوم
تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن
حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله
واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا
ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي واقوى في حالي قال السهروردي رحمه
في كتاب عوارف المعارف فاما من يتوق بخيال او يقنع بمحال ولم
يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور
فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة وتذهب
من قلبه هيبة الشريعة وينفضح في الدنيا والاخرة فيعلم الصادق ان
المقصود من الخلوة التقرب الى الله تع بعمارة الاوقات وكف

الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من ارباب الخلوة مداومة الاوراد
ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردي
وهو مناسب لما ذكره المؤلف وليس من هذا المعنى ما روى عن ابي سليمن
الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضه انهما قالا اذا صارت المعاملة الى
القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان ابا نصر
السراج رضه فسره بعد ان حكاه عن ابي سليمن رضه فقال وهذا الذي قال
ابو سليمن يحتمل معنيين احدهما انه اراد بذلك استراحة الجوارح من المكابدات
والمجاهدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر
المشغلة والعوارض المذمومة التي تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل ايضا
انه اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادة ويصير
وطنه ويتلذذ بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود
الالام التي كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام ابي نصر ومعناه صحيح والله اعلم
وبه التوفيق **وُرُودُ الْإِمْدَادِ بِحَسَبِ الْإِسْتِعْدَادِ وَشُرُوقُ الْأَنْوَارِ**
عَلَى حَسَبِ صَفَاءِ الْأَسْرَارِ ورود المواد الامدادية من الله تع على عبده
بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية
على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالاثار والركون الى الاغيار
الْغَافِلُ إِذَا أَصْبَحَ يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ وَالْعَاقِلُ يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِهِ
اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا اصبح اول
خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم فهو مشتغل

وتوزيعها على الاوقات ويصلح
لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح
لقوم دوام المراقبة
ويصلح لقوم الانتقال
من الذكر الى
الاوراد
صح

لتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلة عنه فهو
حقيق بان يكله الله تع الى نفسه فيتشتت عليه قلبه ويتنغص عليه مراده
والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تع فيقول ماذا يفعل الله بي
وهو ناظر اليه تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام
تيقظه فلا جرم ان يكفيه الله تع تعلقات الامال ويفرغه من جميع الاشغال
ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه من الاعمال او يورده عليه من الاحوال
وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تع لمن وليه من عباده وحبيبه
قال عمر بن عبد العزيز رض اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القدر وقال
ابو عثمن رض منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني
الى غيره فسخطته ومن املح ما رايت في هذا المعنى الذي ذكره المولف
ايجب ان يحذو على مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القسم
عبد الرحمن الصقلي رح في كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء
بسنده الى ايوب بن بشير الطارقي قال حدثنا رجل من اصحابنا قال
رايت رجلا في مرج الديباج ليس معه شيء فدنوت منه فسلمت عليه
فرد على السلام فقلت رحمك الله اين تريد قال لا ادري قلت ما رايت
احدا يريد مكانا لا يدري اين يذهب فقال انا واحد قلت اين تنوي
قال الى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري اين تذهب قال نعم وذلك
اني كم مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني الى طرطوس وكم مرة
اردت طرطوس فيردني الى عبادان فينبني الى مكة ولا ادري قلت

فمن اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك قال من حيث
يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني مرة ويهينني مرة ومرة يقول
لي ما على الارض ازهد منك ومرة يقول لي انت لص ومرة ينومني على
الفراش ويطعمني الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ومرة يطردني الطرد
العنيف ولا ينومني الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل
ذلك بك قال الله عز وجل قال فالقاني في بحر قلت فسر لي رحمك الله
كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري فاذا جنني الليل بت فربما ياويني
الليل الى قرية فاذا نظر الي اهلها قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون
هذا ياوي الليلة بهذه القرية فاذا صلينا العشاء الاخرة يدخل المسجد
رجل فيقول يا نائم فاقول لبيك فيقول لي بالعنف قم من هاهنا ليس
لك هاهنا موضع فاقول له وكرامة فاين ابيت الليلة فيقول لي
خارج النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لي مثوى الا عند النواويس
تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فياويني الليل الى قرية فاذا راني اهلها
قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي
يبيت فاذا صليت العشاء الاخرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت
فاقول وكرامة فامضي معه الى المنزل فياتيني بالطعام الطيب ويدهن
راسي ويكحل عيني وياتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولا يدع شيئا
من البر الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي مع سيدي فقلت رحمك الله متى
قدر لك ان تدخل بغداد قال منزلي في موضع كذا وكذا قال فانا يوما

قاعد اذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا بصاحبي فسلمت عليه وادخلته
البيت فقلت اي شيء صنع بك مولاك فقال اخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا
وقال لي يا لص ثم اراني ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلت له اي شيء القصة
قال كان اجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الانبار جئت الى مقثاة قد
نبذ فيه المدود والمر فقعدت اكل منه فنظرني صاحب المقثاة فاقبل الي
بعصاة فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص ما اخرب مقثاتي غيرك منذ كم
ارصدك حتى وقعت عليك قال واذا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فاقلب
السوط في راسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه ويقال لمثل هذا يا لص
قال فما كان بين ان كنت عنده لصا اذ صرت زاهدا الا كما حدثتك
قال فاخذ بيدي صاحب المقثاة فذهب الي منزله فما ابقى من الكرامة شيئا
واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون من معنى نظره
الى ما يفعل الله به ان ينظر الى ما يرد على قلبه من الاشارات من قبله
ليكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف
اقتضاه دوام النجاة وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين رضه احرص
ان تصبح وتمسي مفوضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك وقال بعضهم من
اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله فانظر
اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك
فانت المنقطع منه وان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل
العالم في قبضته وتخصيص اهل الوصلة بانهم في كنفه لا يكلهم الي غيره

واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده
المشركون فيها عن مكة ومنعوه من ان يقيم بين اظهرهم نسكه رجع في
الحال عن تلك العمرة ولم يعترض لهم لما يحصل له به في الظاهر عزة او نصرة
بعد ما كان دعا الله من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة
من حاده من الكفرة وعمل في ذلك على ما اظهره الله له من اياته العظام
عند بروك ناقته لما اراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما
قصده ومقررا لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا تدعوني اليوم قريش
الى خطة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وصالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا
في الارض عاملين فلما استتم بينهم الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت
الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت عين الصحابة رضه بما ابرزه
اليهم من الطاف ومنن وقد صح بمعنى جميع ما قلناه الخبر ونقله الثقات على
الحديث والسير ولكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليتوافق
عقده وقوله في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا
نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني
ولا ان اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني الى لما تحبه وترضاه من القول
والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم وليقل ايضا ما رايته لسيدي
ابي الحسن الشاذلي رضه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا
اعلم امرا اختاره لنفسي فكنت انت المختار لي واحملني في اجمل الامور

عندك واحدهما عافية في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شي قدير
انما يستوحش العباد والزهاد من كل شي لغيبتهم عن الله في كل شي فلو
شهدوه في كل شي لم يستوحشوا من شي العباد والزهاد في حجبة عن ربهم
بنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشيا ويستوحشون منها
لانها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدي
ابو الحسن رضه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها ان تعوق
عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل
العلم بالله والمحبة لله لراوه ظاهرا في الاشيا كلها ولكان لهم في ذلك من
قرة اعينهم ما يشغلهم عن رويتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشيا وحشة
ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار امرك في هذه الدار
بالنظر في مكوناته وسيكشف لهم في تلك الدار عن كمال ذاته روية العباد
لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار رويته ظاهرا في المكونات
بانوار بصائرهم لاتجلي لهم من وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي
الدار الاخرة يرونه معاينة بانوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا
غاية الظهور والكشف علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه
عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاضطرار لمعرفته وهو حال شريف يقتضي
وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة
والحضور والمشاهدة الحقيقية غير مقصورة في هذه الدار لما هي عليه من
الدناءة والنقص والفنا والذهاب فاكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه

بان اشهده ما برز منه من الاثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر
فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا اقعده في
مقعد الصدق وحصلت له عناية الحق فخلع عليه خلع التقريب والتكريم
وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية
وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات
وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكن همك
اقامة الصلوة لا وجود الصلوة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات
لوجود الملل وتحجيرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله
بهما على عبده فان الملل والشره افتان عظيمتان قاطعتان على العبد
سبيل عبوديته والملل كثيرا يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر
عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسام فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا
له وهو شي يعرض للطبع بعد ايثاره للشي ومحبته له والشره مجاوزة الحد
في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود الملل المداومة على
نمط واحد من العبادات فتسامها النفس وتستثقلها فاذا الوقت
عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة ۞ الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها
مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها
فلذلك عين اوقاتا يتوقع فيها واوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى

تحجيرها في الاوقات فان كان الملل والفترة واقعين في الصلوة لم يكن
الاتي بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يومر الا باقامة الصلوة
لا بوجود صورة الصلوة قال سيدي ابو العباس المرسي رض كل موضع
ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جا لمن اقام الصلوة اما بلفظ
الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتع الذين يومنون بالغيب
ويقيمون الصلوة رب اجعلني مقيم الصلوة اقم الصلوة واقام الصلوة
والمقيمي الصلوة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين
هم عن صلوتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلوة فالاقامة انه اذا
صلى المومن صلوة فقبلت منه خلق الله تع من صلوته صورة في ملكوته
راكعة ساجدة الى يوم القيمة وثواب ذلك لصاحب الصلوة واقامة
الصلوة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء رض اقامة الصلوة
حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسره سواه وقال الامام
ابو القسم رض هو القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من
يصلي له فيحفظ الله عليه احكام الامر بما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها
صحو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق
الوصلة وتمثيل المولف رحمه الله بالصلوة دون سائر العبادات حسن لان
ذلك اكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على الصلوة حسبما
يقوله اثر هذا **الصلوة طهرة للقلوب** يعني من ادناس الذنوب كما
روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل

الصلوة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات
فما ترون ذلك يبقي من درنه والاستفتاح لباب الغيوب لان القلوب
اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرات ما غاب عنها من
الاسرار **الصلوة محل المناجاة** لان فيها يكون الثنا والدعا والمناجاة ومظنة
الاسرار عند صفا الاذكار للملك الجبار **ومعدن المصافاة** وهي زوال الاكدار
الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ
شهوده ويمحو ذاتك وجوده **تتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها**
شوارق الانوار حتى تتكاثر عليك في الظهور فيكون قلبك نورا على نور
وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال
التي ذكرها المولف من فوائد الصلوة وان المقصود منها انما هو تحصيلها
كان ذكر المولف لها كالدليل على ما قاله من ان المامور به انما هو اقامة
الصلوة لا وجود صورة الصلوة وان الصلوة المعتبرة انما هي صلوة
الخاشعين لا صلوة الغافلين التي لا تنهض لبلوغ هذه المقاصد السنية
ولذلك كانت الصلوة ام العبادات واساس الخيرات قال الله تع واقم
الصلوة لذكري فاخبر ان الصلوة المراد منها الذكر وقد روي معنى ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف
واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب
الله صلى الله عليه وسلم على ما سياتي الكلام عليه حيث يتعرض له وفي بعض
الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع الله الحجب بينه وبينه

وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته
ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء الى
مفرق راسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب
السماء تفتح للمصلي وان الله تع يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي
التورية يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري وكان يرون ان تلك
الرقة والبكا وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب
من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضه دعا الله تع الموحدين الى هذه
الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيا لهم فيها الوان الضيافات
لينال العبد من كل قول وفعل شيا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال
كالاشربة وهي عرس الموحدين هياها رب العالمين لاهل رحمته
في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب المكي رض
حدثت ان المومن اذا توضا للصلوة تباعدت عنه الشياطين في
اقطار الارضين خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب
عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه
فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله فيقول الملك
صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت
العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب
له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء

احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع
الملك على قلبه فاذا كل شي في قلبه اكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت
ليس الله في قلبك كما تقول قال ويثور من قلبه دخان يلحق بعنان
السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيزد ذلك الحجاب صلوته
وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه
وتزين له حتى ينصرف من صلوته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه
الاخبار والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المولف وادلة عليه فلذلك
اوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته **عَلِمَ وُجُودَ الضَّعْفِ مِنْكَ**
فَقَلَّلَ أَعْدَادَهَا وَعَلِمَ احْتِيَاجَكَ إِلَى فَضْلِهِ فَكَثَّرَ أَمْدَادَهَا هذا من فضل الله تع
الذي عوده عبده فقلل اعدادها ان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف
منه عنه لما علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب
خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على
ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء **مَتَى طَلَبْتَ عِوَضًا**
عَنْ عَمَلٍ طُولِبْتَ بِوُجُودِ الصِّدْقِ فِيهِ وَيَكْفِي الْمُرِيبَ وِجْدَانُ السَّلَامَةِ
تقدم ان العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وجلبنا هنالك
من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع
وقد ذكر المولف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما
ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزا على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل
على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزا على عمله

طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق الوفاء بحقه في العمل وأني
توفيه ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فكيفيه
وجدان السلامة من غير مزيد عليها قال الواسطي رض العبادات إلى
طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من
هذا ما قاله النصرابادي رض العبادات الى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها
اقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رض
ميراث اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب ميراث فضله فانه اتم واحسن
قال الله تع قل بفضل ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير لهم مما يجمعون
لَا تَطْلُبْ عِوَضًا عَنْ عَمَلٍ كُنْتَ لَهُ فَاعِلًا يَكْفِي مِنَ الْجَزَاءِ لَكَ عَلَى الْعَمَلِ أَنْ
كَانَ لَهُ قَابِلًا المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها هو الله تع عز وجل فكيف
يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول
جزاء قد تقدم إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ خَلَقَ وَنَسَبَ إِلَيْكَ
فضل الله تع عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك
بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد
وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم
واستولى عليه الخجل والحيا من سيده الكريم وانطق لسانه في هذه
الحال بالدعا والسؤال وقال يا رب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي
وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني
مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي والجز

الى ما وعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد ان لا ينسب الى نفسه
شيئا من محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا ادبا اذ لا اهلية
فيها لذلك واما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب
ان يضيف ذلك الى نفسه وان يعترف بان ذلك من ظلمه وجهله
قال سهل بن عبد الله رض اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب انت بفضلك
استعملت وانت اعنت وانت سهلت شكر الله تع له ذلك وقال يا عبدي
بل انت اطعت وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا
أطعت وانا تقربت اعرض الله تع عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا
اعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة فقال يا رب انت قدرت وانت
قضيت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل
أنت اسات وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يا رب انا ظلمت
وانا اسات وانا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي انا
قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت لَا نِهَايَةَ لِمَذَامِّكَ
إِنْ أَرْجَعَكَ إِلَيْكَ وَلَا تَفْرُغُ مَدَائِحُكَ إِنْ أَظْهَرَ جُودَهُ عَلَيْكَ من ارجعه
الحق تع الى نفسه ووكله الى عقله وحدسه فقد طرده عن بابه وابعده
عن جنابه وكانت احواله مدخولة معلولة واعماله مستقبحة مرذولة
ومن اواه اليه واظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة
قدسه وكانت احواله حسنة جميلة واعماله كلها ممدوحة مقبولة
كما قيل لما انتسبت الى حماك تعرفت ذاتي فصرت انا والا من انا

وقال رضه كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك متحققا
التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودك ولوازم وجودك لا
شئ من جميع ذلك لك ولا منك وانما هي عوار عندك فلا ترى وجودك
الا بوجوده ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا
بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك
الا بان تحقق باوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك
والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شئ واحد لا تعدد فيهما
على التحقيق منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين افيبيح لك ان
تدعي وصفه وهو رب العالمين اورد هذا كالدليل على ما ذكره آنفا
من انه لا حظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاء
شئ منها من معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى
الغيرة التي اتصف بها واعلمنا بشانها على لسان رسوله صلى الله عليه
وسلم حيث قال ما احد اغير من الله ومن غيرته ان حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد
ومن افحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة في قلب العبد
بادعاء شئ من اوصاف الربوبية لنفسه عقدا او قولا لان ذلك منازعة
له وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدة منهما القيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة

والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى لمشاركة غيره
له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال
الدينية واذا كان الحق تعالى مانعا لك ومحرما عليك ان تدعي ما ليس
لك مما اعطى المخلوقين من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا
فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له
في ذلك لا انت ولا غيرك فهو اذن من اعظم الظلم واشد العداوة
عافانا الله من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف هذه
المسئلة هو الغرض الاقصى الذي هو مرمى نظر الصوفية وكل ما
صنفوه ودونوه وامروا به ونهوا عنه من افعال واقوال واحوال
انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف وشانهم ابدا
انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل
الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم
بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى
عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لا يشاركونه في شئ منه البتة
كما ذكرته آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي اعوز اكثر الناس ولم يحظوا
منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله تعالى عز وجل الذي
لا مقام للعبد اشرف منه كما قال الشاعر الست لي خلقا مني كفى شرفا
فما وراءك لي قصد ومطلوب ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق
خطرات الخصوص وخفيات هواجس الهوى وكلما يقتضي

مطلب شريف

بقاء النفس وثبوتها من محبة المقامات واثار الالطاف والكرامات
ذنوبا عظيمة واحلافا لئيمة فادحة في صدق العبودية والاخلاص
للربوبية فيتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شره
ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد
كما قيل اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه فشكا اهل
اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك
العبد لما راوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته
عليكم فرغب الغلام في الولاية فامر بكتبه المنشور وامر باستقباله اذا وافى
محل ولايته والمبالغة في الطافه بانواع الكرامات والمبار ودس من يرش
عليه ماء ورد فيه سم ثم امر من يقول اذا اشرف على الموت هذا جزاء من
اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة
لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المودي الى سواء السبيل تشير الحكاية
المشهورة المروية عن ابي يزيد رضه حدث يحيى بن معاذ رضه انه روي
في بعض مشاهداته من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا
على صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه
على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد
فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوا
فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم

طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك
فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ
بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم عندك حظا فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء
ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال منذ متى انت ههنا
قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء قال احدثك بشي
يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي
فاراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي
وطوفني في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني
بين يديه وقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي
ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي
صدقا لافعلن بك ولافعلن وذكر اشياء فقال يحيى بن معاذ فهالني ذلك
فامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تسأله المعرفة به اذ
قال لك ملك الملوك سلني ما شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك
غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي رضه
بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد عن نفسه ماخوذ اذ كان ربه
عز وجل له موجودا طال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات
وحق له اذ نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت
الزينات جميعها بعد النظر الى زينه وشهد الجميل الذي يجمل الجمال

والمتعلون بحاله ان لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن او يزين
في عينه الا اياه ام كيف ينظر غيراياه ام كيف يطلب غير ما احب او يصير
مع غير ما طلبه بل كيف يهيم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب
ووصف شخص محبوب بغير ما احب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
انتهى وفي الاشارات عن الله تع يا عبدي اعزل نفسك يعزل عنها
الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت
فتكون عندي من وراء ما ابدي فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته
اليك لان نوري عليك وليس نوري عليه فاذا جاءك لم يطقك
فاوذنك به فتاذن انت له والعبارة عنهم في هذا المعنى خارجة
عن الحصر وفيما رسمناه منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في
الظاهر اعلى من ان نبينا ولها كلام المولف لان مرجع امره اليها اذا
دققنا فيها النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود
المعتبر وكلام الصوفية رض كثير ما يجري في هذا المجرى والله تع يجزيهم
عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء
اليهم ويشرح صدورنا لاستنجاح ما يرد منهم او يبدو عليهم بمنه وفضله
كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد خرق العوائد
بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تع به الا من خرق عوائد نفسه وفني
عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها وان ظهر له
صورته صورة الكرامة ينبغي ان يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر

ولا يحب ذلك ولا يتطلبه فان احبه او طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته
وحظوظه وعادته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل
الكرامة وهل هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب المكي رح وجميع
الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب
والمطلوب لا يكون محجوبا وهو عن نفسه مسلوب فمن غيبت عليه من
نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية سترها عليه رحمة
له لانه لو كوشف بها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا
ونفس حبه وعاين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون
كارها لظهورها كراهية لظهور الخلق على معصيته وخائفا منها كخوفه
على نفسه في تظاهرها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بها ويختبر لنظر
كيف يعمل وكذا الشيخ ابي عبد الله القرشي رض قال من لم يكن كارها
لظهور الايات وخوارق العادات فهي في حقه حجاب وسترها
عنه رحمة فاذن من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الايات
وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك
فاذا فني عن ارادته جملة وكان له تحقيق في رؤية نفسه بعين الحقارة
والذلة حصل له اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف في سلك
الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع اهل الارادة بالقدح
الفالج قال الشيخ ابو العباس بن العريف رض اصبحت يوما مهموما
فقلت للشيخ ابي القسم بن رود حدثني بحكاية عسى الله ان يفرج

ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل يعرف بابي الخيار
فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه
حتى اذا كان وقت الصلوة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا
اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم احدا وجلس
الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت صلوة العصر اجتمعوا
وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا في سير الصالحين ومقامات الاولياء
الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست
عندهم ثلاثة ايام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي ان اساله عن مسئلة
استفيدها فتقدمت اليه فقلت له ايها الشيخ مسئلة اسال عنها فقال
قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين ففزعت فقلت له ايها الشيخ متى يعلم
المريد انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون اغضبته فقمت
عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد ان اساله عن المسئلة وعزمت
على ذلك فتقدمت اليه فقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض
عني كالاول فلم يجاوبني فقمت وعدت في الثالث وسالته عن المسئلة
بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا اظنك تريد ان تسال عن اول قدم
يضعه المريد في الارادة فقلت نعم فقال لي اذا اجتمع فيه اربع خصال
احدها ان تطوى له الارض ويكون عنده كقدم واحد وان يمشي على الماء
وان ياكل من الكون متى اراد وان لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع اول
قدمه في الارادة واما متى علم المريد عندنا انه مريد سقط من حد الارادة

قال ابو العباس بن العريف رضه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له ايستنا من الارادة يا ابا القاسم وتعجبت من علو همة
هذا الشيخ انتهى واعلم ان اول ما تخرق له من العادة تسميته باسم
مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن ما قال الشاعر شعر
تكون مريدا ثم فيك ارادة ◦ اذا لم ترد شيئا فانت مريد
والتحقيق في هذا ان من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة
حقوقها لا لاجل ما وجب عليه من ذلك لا ليتوصل به الى نيل حظ ما هو
الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا لانه متصف بالارادة الحقيقية
المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك انه امر
وجودي يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر لا انه يسمى بذلك
لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان
سلب احدهما يقتضي وجود الاخرى الاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر
ان يطلق اسم الارادة على ما سلبت منه وتجرد عنه وجدت فيه رشاقة
وملاحة وتممه وبهذا يتبين لك صحة كلام ابي يزيد رضه واستقامته
حيث قيل له ما تريد قال اريد ان لا اريد وانه ليس بمختل ولا متناقض
كما توهم بعضهم قال في التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد
ان لا يريد فقد اراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك ان ابا يزيد
رضه انما اراد ان لا يريد لان الله تع اختار له وللعباد اجمع عدم
الارادة معه فهو في ارادته ان لا يريد موافق لارادة الله له

ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضه وكل مختارات الشرع وترتيباته
هو مختار الله ليس لك منه شئ واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني
والعلم اللدني وهو ارض لتنزل علم الحقيقة الماخوذ عن الله تع قال
فابان الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام
العبودية المبني على ترك الاختيار ليلا يتخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة
بذلك فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن ارادتها
يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل
مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شئ فانما انت مخاطب ان
تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله تع ورسوله
صلى الله عليه وسلم فافهم قال فقد علمت ان ابا يزيد ما اراد ان لا يريد الا
ان الله تع اراد منه ذلك فلم تخرج هذه الارادة عن العبودية المقتضاة
منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة
بينه وبين المسئلة المبنية عليها من الكتاب والحديث شجون
يجر بعضه الى بعض لكن لما كان مقصدنا في هذا التنبيه على اغتنام
ذكر الفوائد في مفاصلها ومظانها لنقرع مسائل هذا الفن الغريب
اسماع من اراد الله تع توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح
منا ذلك وكنا سائرين فيه على اوضح المسالك وبالله تع التوفيق
مَا الشَّانُ وُجُودُ الطَّلَبِ اِنَّمَا الشَّانُ اَنْ تُرْزَقَ حُسْنَ الْاَدَبِ اذا
التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من

غيره فلا يظن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشان
المعتبر عند المحققين وانما الشان ان يتادب العبد بين يدي مولاه
ادبا حسنا بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه كما سيقوله
المولف بعد هذا او يطلب منه عبودية منه له لا العقد نيل حظ فهذين
الوجهين يحسن ادبه ويصح سواله وطلبه وذلك هو الوفا على التحقيق
**مَا طَلَبَ لَكَ شَيْءٌ مِثْلُ الْاِضْطِرَارِ وَلَا اَسْرَعَ لَكَ بِالْمَوَاهِبِ مِثْلُ
الذِّلَّةِ وَالْاِفْتِقَارِ** اضطرار العبد هو اخص اوصاف عبوديته ولذلك
لم يطلب من العبد شئ اجل منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل رض العبودية
الرجوع في كل شئ الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية اجابة
الدعا قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه
ان لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه شيئا
من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق في البحر
او الضال في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو لنجاته من
هلكته احدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف بين يدي
مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق
بها شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شئ والذلة والافتقار امران لازمان
له وهما موجبان لاسراع مواهب الرب الحق تع الى العبد المتصف بهما
واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
فذلتهم اوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل واذا تذلت الرقاب تقربا

منها اليك فعزها في ذلها * وقيل حين اسلمتني الى الذل والالام
تعقبني بعين ورأى * قال في لطائف المنن والجالب للتوفيق صدق
الرجوع الى الله تع في اول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس
في بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك ابدا
وقد قال الله تع ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه انما الصدقات
للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك وما اعطيت من نور وفتح
فتقول كما قال من خذل فاخبر الله تع عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما
اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضي لك ولو
لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله
عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية اخرى
كنز من كنوز العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبري من
الحول والقوة والرجوع الى حول الله تع وقوته لو انك لا تصل اليه الا
بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد
ان يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك
اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله تع لا يكون الا بمحو
صفات النفس وقطع علاقات القلب وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من
حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله في تحصيل هذا
الغرض بنفسه وهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الى محوهما قال
سيدي ابو العباس المرسي رض لن يصل الولي الى الله تع حتى تنقطع عنه شهوة

الوصول الى الله تع يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل وقال سيدي ابو
الحسن رض ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته
او اختيار من اختياراته فلو خلى الله تع عبده وذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا
اراد الله تع ان يوصل عبده اليه تولى ذلك له بان يظهر له من صفاته العلية
ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك
علامة على محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه
واراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما
من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء
وقال رض لولا جميل ستره لم يكن عملك اهلا للقبول العبد مبتلى بنظره الى
نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده حوله وقوته عليه في هذا لا
محيص له عنه الا ما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له
وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في
قبول الاعمال كما تقدم قال يحيى بن معاذ رض مسكين ابن ادم جسم معيب
وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه
المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تع وعظم حلمه وبره
فليعتمد المريد على فضل الله تع وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد
الله القرشي رض اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم

زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم **أنت إلى حلمي إذا**
أطعتني أحوج منك إلى حلمي إذا عصيتني شرف العبد ورفعة قدره إنما تكون
بنظره إلى ربه عز وجل وإقباله عليه وسكونه إليه واعتماده عليه ودناءته وخسته
وسقوطه من عين الله تعالى إنما تكون بنظره إلى نفسه وإقباله على غيره واستناده
إلى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الأخطار من نظره لنفسه
واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه إلى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق
الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الأشياء فإنها تحمله على الحذر والخوف
من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار إليه فلذلك كان
العبد إلى حلم الله إذا أطاعه أحوج منه إلى حلمه إذا عصاه وفي الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لعبادي الصديقين
لا تغتروا فإني إن أقم عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي
الخطائين لا تيأسوا من رحمتي فإني لا يكبر علي ذنب أغفره ولهذا المعنى
قال أبو يزيد رض توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة **الستر**
على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها
خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية
سقوطهم من نظر الملك الحق العامة تغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين
لهم ومحبة حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون
الستر من الله عليهم فيها أي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا
من أعينهم وفي أمثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله

وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال سيدي الإمام أبو القاسم القشيري
رض في هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مطلع
عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة وروى عدي بن حاتم رض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى
إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا رائحتها وما أعد الله لأهلها نودوا
أن اصرفوهم فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها
فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرينا ما أريتنا من ثوابك
وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم
كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم
الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم أليم العذاب
مع ما حرمتكم من الثواب وفي بعض الكتب إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل في
إيمانكم وإن علمتم أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم وقال ابن عباس رض
في قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المرأة في
القوم فيري القوم أنه يغض بصره فإذا غفلوا نظر إليها ويريهم أنه يغض
بصره ويود لو أنه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال أيضا في رواية
أخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها
فإذا رأى من القوم غفلة لحظ إليها ونظر فإذا خاف أن يفطنوا
غض بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه يود لو أنه نظر إلى عورتها وهذا

شان المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا
عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من اهل الايمان واليقين برآء
من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهممهم
مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم في نفع او دفع وحالهم انما هو القناعة
بعلم الله تع ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله تع عنها في ان يغيبها
عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم فيعملون بها فيقعوا
في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه فشتان ما بين الحالين
والى هذا المعنى اشار سيدي ابو الحسن رض في دعائه بقوله اللهم انا نسالك التوبة
ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف منك
قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح
من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما
هو بضدها **من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس
الحمد لمن اكرمك وشكرك** العبد محل الافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي
يحبب الناس الى الناس فاذا اكرمك احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترتضي
لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملك
ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم عليه دون
ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون
بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه **ما صحبك الا من صحبك
وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك**

لك لا لشيء يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه
لك واسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التي يكرهها
منك وليس ذلك الا مولاك وخير صاحب لك ايضا من اعتنى بك واثرك
واراد لك من غير منفعة تناله منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه
صاحبا ودع الناس جانبا **لو اشرق نور اليقين لرايت الدار الاخرة اقرب
من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء
عليها** نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق
ويبطل به الباطل والاخرة حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين
في قلب العبد ابصر به الاخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه
حتى كانها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرتحل اليها فحق بذلك حقها
عنده وابصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها واسرع اليها الفناء
والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها
حتى كانها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي
عن زهرتها والاقبال على الاخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان
العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك
علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تنقطع
شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تامره بسوء ولا تطالبه بارتكاب نهي

ولا يكون همه الا المسارعة في الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات
والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى
هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رض روى انس بن مالك رض
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذا استقبله شاب من الانصار
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مومنا
بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت
نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا
وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يتعاوون
فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله بصيرة الايمان في قلبه قال
يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول
شاهد فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله اخبرني عن ابني فان يك في الجنة فلن ابكي ولن اجزع
وان يك غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست
بجنة ولكن جنة في جنان والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك
وتقول بخ بخ لك يا حارث وروى انس ان معاذ بن جبل رض دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت بالله مومنا
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق
ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط الا ظننت ان لا امسي وما

وما امسيت مساء قط الا ظننت ان لا اصبح ولا خطوت خطوة قط الا
ظننت الا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها
معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الى
عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم
فهذان الرجلان الفاضلان حارثة ومعاذ بن جبل الانصاريان رض لما
اشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما اي تمكين صدر عنهما
ما صدر مما ذكرناه من فنون العبر وشاهدا امر الدارين بمنزلة رؤيا
العين فسلمت اعمالهما من العيوب والافات وحفظا من الهنات
والسيئات وطهرت منهما الاسرار والقلوب وشرعا في كل امر محبوب
وطارت ارواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت انفسهما
بالموت حتى صار عندهما احلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا افلح
من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وائمة الدين رضي
الله عنهم اجمعين ولقد اصاب معبر عن حالهم فاسمع مقالا صادقا منقولا
ان الاولى ماتوا على دين الهدى وجدوا المنية منهلا معسولا
وروى انس بن مالك رض ان خرام بن ملحان رض وهو خال انس طعن
يوم بئر معونة في راسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال
فزت ورب الكعبة وكان حيان بن سليمن فيمن حضر بئر معونة مع عامر
بن طفيل ثم اسلم بعد ذلك وكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني
طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما

فاز ابليس فقلته حتى سالت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت
فاز لعمر والله والمطعون ههنا والله اعلم هو عامر بن فهيرة رض وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شأن الامرآء الثلاثة يوم موتة اخذ الراية زيد فاصيب
ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد
عن غير امرة ففتح الله عليه اظنه قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرني انهم عندنا
او قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان عند ذكرهم لقد حازوا مرتبة
شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثال الذين عميت بصائرهم
واظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقفنا في اودية المهالك
والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة والفتانة السحارة فنشبت
مخالبنا بشباكها وارتبكنا في مصائدها واشراكها من غير شعور منا لحبالها
وتزوير مخالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا عليها كمنزلة ظمآن
لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه ماء ولا غناء ثم مع هذا كله
ننتسب الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار
اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين حلول الحين او البقا
في الدنيا معلقا باشفار العين لاختار البقاء في الدنيا على هذه
الحال مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانفصال
وهذه كلها اخلاق يهودية ولا يليق بمن ينتسب الى الملة المحمدية
قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف

سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون فلو
لم ينه الغافل عن محبة البقاء في هذه الدار وبامره بايثار دار القرار
التشبه باليهود الناقضين للعهود المتهاونين بامر المعبود لكان ذلك
ابلغ ناه وآمر فضلا عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله
عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور
وحبب لنا لقاءه ورزقنا ما رزق اصفياءه واحباءه بمنه وكرمه
**مَا حَجَبَكَ عَنِ اللّٰهِ وُجُوْدُ مَوْجُوْدٍ مَعَهُ إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ وَلٰكِنْ حَجَبَكَ عَنْهُ تَوَهُّمُ
وُجُوْدٍ مَعَهُ** تقدم ان لا موجود سوى الله تع وتبارك على التحقيق وان
وجود ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تع الا توهم وجود
ما سواه لا غير والتوهمات باطلة فلا حجاب لك عن الله تع اذن وقد
استوفى المؤلف ذكر جميع انواع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا قال في لطائف
المنن واشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود
الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار
جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم ينسخ احدية المؤثر اذ
الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية الآثار
لم تعوقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار لا يعوق السفن عن التسيار
ومن ههنا يتبين لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين
الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك
منه ولا شيء اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب

فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان واراد
البراز فسمع صوت الرياح من كوة كانت هناك فظنه زئير اسد فمنعه
ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح الضغط في تلك
الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه توهم الاسد **لولا ظهوره في المكونات
ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته** ظهور
الحق تع من وراء حجب المكونات هو الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار
عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي
الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك بصر
ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار وفي رواية النور
لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره **أظهر كل شيء
لأنه الباطن وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر** من اسمائه تع الظاهر
الباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شيء حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ
وجود كل شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا باطن معه فيظهر اذ
ذاك وجود كل شيء فالحق تع هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله **أباح لك
أن تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات
قل انظروا ماذا في السموات ولم يقل انظروا السموات فتح لك باب
الأفهام لئلا يدلك على وجود الأجرام** امر الله تع بالنظر في المكونات ليس
لذاتها لان في ذلك البعد عن الله تع بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم
بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى

بقي في قوله تع قل انظروا ماذا في السموات والارض والمعنى المقصود في وجود
الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها
وقال انظروا السموات لكان منه دلالة على وجود الاجرام وهي اغيار له وفيها
البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم ياذن فيه قال في لطائف المنن
فما نصب الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك ان
تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث
كونيتها قال وقلنا في هذا المعنى • ما اثبت لك العالمين الا ••
مولاها لتراها بعين من لا يراها • فارق عنها رقي من ليس يرضى • حالة دون ان يرى
الأكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته الاكوان من ذاتها العدم
المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تع لها وجعلها
اكوانا فالثبوت لها امر عرضي والحق اللازم هو وجود احدية الله تعالى
والاحدية مبالغة في الوحدة فلا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا
يمكن ان يكون اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها
من حيث لا انوجاد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولا كان في ذلك تعدد
واثنينية كما قيل • يا رب وعبد ونفي ضد • قلت له ليس ذاك عندي •
فقال ما عندكم فقلنا •• وجود فقد وفقد وجد •• وانشدوا
سرى سري من جانب القدس افناني • لكن بذاك الفنا عني قد احياني •
وردني للبقا حتى اغيب عن • جمال حضرته لكل هيمان •
وطرت في ملكوت من عجائبه • لم الف غير وجود ما له ثاني •

وانشد المولف رحمه الله لنفسه في لطائف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن

حسن بان تدعي الوجود باسره ، حسن فلا يشغلك عنه شاغل ،
ولئن فهمت لتعلمن بانه ، لا ترك الا الذي هو حاصل ،
وان استهيت سواه فاعلم انه ، من وهمك الادني وقلبك ذاهل ،
حسب الاله شهوده بوجوده ، الله يعلم ما يقول القائل ،
ولقد اشرت الى الصريح من الهدى ، ولنا عليه ان فهمت دلائل ،
وحديث كان وليس شي غيره ، يقضي به الآن اللبيب العاقل ،
لا غرو الا نسبة مسموعه ، ليذم ذو ترك ويحمد فاعل ،

وقال رضه الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ذم العبد لنفسه واحتقارها لما تحققه من عيوبها وافاتها مطلوب منه لان ذلك يوديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله والا فسدت عليه واعتدت لدخول الافات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به ينبغي ايضا ان يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه وقال اخر اذا قيل لك نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضه لم يزل الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما

مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك واشهدك على مقته وقال اخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وقال الامام ابو حامد الغزالي رضه انما كره المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تع والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تع الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تع من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تع وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والاجال بيد الله تع قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابي حامد رضه المومن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه المومن الحقيقي هو الذي لا يشهد لنفسه صفة محمودة يستحق لها ان يمدح او يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيى من الله تع استحياء تعظيم واجلال ان يثنى عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا عنها ويقوى عنده روية احسان الله تع اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس

الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامة
المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال
اعلم بنفسه وقد شبه الحارث المحاسبي رضه الراضي بالمدح بالباطل
بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة
المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك ان الذنوب
والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج
من جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه في حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه
في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ بالمستهزأ به في معرفة
حال ما يخرج من جوفه فهو لجهله وغباوته قد رضي بان يكون له في قلوب
العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة لسقوطه من عين مولاه
الذي يعلم الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة
وفرح بها ولم يقابل ذلك بالكراهية هذا اذا كان المادح من اهل
العلم والدين واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا غباوة اعظم من الرضا
بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي رضه تزكية الاشرار هجنة بك
ومحبتهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك
فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم راوا مني شيئا اعجبهم ولا خير في شيء يسرهم
ويعجبهم وروي عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه
ابكي وقد مدحك قال انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك
بكيت فانظر ما افقه هذا الحكيم على العلة في ذلك **اذا اطلق الثناء**

عليك ولست باهل فاثن عليه بما هو اهله المومن هو الذي لا يرى نفسه
اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم
فاذا اطلق الله تع السنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي
ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تع بما هو اهله ليكون
ذلك شكر النعمة اطلاق الالسن بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك
ولا ثبوت اهلية **الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق**
والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق
تقدم ان الزهاد في غيبة عن الله تع فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا
او اثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم
يخافون من فوت نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك
والعارفون حاضرون مع الههم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا
شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم
ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك
فقال وما علي من ذلك ولست اغلط في نفسي بل لست في البين والمجري
والمنشئ هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المومن
ربا الايمان في قلبه قال ابو طالب المكي رضه وفيه طريق للعارفين ان
يعلو الايمان العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى
سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها
فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا

يعجب بنفسه انتهى قلت وللمولف رضه قصائد في مدح شيخه ابي العباس المرسي رض
وكان ينشدها بين يديه ويقع ذلك منه موقعاً عظيماً وكان يستعيد
منه بعضها ويقول له في بعضها ايدك الله بروح القدس نحو ما كان
يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع ان حب
المدح عندهم من الرذائل التي تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الجميع
استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع
لجماعة منهم وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي
ابي الحسن الشاذلي وسيدي ابي العباس المرسي رضه وغيرهم عن سي
مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرنا
ولا يتناول ما وقع لهم من ذلك بما أوّل به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام
لنفسه وثنائه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام
والله تع اعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب هذا المقام
لا يحتاج الى علامة ان لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم
لانهم مصرفون في قبضة القدرة فيسامح لهم ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم
ولا يصل بشيء من الاذى اليهم كما قيل ؛ رب رام لي باحجار الاذى
لم اجد بدا من العطف عليه ؛ فعسى يطلع الله على ؛ فرح القوم فيدنيني اليه
متى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع
فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك
القبض عند المنع والبسط عند العطا من علامة بقاء الحظ والعمل على

نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به
عدم صدقه في عبوديته وانه طفيلي بين اهل الله تع في ادعائه مقاماتهم
وهو لم يوهل لها والطفيلي هو الذي ياتي الى الولائم والضيافات
فيدخل مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة
من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس
وكان ياتي الولائم من غير ان يدعى اليها فشبه صاحب الكتاب
هذا به قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رح اكثر الخلق مع الله تع في احوالهم
على الظنون ما تحقق منهم له الا قليل الا تراه تع يقول وما يتبع اكثرهم الا ظنا
فمن تحقق في حاله مع الله تع غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والافعال
نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث
الحق له لا من حيث هو للحق ولكن اكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة ويظهرون
حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء او خلاف مراد رجعت نفوسهم
الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به وما اشاروا
اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لنسوا في جنب ما اشاروا
اليه جميع المراد ساء ام سر لان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض
عليه عارضة خلاف واذا هذه حاله عز سواه وقال رض اذا وقع منك
ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون
ذلك اخر ذنب قدر عليك الاستقامة على العبودية لا ينافيها فعل
الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا اجرى القدر عليه بذلك وانما

يا قضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر
الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه
ويرى انه طرده وابعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله والاياس
من روح الله لانه قد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر عليه وقد وقع
ذلك وفرغ منه **اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه اليك**
واذا اردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه الرجا والحزن
حالان عن مشاهدتين فمن اراد ان ينفتح له باب الرجا فليشهد ما من الله له
من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجا
ومن اراد ان ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه الى الله تع من المخالفة
والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه حينئذ حال الحزن
ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يوثره العارفون على البسط لما
فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء باداء دون البسط وقد
يفتح لهم فيه من ابواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان
يعرف نعمة الله تع عليه في ليل القبض كما يعرفه في اشراق نهار البسط
كما يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكل ذلك الى ربه وليحسن
ظنه به فانه لا يدري ايهما اقرب له نفعا كما اشار اليه بالاية الكريمة وتشبيه
القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي
ابي الحسن رض **مطالع الانوار القلوب والاسرار** نجوم العلم واقمار

المعرفة وشموس التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم
وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة
قال في لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا صان قلبه من
الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه
قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المومن
اولى بذلك يقول الله تع فيما يحكيه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم لم تسعني ارضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر
الذي اعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة اهلا ولهذا قال الشيخ
ابو الحسن رض لو كشف عن نور المومن العاصي لطبق ما بين السماء والارض
فما ظنك بنور المومن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رض
يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من اوصافه ونعوته
من نعوته قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي
صلوة فشهدت ما ابهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار
قد ملاته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم استطع النظر اليه
قال فلو كشف الحق تع عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى
نور الشمس والقمر من مشرقات انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من
انوارهم الشمس يطرا عليها الكسوف والغروب وانوار قلوب اولياء الله لا
كسوف لها ولا غروب كذلك قال فالهم
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

مطلب لطيف

نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب نور اليقين
المستودع في القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن
الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ ابي العباس
المرسي رض قبل هذا وقد تقدم من كلام المولف رح انار الظواهر بانوار اثاره
وانار السرائر بانوار اوصافه **نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك**
به عن اوصافه النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان
المحدثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الا من حيث تستدل بها على المؤثر
والنور المستودع في القلوب يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها
عيانا وفي هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تحقق
في المعرفة وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك وهذا فرقان ما بين
النورين قال في لطائف المنن نور الشمس يشهد به الاثار ونور اليقين يشهد
به المؤثر قال ولنا في هذا المعنى ؎ هذه الشمس قابلتنا بنور ؎
ولشمس اليقين ابهر نورا ؎ فرأينا بهذه النور لكن ؎ بهاتيك قد رأينا المنيرا ؎
ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار
القلوب نورانية فتحجب لوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من
العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بمحبتها لكثائف الاغيار
الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان
النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال ابو الحسن الششتري
في قصيدته النونية ؎ تقيدت بالاوهام لما تداخلت ؎ عليك ونور العقل اورثك السجنا

وهمت بانوار فهمنا اصولها ؎ ومنبعها من اين كان فهمنا ؎
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما ؎ تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا ؎
ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود
الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار انوار السرائر انما خفيت
عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي
ان يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها عن الابتذال
لها بوجود اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بالسنة الاشتهار بين الاغيار
فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر في قوله سبحان
من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وقال رض **سبحان من لم يجعل الدليل على**
اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله
اليه لا دليل على الله تع سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياؤه ولما
كان الوصول الى الله تع لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان
يكون بطلب او سبب كان اولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما
خلع عليهم الخلع العظيمة ؎ وتولاهم بمنته الجسيمة ؎ واصطفاهم لنفسه ؎
واختصهم بمحبته وانسه وطهر اسرارهم من انجاس الاغيار وصان قلوبهم
بما اودع فيها من الانوار والاسرار وكانوا لذلك ضنائنه في عباده
وخباياه في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت
قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق تع اغير على اوليائه
من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث

الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس
التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في اعين الخواص والعوام فاني يكون
لاحد دليل عليهم او وصول بسبب اليهم قال في لطائف المنن فاولياء الله اهل
كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس رضه يقول
معرفة الولي اصعب من معرفة الله تع فان الله تع معروف بكماله وجماله وحتى
متى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب قال فيه فاذا اراد
الله ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك
وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار القلوب لله سبحانه عباد
ضن بهم على العامة واظهرهم للخاصة فلا يعرفهم الا شكلهم او محبهم ولله عباد ضن
بهم عن الخاصة والعامة وعباد اظهرهم للخاصة والعامة ولله عباد
يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد يسترهم في البداية
ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة
فمن سواهم حتى يلقوه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت
الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله قبض ارواحهم
بيده فتطيب اجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها
مشرقة بنور البقا المجعول فيهم ببقا الابد مع الباقي الاحد عز وجل
انتهى وقال ابو يزيد رضه اولياء الله تع عرائس ولا يرى العرائس
الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في حجال
الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال ابو علي الجوزجاني

الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته
فتوالت عليه انوار التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار
وفي الاشارات عن الله سبحانه انما سميت الولي وليا لانه يليني دون ما سواه
فهم منزهون بتنزيه الحق تع لهم من ان يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر المولف
كلامه بالتسبيح **ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف
على أسرار العباد** من لطف الله تع اخفاء اسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما
سر يقتضي وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المولف ههنا بدليل الكلام الذي
عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الاسرار الملكوتية ووجه
الفرق بينهما ما يذكره المولف الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم مما ذكرناه
ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تع بها بعض عباده في
ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المولف في
المسئلة التي فرغنا منها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب او سبب واخفا
ذلك ايضا عن عامة المومنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت اسرار
الولاية على احد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها
فان فرط في ذلك او ترك القيام بتلك الحقوق ربما وقع بسبب ذلك
في محذورات لا يقوم لها شيء وقد فهمت هذا المعنى من كلام سهل بن عبد
الله رضه وقد ساله بعض تلامذته كيف يعرف اولياء الله تع فقال ان الله
لا يعرفهم الا اشكالهم او من اراد ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس
لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج

ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة منه لخلقه ورأفة
ولكن الله قد اخبر بكرامتهم فقال جل وعز الله ولي الذين امنوا والله ولي
المؤمنين فافردهم به ولو كشف سترهم لكان في النظر اليهم حجة وكان الاجماع
لمحدثيهم فرضا انتهى كلام سهل وفهمته ايضا من الكلام الذي ذكره الشيخ
ابو طالب رضه في كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول
ستره لهم بعضهم من بعض وستره عن العلما والصالحين منهم لولا ذلك
لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو اظهر عليهم ايات يعرفون
بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم
لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت اعمال
المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر
على الرجا وحسن الظن من ورا حجاب اليقين وتاخرت عقوبات المؤذين
لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجليل
قدرهم ففي ستر هذا النعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة
دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله
من اجلهم اذ كانوا اسأوا اليهم من ورا حجاب فهذا هو لطف خفي
من لطف المنعم الوهاب كما جا في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ثم انا الثائر لوليي فقد يكون مثل ذلك من اذى نبيا وهو لا
يعلم نبوته قبل ان يخبر انه رسول الله وان الله عز وجل نباه فلا يكون وزره
وزر من انتهك حرمة من كان اعلمه انه نبي الله عز وجل لعظم حرمة النبوة

انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول اولى في تقرير معنى ما ذكره
المولف والله تعالى اعلم من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية
كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على الاسرار التي
تقتضي وجود الغيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية فيرحم المؤمنين
ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف
بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يوديه
الى روية نفسه واستعظام امرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا من
اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات
ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي
والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
رضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السما وفي الاشارات عن الله سبحانه عبدي
اني استخلفتك شققت لك من الرحمانية شقا فكنت ارحم بالمرء
من نفسه وقد ادب الله خليله ابرهيم عليه السلام في بعض مواطنه اللطيفة
وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي عن
قسامة بن زهير رضه انه قال بلغني ان ابرهيم عليه السلام حدث نفسه
انه ارحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى اشرف على الارض فابصر
اعمالهم وما يفعلون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم

بعبادي منك يا ابرهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون عن علي
رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ارى الله ابرهيم ملكوت السموات
والارض اشرف على رجل بمعصية من معاصي الله عز وجل فدعا الله عليه
فهلك وكذلك على اخر واخر فهلكوا فاوحى الله تع اليه ان يا ابرهيم
انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانهم مني على ثلاث
خصال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبح
لي واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته
وقيل ان سبب امر الله تع له بذبح ولده هو هذا المعنى من غلظته
على العصاة وقلة رحمته ذكر في بعض التفاسير انه عليه السلام كان
يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تع وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم
اهلكه ياكل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله تعالى
فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا
فاني طالما رايتهم عاصين فلما اهبط ارى في المنام ما ذكره الله تع عنه حيث
يقول اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر
لذلك واخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي
واحب الناس الي فسمع قائلا يقول اما تذكر الليلة التي سالت اهلاك
عبدي او ما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق بولدك فاذا سالتني
اهلاك عبدي اسالك ذبح ولدك واحد بواحد والبادي أظلم

حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه النفس شانها ابدا طلب الحظوظ والفرار من
الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فضلا عن المعاصي
ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد
من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا تجده في نوع اخر
وان كان هذا النوع الاخر اتم فضيلة منه وما ذاك الا لاجل ان
حظها فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة والبصيرة يتهمون انفسهم اذا
الفت بابا من ابواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكائدها
فيشوشون ذلك عليها وينتقلون فيها وقد حكي عن ابي محمد
المرتعش رضه انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع
ذلك كان مشوبا بالحظ وذلك ان والدتي سالتني يوما ان استقي
لها جرة ماء فثقل ذلك علي نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات
كانت بحظ وبشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم تصعب
عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ النفس في الطاعة موجود
لكنه خفي على العامل فلذلك يتعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم وبعد
ادراك ليتطلب بذلك افات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها
فيعمل على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم اذ كان ذلك متعذرا وجب
عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا ما كان قال
الشيخ ابو بكر الخفاف رضه سمعت بعض مشائخنا يقول عن احمد بن

ارقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى استحباب الغزو فقلت سبحان الله
ان الله تع يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا
ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقي الناس فتستروح اليهم وتتسامع
الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها لا اسلك
العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاسات ظني بها وقلت الله
اصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكوني اول قتيل فاجابت
وعد اشياء مما ارادها به فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني
لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول لي انك تقتلني
كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر لي احد فان
قاتلت فقتلت كان قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال
استشهد احمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس قال فقعدت ولم اخرج
ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسيأتي من
كلام المولف رض اذا التبس عليك امران انظر اثقلهما على النفس فاتبعه
فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا رياء دخل الرياء عليك حيث لا ينظر
الخلق اليك رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج
الى امارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه احد امر خفي لا يعرف الا
بالامارات والعلامات بل هو اخفى من دبيب النمل ومن اماراته
ان يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمهم وتقديمه في المحافل والمجالس
ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه

استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته
واهانة سواه حتى ربما يظهر بعض بخفاء العقول ذلك على السنتهم فيتوعدون
من قصر في حقهم بمعاجلة الله تع له بالعقوبة وان الله لا يدعهم حتى ينتصر
لهم ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه مرائي
بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد روي عن علي رض انه قال ان الله
بن ابي طالب
تعالى يقول للفقراء يوم القيمة الم يكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبادرون
بالسلام الم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم
اجركم وقال عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رض ان رجلا
من العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان
فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على
اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه
وان سال حاجة احب ان تقضى لمكان دينه وان اشترى شيئا احب
ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب مركبه من الناس فاذا
السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد
اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر
فاقبل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا
قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند
هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت
لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا انفسهم بسببه

من الاشرار كما روي عن الفضيل بن عياض رضه انه قال من اراد ان ينظر
الى مرائي فلينظر الي وسمع مالك بن دينار رضه امراة وهي تقول له يا مرائي
فقال لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل على داود
الطائي رضه فقال له ما حاجتك قال زيارتك قال اما انت فقد عملت خيرا
حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل لي من انت فزارا من الزهاد
انت لا والله امن العباد انت لا والله ام من الصالحين انت لا والله ثم
اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا
والله للمرائي شر من الفاسق الى غير هذا مما يروى عنهم في هذا المعنى ولا يسلم
من الريا الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تع طهرهم من
دقائق الشرك وغيب عن نظرهم روية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار
اليقين والمعرفة فلم يرجو منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود
مضرة فاعمال هولاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس ومراى منهم
ومن لم يحظ بها وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار
فهو مرائي بعمله وان عبد الله تع في قنة جبل حيث لا يراه احد ولا يسمع به
وقد تقدم قول يوسف بن الحسين الرازي رضه اعز شي في الدنيا الاخلاص
وكم اجتهد في اسقاط الريا عن قلبي فكانما ينبت فيه على لون اخر
استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك
الخصوصية ههنا ما اختص الله به بعض عباده من علم نافع او عمل صالح وصدق
العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تع بحاله ولا يتطلع الى ان يعرف بذلك احد

من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة
الخلق بذلك ويغار على حاله من روية الاغيار له ولهذا فضل عمل السر
على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم
وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه وليمسح شفتيه
فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفها
من شماله واذا صلى احدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله تع يقسم الثناء
كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة
وقال احمد بن ابي الحواري رضه من احب ان يعرف بشي من الخير ويذكر به
فقد اشرك في عبادته لان من عبد على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوى
مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضه كل من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع
الله ونظره دخل عليه الريا لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب
ان يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضه من احب
ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال ابو الخير الاقطع رضه
من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مرائي ومن احب ان يطلع الناس
على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا
تحب ان تعرف انك ممن لا يحب ان يعرف فعلى العبد اخفاء حاله
جهده وان يبلغ في كتمانه اقصى ما عنده قال الحسن رضه ادركت اقواما
ما من احد منهم يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل
ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت اقواما

يأتي احدهم الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد ادركت اقواما
وما من عمل يقدرون ان يعملوه لله سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت
اقواما يجمع احدهم القران وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون
في الدعاء وما يسمعهم احد وقال محمد بن واسع رضه ادركت رجالا كان الرجل
يكون راسه مع راس امراته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من
دموعه لا تشعر به امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جانبه وفي رواية عنه
ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامراته معه لا تعلم فان وقع منه
اعلان واظهار في وقت ما فيشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن
ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله وليكبر ذلك على نفسه في ذلك
اشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله
وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه
ان يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف الارادة
لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لان سببه قد استتب له وان
كان قوي الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون
فينعقد حينئذ العزة على الحال ويحط بذلك عن رتبة الكمال ولهذا كان
اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي هذه الطريقة كما تقدم
عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة
ومشاهدة الوحدانية الفرقة جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن

احواله بادمنه على نفي الغير واداء الواجب حق الشكر كان بعض السلف
يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة
فيقال الا تخشى من الرياء فيقول وهل رايتم من يرائي بفعل غيره وكان آخر
يفعل مثل ذلك فيقال الم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله سبحانه واما بنعمة
ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا حاله الى هداية
عباد الله ودعائهم الى الله تع فاظهر احواله واعماله للاقتداء به والاهتداء
بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله وداخل في حكم هذا المنزع الثاني وعلانيته
هذا افضل من سره لانه سلم من الافات التي تعرض لها غيره وحصلت
منه الفوائد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من
العلانية والعلانية افضل من السر لمن اراد الاقتداء وهذا ارجح الوجوه
عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله عن فرحه باطلاع الناس
على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من
الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين رضه منعنا من ذكر وقائعهم
خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا العبد
مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلا جرم ان كان لهم الدرجات
العلى عند الله لانه من ائمة المتقين لله وقد اخبر الله تع بجزائهم وذكره
عقب دعائهم بذلك فقال عز من قائل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال
في لطائف المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة

بعلمه والاعتنا بشهوده قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بان الله يرى وقال
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فمبنى امرهم في بدايتهم على الفرار من
الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا
لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم
لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا الحقيقة
الفنا وردوا الى وجود البقا فهناك ان شا اظهرهم هادين لعباد الله
ان شاء الحق اظهرهم وان شاء سترهم
وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء اليه وظهور الولي ليس بارادة نفسه
لكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفا لا الجلا كما قدمنا
فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد الله سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك
بتاييده وواردات مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة
لا تطلب الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها
وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله
لم يطلب ظهورا ولا اخفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده وقال
الشيخ ابو العباس رضه من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن احب الخفا
فهو عبد الخفا ومن كان عبد الله فسوا عليه اظهره او اخفاه انتهى غيب
نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود
اقباله عليك هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية العبد الذي اشار
اليه في المسئلة التي قبل هذه وهو ان لا يكون له شعور بما من الخلق

اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعوره
وتشوفه وطلبه ما من الله اليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب ادنى
الحالين باعلاهما وذلك بان يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي باطل
ينقاد اليه كل ذي عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد انواعا من الكبائر
والرذائل من الانحطاط في اهوا النفس وتحسين مواقع نظرهم منه
بالتصنع والتزين له وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم
ومعاشرتهم بالنفاق والدهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا
عذاب اليم مستعجله في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب
عيشه ثوب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك
همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة اكبر وقد قال الشاعر
من راقب الناس مات غما • وفاز بالراحة الجسور •
ورأى سهل بن عبد الله رضه رجلا من الفقراء تحته فقال له شيئا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا
من اجل الناس فالتفت سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من
هذا الامر حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا
يرى في الدنيا الا هو وخالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه
او يسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتهى ثم من له الحصول
ما اراده منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن
من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما ارضى شخصا ما لا يرضى اخر فهو يعمل
بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تع

مع مقاساة التعب والنصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمن
وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمن دخل ذات يوم السوق وهو
راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين راوه شيخ لم يشفق على
صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هلا زاد بالثالث فنزل لقمن وبقي
الولد فقالوا الشيخ ماش وصبي راكب فنزل يمشي مع ولده وساقا جميعا
الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمن بهذا ان يري
ابنه شان الناس مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم منهم على اي حالة
يكون فرضي الناس غاية لا تدرك واحمق الناس من ترك طلب
ما لا يدرك وهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء
الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو
حق ووجود صدق وهو ما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل
عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما يودي به الى هذه المطالب من غير اكتراث
بذم ذام او عيب عائب ويقول بلسان حاله ان الذي تكرهون مني
ذاك الذي يشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قاله محمد بن اسلم رضه ما لي ولهذا
الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت
الدنيا وحدي ثم تقبض روحي وحدي فادخل في قبري وحدي ويأتيني
منكر ونكير فيسالاني وحدي فان صرت الى خير صرت وحدي وان
صرت الى شر كنت وحدي واوقف بين يدي الله تع وحدي ثم يوضع
عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان بعثت الى الجنة بعثت وحدي

وان بعثت الى النار بعثت وحدي فما لي وللناس وقد سئل الحارث
بن اسد المحاسبي رضه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذي لا يبالي
لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب ان يطلع الناس
على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السيئ من
عمله فان كراهيته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس
هذا من اخلاص الصادقين من عرف الحق شهده في كل شيء فلا يستوحش
من شيء ويستانس به كل شيء كما تقدم من نعت العارفين ومن فني
به غاب عن كل شيء فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا اله اليها
استناد ومن احبه لم يؤثر عليه شيئا من مراداته وشهواته وهذه الامور التي
ذكرها المولف رحمه الله هي علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح
وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له ان يدعي تلك المقامات وليعمل
على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها انما حجب الحق عنك شدة قربه منك
شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك
موجب لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين
الثابت الموجود فكيف يراه قال في لطائف المنن تعظيم القرب هو
الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب
ان تغيب في القرب عن القرب لعظم القرب كمن شم رائحة المسك
فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو
فيه انقطعت رائحته عنه وانشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم • والامر اوضح من نار على علم

اراك تسأل عن نجد وانت بها • وعن تهامة هذا فعل متهم

انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارة تداولها
الناس وضربوا للمعنى لها مثالات الشمس وذلك ان الشمس نورها اقوى
من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هي التي حجبت الابصار
الضعيفة عن ادراكها فقد صار ظهورها الذي اوجبه وجود نورها حجابا
لها وليس الحاجب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته
وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان
النور فالحق تع احتجب عن الخلق لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره
وانشدوا في هذا المعنى • لقد ظهرت فما تخفى على احد • الا على اكمه لا يعرف القمرا

لكن بطنت بما اظهرت محتجبا • وكيف يعرف من بالعزة استترا • وانشدوا ايضا

بالنور يظهر ما ترى من صورة • وبه وجود الكائنات بلا امترا •

لكنه يخفى لفرط ظهوره • حسا ويدركه البصير من الورى •

• فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد • شيا سواه على الذوات مصورا

• واذا طلبت حقيقة من غيره • فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال رضه لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك
لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية لم يامر الله تع عباده بالطلب
والسؤال منه الا ليظهر افتقارهم اليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه
فيكون ذلك اظهار العبودية منهم وقياما بحقوق ربوبية ربهم لا لان

يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ لان
في ذلك وجود حظ انفسهم لا قياما بحقوق ربهم وليس ذلك من شان العبيد
هذا هو فهم العارفين عن الله ويدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن قال
ابو نصر السراج رضه سالت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التسليم
والتفويض فقال ندعو الله على وجهين احدهما نريد بذلك تزيين الجوارح
الظاهرة بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة نريد ان نزين جوارحه
بهذه الخدمة والوجه الثاني ان ندعو ائتمارا لامر الله تع من الدعاء
انتهى وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب تع
يفعل ما يشاء ومقتضى هذا ان لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان اعطاه
كل مطلب وان له كل سؤل ومارب وان لا يفرق بين العدم والوجود
والمنع والعطا فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله في
الاحوال كلها وقبيح بالعبد ان يصرف وجهه عن باب مولاه ما ينيله
عن شهوته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضه لا يكن همك في دعائك
الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة
مولاك وقال الامام ابو القاسم القشيري رضه شر الناس من يبتهل الى
الله تع عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت
شكايته ورفعت عنه آفته ضيع الوفا ونسي البلاء وقابل الرفد بنقض
العهد وابدل العقد برفض الود اولئك الذين ابعدهم الله في سابق
الحكم وخرطهم في سلك اهل الرد وقد قيل بلاؤك يلجئك الى الانتصاب

بين يدي معبودك خير من عطاء ينيلك اياه ويقصيك عنه كيف يكون
طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على نفي السببية المذكورة
لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه امر لاحق فيما لا يزال
وكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل السبب ابدا الا متقدما
على المتسبب جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا دليل اخر على ما ذكره
وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تع في الازل فلا يكون سببه
الدعا والسوال لان احكام الله تع تجل عن ان تنضاف الى علة او سبب
من قبل ان له الارادة المطلقة والمشية النافذة فصنعه علة لكل شيء
ولا علة لصنعه كما قال العارفون المحققون عنايته فيك لا لشيء منك
واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في ازله
اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال
وعظيم النوال عناية الله بك في الازل حين لم يكن حين لا حين غير
معللة بشيء كائن منك من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بجميع
ذلك اليه فاين كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض
كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطي رض اقسام قسمت
ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات علم ان
العباد متشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم
انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة
الله قريب من المحسنين ظهور سر العناية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص

المشية في قوله عز من قائل يختص برحمته من يشا ولا علة له من العبد
والاحسان المنسوب اليه في قوله تعا ان رحمة الله قريب من المحسنين امارة
وعلامة على تلك العناية وليست بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه
وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذي هو مقتضى
العبودية الواجبة لله عليهم الى المشية يستند كل شيء لان وقوع ما لم
يشا الحق تع محال ولا تستند هي الى شيء لاستحالة وجود النقص فيما
يجب له الكمال وهذه العبارات التي ذكرها المولف من اول الفصل الى
هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بترددها وتكرارها عن البيان
والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على
العبد ان يبني عليها اعماله واحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع
التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو لباب التوحيد جعلنا الله من اهله
بمنه وفضله قال ابو بكر بن محمد بن موسى الواسطي رض ان الله لا يقرب
فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة لما وصلك اليها
ولو اخذتها كلها لما قطعك بها قرب من قرب من غير علة وقطع
من قطع من غير علة كما قال تع ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
وقال ايضا رحمه الله ما خالفه احد ولا وافقه احد وكلهم مستعملون بمشيته
وقدرته انى يكون الوفاق والخلاف وهو تقلب الليل والنهار بما
فيهما وهو قائم على الاشيا وبالاشيا في بقائها وفنائها لا يونسه

وجد ولا يوحشه فقد بل لا وجد ولا فقد انما هي رسوم تحت الرسوم وقال
**ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن
مسالته** قد يكون من الادب ترك السوال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار
راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب القوم قال الامام
ابو القسم القشيري رض واختلف الناس في اي شي افضل الدعاء ام السكوت
والرضى فمنهم من قال الدعا في نفسه عبادة قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ
العبادة فالاتيان بما هو عبادة اولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه
فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فقد قام بحق ربه لان الدعاء
اظهار فاقة العبودية وقد قال ابو حازم الاعرج رض لان احرم الدعاء
اشد علي من ان احرم الاجابة وطائفة قالوا السكوت والخمود تحت جريان
الحكم اتم والرضى بما سبق من اختيار الحق اولى ولهذا قال الواسطي اختيار
ما جرى لك في الازل خير من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم
خبرا عن الله تع من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعا بلسانه صاحب رضى
بقلبه لياتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القسم والاولى ان يقال ان
الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعا افضل من السكوت وهو
الادب وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعا وهو الادب وانما
يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه
اشارة الى الدعا فالدعاء به اولى وان وجد اشارة الى السكوت

فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيا
عن شهود ربه تع في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله فان وجد
من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى وان عاد الى قلبه
في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالاولى ترك الدعاء في هذا الوقت
وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه
ههنا سيان وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى
لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا المعرفة والحال بالسكوت
فالسكوت اولى ويصح ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب او للحق
سبحانه فيه حق فالدعاء اولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت
اتم وفي الخبر المروي ان العبد يدعو الله تع وهو يحبه فيقول يا جبرئيل
اخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه
فيقول يا جبرئيل اقض حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام الامام
ابي القاسم وهو حسن بديع وهو اوفى مما ذكره المؤلف **انما يذكر من يجوز عليه
الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال** اورد هذا كالدليل على ما ذكره من
ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا
بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود
الاهمال منه فيكون له تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تع عن ذلك
علوا كبيرا فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عنده هو الادب وقد سئل
الواسطي رض ان يدعو فقال اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سالتنا

مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سالتنا ما ليس لك عندنا فقد اسات الثنا
علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور
وروي عن عبد الله بن منازل انه قال ما دعوت منذ خمسين سنة وما اريد
ان يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق ورود الفاقات أعياد المريدين
الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح وهم
يختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه
وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه
واعوازاماتيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مرادهم
انما هو مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار ولا يتاتى
لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وانواع الحاجات
والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل
على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف
قدرها الا هم لانها من وجودهم لقرب ربهم ورؤيتهم له في حال فقدان
حظهم وكلما ازداد فاقة وبلاء ازداد هم مولاهم قربة وقد كان بعضهم
يطوف حول الكعبة وهو يقول ، موتزر بشملتي كما ترى ، وصبيتي باكية كما ترى
وامراتي عارية كما ترى ، يا من يرى الذي بنا ولا يرى ، اما ترى حالي اما ترى
فسمعه بعضهم فجمع له كرا ودفعها اليه فقال اليك عني لو كان معي شي
لما امكنني ان اقول هذا القول قال في التنوير وفي البلايا والفاقات من
اسرار الالطاف ما لا يفهمه الا اولوا الابصار الم تر ان البلايا تخمد النفس

وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها وتقع مع البلايا وجود الذلة
ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو الحسن الشاذلي رضي
من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين
اختاروها حتى بلغوا اسنام الخير ان يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع
والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح
والموت على الحيوة وقد تقدم عند قول المؤلف من ظن انفكاك لطفه عن قدره
فذلك لقصور نظره والشفاء في هذا المعنى فواجب اذن ان تكون ورود
الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بوجدانات الاسباب
المشعرة او وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك
وتاسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج
رضه قال دخلت على بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما راني تعلق بي وقال ايها
الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما هي قال فقدت البلا
وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شي من الدنيا وقال
بعضهم ان الفقير الصادق ليتحرز من الغنا حذرا ان يدخله الغنى فيفسد
عليه فقره كما ان الغني يتحرز من الفقر حذرا ان يدخل عليه فيفسد عليه
غناه وقد تقدم من حكايات الشيوخ عطا السلمي وفتح الموصلي والفضيل
بن عياض والربيع بن خثيم رضه ما يوافق ما ذكرنا وانشدوا في ذكر اعياد
المريدين والعارفين وقيل انها لابي علي الروذباري رضه ،
قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه ، فقلت خلعة ساق حبه جرعا ،

فقد صبرها ثوباي تحتها • قلب يرى الفه الاعياد والجمع •
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به • يوم التزاور في الثوب الذي خلعا •
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي • والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا •
ربما وجدت من المزيد في الفاقات • ما لا تجده في الصوم والصلوة ورود
الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السر وقد لا
يحصل له ذلك بالصوم والصلوة لان الصوم والصلوة قد يكون له فيهما
شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن فيه من دخول الآفات
فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى
والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو هذا من هذا المعنى عند قوله اذا
فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك **الفاقات**
بسط المواهب الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق
وناهيك بما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية
والنفحات الرحمانية **ان اردت ورود المواهب عليك • صحح الفقر والفاقة**
لديك انما الصدقات للفقراء هذا مثل ما ذكره الآن وذكر الآية عقبه اشارة
بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق باوصاف العبودية المذكور في
المسألة التي تأتي باثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التي استشهد بها
المؤلف على طريقة القوم ما قاله بعضهم صدق الفقير اخذه الصدقة
ممن يعطيه لا ممن تصل اليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه
جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من

الوسائط فهو المترسم بالفقر مع رداءة همته **تحقق باوصافك يمدك**
باوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق
بضعفك يمدك بحوله وقوته هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن باوصاف ربوبيته متعلقا
وباوصاف عبوديتك متحققا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضه
بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل
لله تعالى واضدادها اوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم اوصافك
وتعلق باوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك
ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط الذل
يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا
بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي ابي الحسن وهو
معنى ما ذكره المؤلف ههنا واكثر كلام المؤلف جار على منهاج ابي الحسن رضي
الله عنهما ونفع بهما وقال رضه **ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة**
الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها
الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا عليها ولا يكن له همة
الا في الوصول اليها واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند
المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال سيدي ابو
الحسن الشاذلي رضه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان

بمزيد الايقان وشهوة العيان وكرامة العمل على الاقتدا والمتابعة
ومجانبة الدعاوى والمبتدعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو
عبد مفتر كذاب او ذو خطا فى العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك
على نعت الرضى فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضى وكل
كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص
او هالك مثبور وقال سيدى ابو العباس المرسى رضه ليس الشان من
تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشان لمن تطوى
عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عند سهل بن عبد الله رضه الكرامات
فقال وما الايات وما الكرامات هى شى تنقضى لوقتها ولكن اكبر الكرامات
ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ
لا تعجبوا ممن لم يضع فى جيبه شيا فيدخل يده فى جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن
تعجبوا ممن يضع فى جيبه شيئا فيدخل يده فى جيبه فلا يجده فلا يتغير
قيل لابى محمد المرتعش رضه ان فلانا يمشى على الما فقال عندى من مكنه
الله تعالى فى مخالفة هواه فهو اعظم من المشى على الماء وفى الهوا وقال
ابو يزيد رضه لو ان رجلا بسط مصلاه على الما وتربع فى الهوا فلا
تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الامر والنهى وقيل له فلان يقال انه
يمر فى ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر فى لحظة من المشرق الى المغرب
وهو فى لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشى على الماء والطير فى الهوا
اعجب من ذلك وقال الجنيد رضه حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية

النعم والتلذذ بالعطا والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل
هذا عند قوله ليس من ثبت تخصيصه كمل تخليصه **من علامة اقامة الحق
لك فى الشى ادامته اياك فيه مع حصول النتائج** لا اعتبار بما يقوم
فيه العبد بنفسه من عمل او حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة
اقامة الله تعالى عبده فى الشى ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبنى
على هذا اداب ومعاملات وقد اشرنا الى نحو من هذا عند قول المولف
ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب الخ **من عبر من بساط احسانه
اصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا اسا** من
شاهد احسان نفسه وعمل بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة
لعباد الله فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما
يعتريه من الخجل والحيا وهذه طريقة اهل التكليف الذين ينظرون الى ما
منهم الى الله تعالى من عمل صالح او طالح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب
عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه فى الحالين من غير فرق لان مشاهدته
لوحدانية ربه وقيوميته اوجبت جراته على ذلك وقد قيل جراة الجنان
تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة اهل التعريف الذين ينظرون
ما من الله اليهم **قلت** وما ذكرته ههنا من لفظى التعريف والتكليف
وما نبهت به عليهما من الكلام اللطيف اشرت به الى مسالة عظيمة
مهمة ينبنى عليها احكام واداب جمة وهى مسئلة اختلاف الناس
فى معاملتهم لربهم بحسب تباينهم فى مراتب قربهم ومن احكامها مسالة

التعبير التي اقتصر المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما
ينبني على ذلك الاصل وقد نبه عليها في لطائف المنن واتى فيها بكلام
مستوعب حسن فراينا ان ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصدنا في تفسيره
واجماله قال فيه وقال رضه يعني شيخه ابا العباس رضه الناس على ثلاثة اقسام
عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود
ما من الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب
عليه شهود تقصيره واساته فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله معه وتلازمه
الاحزان وتحالفه الاشجان ويستولي عليه الكمد كلما بدت سيئة او كشف
له عن اوصاف سوء وعبد اخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل
والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله
قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
فالاول هو حال العباد والزهاد والثاني حال اهل العناية والوداد الاول
شان اهل التكليف والثاني شان اهل التعريف الاول حال اهل اليقظة
والثاني حال اهل المعرفة ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضه العارف من عرف
شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساته في
احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضه قليل العمل مع
شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض
اهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ ابو الحسن رضه
قرات ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان انتهيت الى قوله

من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك منك ينسيك
الطافه الحسنة ويذكرك افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر
عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن
بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد والعباد
واهل الجد والاجتهاد ولذلك قل ان تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا
لانه علم ان الله طالبه بالعبودية وحمله اعباءها والزمه ما اشفقت السموات
والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا فغاب عن الزهاد ثقل ما حملوا ولم يصعدوا الى شهود لطف
الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى
عليهم الحزن واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما
وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به حتى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل
وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله حمل عنهم ما حملهم قال الله
سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بالصدق والرجعى فحمل
عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين في محفات المنن مروحا عليهم بنفحات
اللطف والاخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكليف فلازمهم
المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فاخذ بايديهم
من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات

واشرقت فيهم العنايات واما القسم الثالث وهم الذين مع الله تع يشهدونها
من الله الى الله هؤلاء هم اهل التوحيد والداخلون في ميادين التفريد واهل
القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهودها منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك
وان خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا على نفوسهم موبخين لها شاهدين
بتقصيرها واساءتها فلو لم يشهدوا الفعل لها او ملكها ما توجهوا لها بالتوبيخ
اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود
التقصير من الشرك في التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها
يستلزم دقيق الشرك فكيف نصنع والله قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا
قصرت وتوبيخها هو اذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها لان الله تع
امرك بذمها من غير ان تشهد لها قدرة وتضيف اليها فعلا تراها هي الفاعلة له
واما القسم الثاني وهو الذي يشهدها من الله اليه فهو وان كان خيرا من
القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذ راى نفسه مهداة اليها هدايا
الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين اثر اهل
الله القسم الثالث وهو ان يكون يشهدها من الله الى الله فافهم انتهى
كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنه من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة
دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق
لا رب غيره **تسبق انوار الحكماء اقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير**
الحكماء هم العارفون بالله تع العاملون به والانوار المنسوبة اليهم هي
انوار معرفتهم وهي قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تع لا شريك له فيها

فاذا ارادوا ارشاد عباد الله ونصيحتهم باذن من الله تع لهم سبقت
انوار قلوبهم الى الله تع باللجا والافتقار اليه في ان يتولى لهم من قلوب
عباده بان يجعل فيها اهلية واستعداد القبول ما يريدون ايراده
عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل
اليها اثار انوار اسرار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون
بذلك تمام انتفاع ولقد اوصى لقمن الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت
من حكمتك قال لا اتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي شيء اخر
جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة
كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون
بالله تع العاملون به لانهم خائفون من الله تع وفي بعض الاثار
راس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تع
فقط فالحكماء هم العلماء بالله تع وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم
الرسمية كليلة السنتهم في البيان عنها **كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب
الذي منه برز** اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وزكا
من الاغيار واشرقت فيه الانوار كان ترجمانه لسانه على حسب
ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج اذان السامعين فتنفتح
اقفال قلوبهم ويستجيبون لما اجتباهم روى الحافظ ابو نعيم
رض عن سعيد بن عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع

فقال يوما وهو يوبخ جلساءه ما لي ارى القلوب لا تخشع وما لي ارى العيون
لا تدمع وما لي ارى الجلود لا تقشعر فقال له محمد بن واسع يا عبد الله
ما ارى القوم اتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على
القلب قلت وقد حاز المولف قصب السبق في هذا المعنى الذي
ذكره ومن مارس كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له منها
التاثير المحمود سلم ما قلناه وكفى بشهادة ابي العباس المرسي رض على
عظم قدره ودعائه له برهانا على ذلك قال في لطائف المنن وكنت قد
قلت لبعض اصحاب الشيخ يعني ابا العباس المرسي رض اريد لو نظر الي الشيخ
برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رض
لا تطالب الشيخ بان تكون في خاطره بل طالبوا انفسكم ان يكون الشيخ
في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده ثم قام يريد ان
يكون والله ليكونن لك شان عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا
والله ليكونن لك كذا لم اثبت منه الا قوله ليكونن لك شان عظيم
قال وكان من فضل الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدنا جمال الدين
ولد الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون ان يصدروا ابن عطاء في الفقه
فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وانا اصدره في التصوف قال
ودخلت عليه فقال اذا اعوفي الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جدك
ويجلس الفقيه من ناحية وانا من ناحية وتتكلم ان شاء الله في العلمين
فكان ما اخبر به رض قال وسمعته يقول اريد ان استنسخ كتاب التهذيب

لولدي جمال الدين فذهبت انا فاستنسخته من غير ان اعلم الشيخ
واتيته بالجزء الاول فقال اما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه
فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولي لا يتفضل عليه احد تجد هذا ان شاء
الله في ميزانك فلما اتيته بالجزء الثاني لقيني بعض اصحابه عند نزولي من
عنده قال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من عيون الله يقتدى
به في علم الظاهر والباطن فلما اتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده
لقيني بعض اصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمرا
فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما ارضى له بجلسة جده
ولكن بزيادة التصوف قال واخبرني بعض اصحابه قال قال الشيخ
يوما اذا جاء ابن فقيه الاسكندرية فاعلموني به فلما اتيت اعلموا الشيخ
بك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا
ملك الجبال قد امره الله ان يطيع امرك فسلم عليه ملك الجبال وقال يا محمد
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله ولا
يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من
اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت
يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي ابو الحسن الحريري وكان
من اصحاب الشيخ ابي الحسن فسلمت عليه وسلم على بشاشته واقبال

فقلت له من اين تعرفني فقال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ
ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انه ليعجبني هذا
الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال
الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله
فكان ما قال الشيخ رضه قال وكنت كثيرا ما يطرا علي الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء قلت نعم فقال
رضه هذه الطايفة يلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت
اياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله قال ان كنت لا
تترك الوسوسة لا تعد تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني
قال وكان رضه يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة امدحه
بها فقال حين انشدت ايدك الله بروح القدس قال ثم عملت له قصيدة
اخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد اخميم فلما
قريت عليه قال رضه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما
ولابد ان يجلس ويتحدث في العلمين يشير الشيخ الى مرض الوسوسة
قال ولقد انقطع عني ببركة الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون لشدة
التوسعة التي اجدها قد تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كان بي
الم براسي فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاه الله وشفاه وبت ليلة
من الليالي مهموما فرايت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال

اسكت والله لاعلمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جيت الى الشيخ
رضه فقصصت عليه الرويا فقال هكذا يكون ان شاء الله قال وجا يوما
من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال لي يا احمد كان الله لك
ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه وبهاك بين خلقه قال فلقد
وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
واني مرادبهم لقوله وبهاك بين خلقه قال وكنت لامره من المنكرين
وعليه من المعترضين لا لشي سمعته منه ولا لشي صح نقله عنه حتى
جرت بيني وبين اصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك
الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر وهولاء القوم يدعون امورا عظاما
وظاهر الشرع يا باها فقال ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ تدري ما
قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فاول ما قال لي
هولاء كالحجر ما اخطاك منه خير مما اصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا
ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيا ينكره ظاهر العلم
من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعي معه
ان قلت في نفسي بعد ان جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل
دعني اذهب فارى هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا تخفى شانه
فقال فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها
فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شيت قلت
الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شيت قلت

الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق او نحو هذا فما زال القول
وان شئت قلت الى ان بهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغرف من فيض
بحر الهي ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى
المنزل فلم اجد شيئا يقبل الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنى
غريبا لا ادري ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها
وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك الى العودة اليه مرة اخرى
فاتيت فاستوذن لي فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة
واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك
فكان اول ما قلت له يا سيدي انا والله احبك فقال احبك الله كما
احببتني ثم شكوت اليه ما اجده من هموم واحزان فقال احوال العبد
اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت
بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر
وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق شهود المنة عليك وان كنت
بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده
وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال ثم سألني بعد
ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال
ليلي بوجهك مشرق ۔ وظلامه في الناس ساري ۔ والناس في سدف الظلام
ونحن في ضوء النهار ۔ الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في
المذهبين يريد مذهب اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل

الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت
ذلك ههنا على طوله ليعرف به قدر المؤلف وليدفع بواضح برهانه طعن
الطاعن وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله تع
علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا وقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل
الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المؤلف من الكلام
الحائز به قصب السبق بين من عاصره من الائمة والاعلام واما شيخه
ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم وقد طرزت
بكلامهما الكتب والدفاتر وذهبت بمآثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام
والصحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك
ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم اناف الجاحدين والمعاندين
فيكفيك من ذاك المسمى اشارة ۔ ودعه مصونا بالجمال محجبا ۔
مَنْ أُذِنَ لَهُ فِي التَّعْبِيرِ فُهِمَتْ فِي مَسَامِعِ الخَلْقِ عِبَارَتُهُ وَجُلِّيَتْ إِلَيْهِمْ إِشَارَتُهُ
المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان
كلامه صوابا قال الجنيد رضه الصواب كل ناطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم
الى قوله تع لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع
السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته فلم تحتج الى معاودة ولا
تكرار وجليت اليهم اشارته فلم تحتاج جوامعها الى اطناب ولا اكثار بخلاف
غير المأذون له في ذلك قيل لحمدون بن احمد بن عمارة القصار رضه ما بال
كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس

ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق **ربما برزت**
الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار من لم يستكمل
الاوصاف المذكورة لم يوذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان
اظهرها برزت مكسوفة الانوار لما غشيها من ظلمة روية الاغيار فمجتها
اذان السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة
ان يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من افات المنطق قال في لطائف
المنن ان من اجل مواهب الله تع لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا
ابا العباس رضه يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق
لديه مشهودة حتى اذا اعطى العبارة كان كالاذن من الله تع له في الكلام
قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضه يقول كلام الماذون له يخرج وعليه كسوة
وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين
ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الاخر **عبارتهم اما**
لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال
ارباب المكنة والمتحققين انما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الامور
الغيبية والعلوم الالهية لاحد معنيين اما حال غلبة الوجد عليهم
وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين
من اهل البداية واما لقصد هداية مريد فيظهر منهم ذلك لما فيه من فائدة
الارشاد والهداية وهذا حال المتمكنين والمتحققين من اهل النهاية فان
عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر

المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يوذن له فيه وايضا
في اله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تع يتلقى ما يرد
على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منه نطق او
تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من اداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا **العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس**
لك الا ما انت له اكل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى
معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم
كما ان المستطعمين والسوال موسومون بفقر الحاجة الى اقوات ابدانهم وكما
ان اقوات هولاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هولا ما يصلح للاخر من الاطعمة
والاشربة لاختلاف طبائعهم وامزجتهم فكذلك اقوات الاخرين مختلفة فلا
يصلح لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح
للاخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم
او عارف او واحد من اهل هذا الطريق ولم تحظ منها بشي فاعلم انها لا
تصلح لقوتك وغذائك وهي صالحة لقوم اخرين ومما ينتظم في هذا السلك
ان تقرع اسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى
لم يقصده المتكلم ويتاثر باطنه بذلك تاثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة
من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر ويحصل لهم بذلك التاثر مع ان
المتكلم لم يرد شيا من ذلك وربما كان مضادا له وقد يسمع ارباب القلوب
من الجمادات ويسعدون به لسنية الحالات قال في لطائف المنن

وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما اخبرنا الشيخ الامام مفتي الانام
تقي الدين محمد بن علي القشيري رح قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقري
اثني عشر علما فخرج يوما قاصد المدرسة فسمع منشدا يقول
اذا العشرون من شعبان ولت ٭ فواصل شرب ليلك بالنهار ٭
ولا تشرب باقداح صغار ٭ فقد ضاق الزمان على الصغار ٭ فخرج
هائما على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات قال وقرئ على الشيخ
مكين الدين الاسمر قول القائل ٭ لو كان لي مسعد بالراح يسعدني ٭
لما انتظرت لشرب الراح افطارا ٭ الراح شيء شريف انت شاربه ٭
فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا ٭ يا من يلوم على صهباء صافية ٭
خذ الجنان ودعني اسكن النارا ٭ فقال انسان هناك لا تجوز قراءة هذه
الابيات فقال الشيخ مكين الدين الاسمر للقاري اقرا هذا رجل محجوب
والشيخ مكين الدين هذا هو الذي شهد له الشيخ ابو الحسن الشاذلي رح
بانه من السبعة الابدال قال وحكي ان في بغداد ثلاثة سمعوا مناديا
ينادي يا سعتر بري ففهم كل واحد منهم مخاطبة عن الله خوطب بها في
سره سمع الواحد اسع ترى بري وسمع الاخر الساعة ترى بري وسمع الاخر
ما اوسع بري فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه قد علم كل
اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى بري فهو دليل على النهوض الى الله
بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة ترى

برنا بوجود المواصلة واما الثاني فكان سالكا الى الله طالت له الاوقات
في ان تفوته الوصلة فقيل له ترويحا على قلبه لما احرقه نار الشغف
الساعة ترى بري واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب
من حيث اشهد فسمع ما اوسع بري قال وقال الشيخ محي الدين بن العربي رض دعانا
بعض الفقرا الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ
فقدم الطعام وعمروا الاوعية وهناك وعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل
فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعة ياكلون واذا الوعا يقول منذ
اكرمني الله باكل هولا السادات مني لا ارضى لنفسي ان اكون بعد ذلك
محلا للاذى ثم انكسر بنصفين قال الشيخ محي الدين فقلت للجميع سمعتم ما قال
هذا الوعا قالوا نعم قلت ما سمعتم فاعادوا القول الذي تقدم قال فقلت
قال قولا غير ذلك قالوا وما هو فقلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله
بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك ان تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا
جعلنا الله واياكم من اولى الفهم عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازع
مما تستمع وتستظرف وتتنازعها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس
الكريمة فقد جرت عادة ائمة هذا الطريق باستعمالها وايرادها في مجالسها
فلا حرج علينا اذن في ذكر بعض ذلك اذا كانت له مناسبة تامة ووجه
فيها فائدة خاصة او عامة وبالله التوفيق لا رب غيره ربما عبر عن المقام
من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب
بصيرة كان الواصل الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك

يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والتباس
ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر واما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك
لانه يرى في الكلام صورة التكلم الباطنة وما هو عليه من كمال ونقص
وقد قيل تكلموا تعرفوا **لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته فان ذلك يقل**
عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق فيها مع ربه الواردات الالهية لا
ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها فلا يطلع عليها
احدا الا شيخا مرشدا الا ان نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا فتتقوى به
صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التاثير المحمود ولاجل
غلبة احكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد
تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دال على
عدم صدقك في عبوديتك **لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا ان**
ترى ان المعطي فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم هذه قاعدة
عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها احوالهم فيما يصل اليهم
من الرفق على يد الخلق وقد ذكرها المولف بعبارة بديعة موجزة مجردة
جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسط كلامه في ذلك
على حسب عادتنا معه وعلى الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه
وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه فنقول على حسب ذلك
ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم على قسمين احدهما رزق يصلون اليه
باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرها وهذا

حال اهل الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا
سعي وهذا حال ارباب التجريد وكل واحد من القسمين له اداب واحكام
تخصه فاحكام القسم الاول وادابه لم يتعرض لها المولف رضه وهي مذكورة
في فن الفقه وغيره فواجب على كل من دخل في شيء من الاسباب تحصيل علمه
وطلبه من حيث هو واحكام القسم الثاني وادابه هي التي تعرض لها المولف
واجمل رحمه الله جميع ذلك في مراعاة الشرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ
الشرط الاول ان لا يرى العطا الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما
استنبط على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص التجريد
وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه هم الرزق ويزول به عنه
علاقة الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبد الناس مولها قلبه
اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما ايديهم واستشرافه لهم فيقع بسبب ذلك
في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والريا
والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من
الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل قال يحيى بن معاذ رضه
من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي
في تلك الروية المذكورة ان تكون علما وايمانا فقط بل لابد ان يكون حالا
وذوقا دعا بعض الناس شقيق البلخي رضه وكان في طبقة من اصحابه
نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة كثيرة فلما
قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام

والى اقدمه اليه فطعامى عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شيا ما
كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم وقال صاحب المنزل للشفيق رحمك الله ما
اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابى الى كلهم لا يرونه فيما صنع
ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا فى رؤية العطا
من الله تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرنا
لان التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتمحل لان ذلك من اتباع
هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من اراده به من اهل
التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى وجده فى الهرب من كل ما يقطعه
عن الله فحينئذ يسلبه الحق من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته
فى ايراده واصداره ويكون ترك الاسباب بحكم الوقت واشارة الحال
كما روى ان ابا حفص النيسابورى رضه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ
عليه الكير فادخل يده فى النار واخرج الحديد من النار فغشى على غلامه وترك
ابو حفص الحانوت واقبل على امره وكان يقول رضه تركت العمل فرجعت اليه
وتركنى العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص رضه لا ينبغى للصوفى ان يتعرض
للقعود عن الكسب الا ان يكون رجلا مغلوبا قد اغنته الحال عن المكاسب
واما من كانت الحاجات به قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين
التكلف فالعمل اولى به والكسب سعى احل له وابلغ لان القعود لا يصلح
لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى رضه ما دامت
الاسباب قائمة فى النفس فالاكتساب اولى وقال بعض المنقطعين كنت

ذا صنعة جليلة فاريد منى تركها فحاك فى صدرى من اين المعاش فهتف
بى هاتف لا اراه تنقطع الى وتتهمنى فى رزقى على ان اخدمك وليا من
اوليائى او منافقا من اعدائى وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى صحة قبول العطا عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط
لمن ذكرناه من اهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد بن خالد
الجهنى رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه
من غير مسئلة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه شى من هذا الرزق
من غير مسئلة ولا اشراف فليأخذه وليتوسع به فى رزقه فان كان عنده غنى
فليدفعه الى من هو احوج منه وقال عمر بن الخطاب رضه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطينى العطا فاقول له اعطه يا رسول الله افقر اليه منى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به وما جاءك من هذا
المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم
فمن اجل ذلك كان ابن عمر رضه لا يسال احدا شيا ولا يرد شيا اعطيه
فالاستشراف الى الناس مذموم قادح فى التوحيد فلا ينبغى ان ياخذ
المريد عطاء على هذا الوجه روى ان احمد بن حنبل رضه خرج ذات يوم الى
شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن فى الموضع من يحمله فوافى
ايوب الحمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق
ان اهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير

يشف فراه ايوب وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى
ايوب من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم
قال خذهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له احمد عجبت
قال نعم قال رجل صالح لما راى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه
مع الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد الياس فقبله واما الاستشراف
الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف
اذا فاته ورزقه معلوم لابد منه فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة
استشراف الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر
منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام المحاضرة
والمناجاة مع الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا ولينهج لها من التعلق
والتوثق بها بالله تع سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رح
كنت في بدايتي واقفا بين العشاءين اصلي وانا فارغ بلا سبب حتى
جاتني النفس فقالت لي السلام عليكم فقلت لها وعليك السلام قالت
لي العشا فادهشني بداهية فتوقفت ثم الهمني الله تع ان قلت لها اتدري
موضعا قالت لا قلت لها اتدري اي شيء هو او متى هو قالت لا قلت
لها انا رب او عبد قالت عبد قلت لها فالعبد يقدر على شيء ما هذا الكفر
والشرك الذي اتيتيني به اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه
خالقك والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيب لك ما طلبت منه فتطعمي
وتاكلي فالك واياي وما هذه الحيرة قال فهربت الى خالقها في عشاء متمكن

كثير فاكلنا قال وكذلك يحتج عليها ومن هنا مثبت الاقدام وذكر ايضا
مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما
تحتاج اليه بنيته من الرفق وجعلها من قواعد الفقر والارادة واثبتنا
ان نذكرها في هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من
يقف عليها من كل مريد متدين قال رضا اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان
يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة الجالس فان حكمته موضع النية وهو
مكانه وزمانه طرف سجادته لا يتعداه ولا يكون التفاته لوقت ولا الى
سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يحدها ولا يدري ما هي
ولا اوقتها ويعلم ان جميع الاشيا تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله
وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والامل فيما ذا بل يكون
به فالاقدار تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال واما
الماشي من الفقرا الذي يكون في سفر او غيره فلا يتجاوز همته خطوته مثاله
ان يكون ماشيا فيخطر له الغير والالتفات اليه من بلد او شخص او مطعم
او مشرب فيهلك ويظفر به العدو وتزل قدمه فان تمادى بالتعلق
بشي من هذه القواطع والشواغل ومشى الى شي منها وفقده ومات مات
قاتل نفسه وذلك ان يكون في يوم صائف وهج وقد اصابه العطش
الشديد فيعرض خيال ماء فيجي العدو فيروح عليه ان اسرع فتلحق ذلك الما
فتشرب منه فيروي عطشك فان مشى راكنا لهذا الخاطر فيجي للموضع
فيجده سرابا فهناك يظفر به ويقول له الان تموت فيقتله من ساعة

فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه واياته ولم يعرف دواءه من
دائه ولا يعلم العلم ولا سال العلما لبقائه مع نفسه قال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر
بالتروح من العدو في سفره من السرعة الى الماء والركون الى الاغيار
من منازل او اشخاص او غير ذلك ان يعترض على العدو ويقول لا يمكن
ان الله تعالى يتوفاني قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه في ذلك ويسلمه ويقول
له ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال
من تانى اصاب او كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجلة من الشيطان ومن
هذا كثير فلا يشك شاك انه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من
العلم انهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به
ثم يقول له ايضا اتنكر ان الله تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني ان شاء وينبع
لي عينا الساعة قبل وصولي لذلك الما فيقول له الشيطان بالضرورة نعم
فاذا كان هذا كذلك فالله اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا
حصل هذا العلم رجع يمشي متانيا همته مع خطوته وناظرا لما يرد عليه
من ربه فان وصل الى ما خطر له اولا اوراه من بعد ولم يجده ماء
او لم يجد ما تعلق به خاطره اولا من صاحب او طعام بقي على اصله
لا تغير عنده ولا تردد فظفر بالعدو وقتله كما فعل ايضا الشيطان
بغيره الشي وضده انتهى ما اردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو
عندي من نفيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني
البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد والاداب

المرضية من العبيد فهو جدير بان يجيب ويرسم ويكمل به الغرض الذي تقدم
والله تعالى اعلم واحكم الشرط الثاني ان لا ياخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط
لازم للمتجرد ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضه وينبغي لمن لا معلوم له
من الاسباب ان يتورع في اخذها ويتخير المعطين لها كما يتخير اهل المكاسب
في الاكتساب لان لله تعالى في كل شي حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط
احكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط احكام الطالب ولان ترك العمل
عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقرا الصادقين ان ياخذوا من كل احد
ولا في كل وقت ولا ياخذوا كلما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكونوا
ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المولف على قسمين
موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فهو
ان لا ياخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جا في الحديث لا تاكل الا طعام
تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا ياخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل
بالحل والحرم من وجوه المكاسب ولا ياخذ من يد صبي ولا عبد غير
ماذون لهما ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فان لا ياخذ الا ما
كان على وجه الرفق والمعونة ولا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال
ولا غنى له عنه من ضروراته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار
ولا باس ان ياخذ ما يزيد على ذلك ان كان في خلقه سخي وبذل وايثار
وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه او
رياسة او قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء

والاختيار اما الابتلا فان ياتيه قبل وقته او زايدا على حاجته فان اخذه
فليخرجه في السر لما من بذلك من افة الاظهار واما الاختيار فلا ياخذ شيئا
قد نوى تركه لله تع من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته واسرته ومنعته
القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تع وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف
انحلال عزمه وفساد نيته وان لم يخف ذلك فلياخذه وليخرجه الى غيره
وهذا اشد شئ على النفس وهو من اعظم درجات الزهد ولا ياخذ من منان
ولا لحوز ولا مظهر لعطيته ولا ياخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته
فقد قيل لا تاكل الا من طعام من يرى لك الفضل عليه في اكله ولا تاكل الا
طعام زاهد لانه يبر باكلك ولا تاكل الا طعاما يراك صاحبه افضل من
الطعام وقد روي انه اهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن
واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس
ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اقبل الا من قرشي او انصاري او
ثقفي او دوسي قال ابو طالب المكي رض وفعل هذا جماعة من التابعين
جا الى فتح الموصلي رض صرة فيها خمسون درهما فقال حدثني عطا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله رزقا من غير مسئلة فرده فانما يرد
على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن
يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان
رجلا اهدى اليه كيسا فيه الوف ورزمة فيها من دبيق خراسان
فرد ذلك فقال له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا

وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تع يوم القيمة وماله عند الله من
خلاق وكان الحسن رض يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي رح يسال
اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيره المايتين فلا ياخذ وكان
بعض العباد اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا الشئ قال ضعه عندك واعرض
على قلبك حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك او
قال له انت عندي بعد الاخذ مثل ما كنت قبل ذلك قبل منه وان اخبره
بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم
فعوتب في ذلك فقال ما ارد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ويروى
عن الاعمش انه قال جا شاب من العرب الى ابرهيم النخعي بالفي
درهم فقال له يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ما هي من ديني
سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابرهيم بارك الله لك
وجزاك خيرا فلما ولي قلت له يا ابا عمران ما منعك ان تاخذها والله
ما لامرائك محيص فقال صدقت يا سليمن ولكن هذا شاب من
العرب لم يحنكه السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان يجلس في
حيه فيقول اعطيت ابرهيم الفي درهم فيحبط الله اجره وتذهب دراهمه
وممن ذهب الى هذا سفين الثوري رض كان يشترط على بعض من
كان ياخذ منه ان لا تذكره لاشفاقه عليه لا من اجله بل من ذهاب
اجره قيل في معنى قوله تع لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال

المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد رضه للرجل الخراساني
الذى جاءه بالمال وساله ان ياكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقرا فقال الرجل
انا اعلم بالفقرا منك ولم اختر هذا فقال له الجنيد وانا اؤمل ان اعيش حتى اكل
هذا المال فقال انى لم اقل لك انفقه فى الخل والبقل انما قلت لك انفقه في
الطيبات والوان الحلاوات كلما نفذ اسرع كان احب الي فقال الجنيد
ومثلك لايحل ان يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد احد اعظم منة علي
منك فقال الجنيد وما ببغداد احد ينبغي ان يقبل منه شئ الا من كان مثلك
وكان السري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل رضه الشي فيرده فقال له السري
يا احمد احذر افات الرد فانها اشد من افات الاخذ فقال له احمد أعد
علي ماقلت فاعاده فقال له احمد ما رددته عليك الا وعندى قوت شهر
فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وعلى الجملة فلا ينبغي ان
ياخذ المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك يسلم من الافات ويكفى من
جميع المؤنات قال ابو بكر الدقاق رضه منذ اربعين سنة اصحب هولاء
فما رايت رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او ممن يحبهم ومن لم يصحبه
التقوى والورع فى هذا الامر اكل الحرام النص وان اراد ان يسال امثال
هولا فليفعل قال ابو طالب المكي رح كان بشر بن الحارث رح لا يقبل من
الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين ياكل فقال له
من يخبر امره انا ادرى من اين ياكل كان له صديق عاقل نظيره في
العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء ولا يقبل من

الاتباع وهذا الصديق العاقل الذى كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر
امره ولا يلتقي معه هو السري بن مغلس السقطي رضه قال بشر ما سالت
احدا قط شيئا من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندى زهده في
الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون قد
اعنته على ما يحب وكان سري يوجه الى احمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه
وكان اذا ذكر عند احمد بن حنبل رضه يقول ذاك الغني المعروف بطيب الغذا
انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ واشرف على الضعف
وتحققت الضرورة وسال مولاه فلم يقدر له بشئ ووقته يضيق عن
الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسال من دون
هولاء ممن جهل حاله جاء فى الاثار من جاع فلم يسال فمات دخل النار
وقد سال من الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام
لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضه يسال
من باب او بابين بين العشائين ويكون ذلك معلومه الى بعد حاجته
من يوم او يومين وكان له مقام فى الزهد والتوكل قال ابو طالب رضه
ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضه انه
كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شي لله ونقل عن ابرهيم بن ادهم رح
انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة
وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري رضه يسال فى البوادي
من الحجاز الى صنعاء اليمن وقال كنت اذكر لهم حديثا فى الضيافة

قال فيخرجون الى طعامهم فاتناول حاجتي واترك ما بقي وليجتنب المريد
الاكل بالدين وقبول ارفاق النسوان فان قيل كيف يرد ما يعطاه
من الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها وهو انما ياخذ من يد ربه كما
تقدم وهل المراد لذلك الا الرد على الله تع فكيف يستقيم ذلك فالجواب
ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا بد منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد
قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف
ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد للعطا عند مشاهدة التوحيد
ظاهر اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي ويد الاخذ فكما يشهد الاخذ
يد الله تع في العطا عند يد المعطي فياخذ ما يعطاه عند موافقة العلم
اتباعا لاذن الله تع وامره يشهد يد الله تع في المنع عند يد نفسه بالرد
عند مخالفة العلم فلا ياخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تع عن ذلك
وعدم اذنه فيه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي
اهدي اليه مع السمن والاقط وكما فعل فتح الموصلي والحسن البصري رض
مع روايتهما للحديث الذي ذكر فيه ان رد الهبة رد على الله تعالى
وقد تقدم ذكره بلفظه فبهذا يندفع ذلك الخيال والله تع هو الموفق
لصالح الاعمال وانما اطلنا الكلام في هذه المسئلة لان الحاجة ماسة
اليها وليعلم من ذلك ان جميع تفاريعها ومسائلها داخلة في كلام
المولف على كمال ايجازه واختصاره وكلامه فيها من بديع الكلام
ومستحسنه وللشيخ ابي العباس المرسي رض في معنى ما ذكره كلام بديع

مختصر منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رض
للناس اسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو
ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقد جود المولف رض صياغته واحسن سياقته في معرض الارشاد
والهداية **ربما استحيى العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته**
فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته تقدم ان من الادب ترك الطلب
والسوال من الله تع اكتفاء بمشيئته ورضى بسابق قسمته وان العارفين
المحققين يستحيون من الله تع في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم
عز وجل عند سوالهم للمخلوقين وهل ادبهم في ذلك واستحياوهم
من ربهم الا واجب عليهم فلا يسالون منهم شيا ولا يرفعون اليهم حاجة
لانهم فقرا محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله لا تتعدين نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال قال
سهل بن عبد الله رض ما من قلب ولا نفس الا والله تع مطلع عليه في
ساعات الليل والنهار فايما قلب او نفس راى فيه حاجة الى سواه
سلط عليه ابليس وقال الاستاذ ابو علي الدقاق رض من علامات
المعرفة ان لا تسال حوائجك قلت او كثرت الا من الله سبحانه مثل
موسى عليه السلام اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج
مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وذكر الشيخ
القرشي رض ان بعض الفقرا كان ياتي كل يوم ويقف بحذا الكعبة

بعد ما يطوف ما شاء الله ويخرج من جيبه رقعة فينظر فيها فلما كان بعد
ايام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر في الرقعة
واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال فكان الرجل اصابته الفاقة
فصبر ولم يظهر حاله للمخلوق حتى مات قال ابو بكر الجوهري رضه كنت بعسقلان
على برج الحرس فمر بي رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته
واجلسته وجاريت معه في فنون من العلم وكان قدماه حافيتين فقلت
له لم لا تسال اصحابنا في نعل تقيك الحفا فقال يا اخي لردامي بالحبال
وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال اهون من موقف
السؤال وارتجائي من المخلوقين للنوال ثم اخرجني من باب المدينة
فانهى بي الى صخرة منقوره فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك
وعرق جبينك فان ضعف يقينك فاسال المولى يعينك قال في
التنوير واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكي طريق الاخرة عن الخلق
وعدم التعرض لهم ازين لهم من الحلي للعروس وهم احوج اليه من الماء لحيوة
النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحري بان
تدام له ولا تسلب عنه والدنس لخلع المواهب فحري ان لا تترك له فلا
تدنس ايها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا
على رب العالمين وكن ايها الاخ ابراهيميا فقد قال ابوك ابراهيم صلوات
الله عليه وسلامه لا احب الافلين وما سوى الله تعالى افل اما وجودا واما
امكانا وقد قال سبحانه ملة ابيكم ابراهيم اي اتبعوا ملته فواجب على

المومن ان يتبع ملة ابرهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم
زج به في المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام فقال الك حاجة فقال اما
اليك فلا واما الى الله فبلى قال فاساله قال حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر
كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال
على السوال من الله تعالى بل راى ربه اقرب اليه من جبريل ومن سواله
فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود
اقباله ومن ملة ابرهيم عليه السلام معاداة كل ما يشغل عن الله تعالى وصرف
الهمة بالرد الى الله لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين والغنى ان اردت
الدلالة عليه فهو في الياس من الناس ولقد قال الشيخ ابو الحسن رضه ايست
من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايأس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري
فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والاكسير الذي من حصل له حصل له
غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء اهل
الفهم عن الله قال الشيخ ابو الحسن رضه صحبني انسان وكان ثقيلا على
فبسطته يوما فانبسط فقلت يا ولدي ما حاجتك ولم تصحبني قال
يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيمياء فصحبتك لاتعلم منك ذلك فقلت
له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك لا تقبل فقال بل اقبل
فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين اعداء واحباء فنظرت الى
الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون ان يشوكوني بشوكة لم يردني الله
بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون

ان يشفعوا لي بشي لم يرد لي الله به فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله تعالى
فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع ياسك منا كما قطعته
من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الازل وقال مرة اخرى لمن
سال عن الكيميا فقال اخرج الخلق من قلبك واقطع ياسك من ربك
ان يعطيك غير ما قسم لك قال وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا
مداومته على ورده وانما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانجماعه
بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فحسن
الاعمال انما هو بالفهم عن الله تعالى والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء
بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه
وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب
التنوير وهو من الكلام النفيس والخطر وانت رحمك الله اذا تاملته
بعين بصيرتك ناصحا لربك في علانيتك وسريرتك علمت منه ان
ما تضمنه عظيم الموقع وانه مستحسن منا ايراده في هذا الموضع اذ هو منوط
بالايمان والتوحيد يحتاج اليه كل سالك ومريد فمن راعاه حق رعايته
وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بحقائق الايمان
وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه
خيف عليه من الوقوع في الشرك الخفي والجلي واستحق ان يطرد عن
باب مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه منسعات

ابواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين رض قيل لي في
نوم كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبدين فاقتك الى غيري فاضاعفها
عليك مكافاة لسوء ادبك وخروجك الى حدك في عبوديتك
انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها
علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيغن بعد السبك وسمتك
بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى فان وصلتها بي وصلتك بالغنى وان
وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت اسبابك من اسبابي
طردا لك عن بابي فمن وكلته الي ملك ومن وكلته اليه هلك انتهى ومنهم
من يانف من قبول الرفق على يد الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم
يكن سوال ولا طلب يحكى عن حماد بن سلمة رضه انه قال كان في جواري
امراة ارملة ولها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها
تقول يا رفيق ارفق قال فخطر ببالي انها اصابتها فاقة فصبرت حتى
احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت
حماد بن سلمة فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية
احبس المطر في الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها
بعض شانك قال فصاحت بنية لها خماسية اتريد يا حماد
ان تكون بيننا وبين معبودنا ثم قالت لامها لما رفعت صوتك
باظهار السر علمت ان الله يؤدبنا باظهار الرفق على يد مخلوق وذكر
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عباس بن دهقان قال كنت عند

بشر بن الحارث رضه وهو يتكلم في الرضى والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة
فقال له يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي الخلق لاقامة الجاه
فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من ايديهم ليمحي جاهك
عندهم واخرج بما يعطونك الى الفقرا وكن بعقد التوكل تاخذ قوتك من
الغيب فاشتد ذلك على اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب
الفقرا ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذلك من الروحانيين
اذا سال الله شيئا اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه وفقير لا يسال وان اعطي
قبل فذلك من اوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله تعالى
وهو ممن توضع له الموائد في حضيرة القدس وفقير اعتقد الصبر
ومدافعة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى
الله بالسؤال فكفارة سواله صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك
وقال رضه **إِذَا الْتَبَسَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ أُنْظُرْ أَثْقَلَهُمَا عَلَى النَّفْسِ فَاتَّبِعْهُ**
فَإِنَّهُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا كَانَ حَقًّا هذا ميزان صحيح باعتبار غالب
الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره فشانها ابدا انما هو طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر
جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا
وخفة عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه
وحف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة
ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب الى النفس هو اتباعها للاخف

عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي
عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه مثل هذا اذا
تحقق العمل على النفس انما يكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى
الباطل فاذا التبس عليك امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما
اوجب او افضل لتقدمه على الآخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به
وانما قلنا باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل
ولا بالشره فقد يخف عليها الحق ولا يدل ذلك على انه باطل فليكن
نظر العبد حينئذ الى ما هو اكثر فائدة واعظم مزيد فليقدمه على غيره وقد ذكر
الشيخ ابو طالب المكي حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل
قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض
الفقرا فاشترينا من جارنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من
اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال
كلوا انتم فانه قد عرض لي عارض يمنعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان
لم تاكل فقال انتم اعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف وكرهنا ان ناكل
دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه عن اصل هذا الحمل فلعل له سببا
مكروها فلم نزل به نساله عنه حتى اقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت
الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق الحكم اشتريتموه قال فرميناه
للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي معنى
تركت اكله وباي عارض فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى طعام

منذ عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمتم الي هذا شرهت
نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في الطعام علة فتركت
اكله لاجل شره النفس اليه قال الشيخ ابو طالب فانظر رحمك الله كيف
اتفقا في شره النفس عن قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان
فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص
وترك المراقبة اعني البائع للحمل وعصم الاخرون للتوفيق بحسن الادب
وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه
بصدق المشتري وحسن نية انتهى وثم ميزان اخر اصح واكثر تحقيقا من
الاول وهو ان يقدر نزول الموت به فاي عمل سره ان يكون
مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل قال في لطائف المنن والموت
ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان في دائرة الريب اما الريب
فكما تقدم يعني ان علامة صحة مرتبة الولاية واما الافعال والاحوال
فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضى الله تركه او فعله او حالة انت
فيها لا تدري هل قمت فيها بحق او قمت فيها بهوى فاورد الموت
على ما انت فيه من افعال واحوال فكل حالة وعمل يثبت مع تقدير
ورود الموت عليها ولم ينهزم فهي حق وكل حالة وعمل هزمها الموت
فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله تعالى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق
علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق
لا يهزم الحق قال وقد تجارت الكلام انا وبعض من يشتغل بالعلم في
انه ينبغي اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقرأ
العلم لله هو الذي اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى
قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه
الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الريا وممازجة
حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يتبين له
ذلك الا بان يتحقق بما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت
وهذا هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر
لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند ذلك يخلص عمله من الافات
ويتطهر من انواع الرعونات لان توقع الموت في كل نفس ولحظة
يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف ره وكل عمل استرسل فيه صاحبه
غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه
فاذن بعيد من الاخلاص من يأخذ في علم غير متعين عليه الاخذ فيه
لا يجتني ثمرته الا في ثاني حال ويكون في حالة الراهنة متمكنا من
ايقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما هو اخذ فيه من العلم بفوات
مواتها وتنجز له حصول التقرب بها لان في ذلك فوت نفسه
ووفارة حظه واية ذلك انه قد يعرض له في حال اخذه فيه عرض
دنياوي يكون احتضاء لنفسه به اكثر فيقدمه على ما كان اخذا فيه ويشتغل

به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ الاخذ ليدخل فيه
تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه
ليس بالله ولا لله مردود على صاحبه ومضروب به وجهه وبهذا يتبين
لك غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم الا من رحم الله ولهذا يشاهد
اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما اسلفوه من عمل
ويودون ان لو انسئ لهم في الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله
من الغفلة في زمان المهلة فانها مبدا كل عمل فاسد ومنشا وجود الغرة
والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات
المصالح لتقدم الفاضل منها على المفضول لا يصح الا ممن ايده الله
بنور اليقين وجبله على النصيحة له في الدين وكان له حظ وافر من
الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد وصدر ولا شك ان
هذه المرتبة عزيزة المنال ومتعذر ادراكها على الاجلا من الرجال وسبيل
من لم يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا ان يستعين بنظر من
هو اصح منه حالا واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع اموره اليه
ويعتمد اشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه
وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه
هذيان فاسد وضرب في حديد بارد وسياتي مزيد تنبيه على غرور
الاخذين في العلم في موضع اليق من هذا والله تعالى ولي التوفيق من

علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات

هذا من الصور التي يتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره
هو اكثر حال الناس فترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في
نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا
من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات
ولا متحلل ما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذلك الا لانهم
لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يجعلوا المجاهدة لهواهم
التي استرقتهم وقتلتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم فيه اعظم شغل
ولم يجد فسحة لشيء من التطوعات والنفل قال بعض العلماء من كانت
الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي الورد
رضه هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل
بالجوارح لا مواطاة للقلب عليه وانما حرموا الوصول لتضييعهم الاصول
وقال الخواص رضه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا
النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظواهر ولم
ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل
عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب المكي رضه فضل
شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوعه على حده واحكامه لحاله التي اقيم
فيها وابتداؤه بالعمل فيما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه بعلم
يدبره في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل
بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوار

السلامة كما لا يحصل الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت
عليه السلامة كان من الفضل ابعد والى الاعتزار اقرب انتهى **قيد الطاعات**
باعيان الاوقات كيلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت
كي تبقى لك حصة في الاختيار انعم عليك فيما امرك به من الطاعات الموقتة
بالاوقات بنعمتين عظيمتين احديهما تقييدها لك باعيان الاوقات
لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل بذلك لسوفت بها ولم تعملها
حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها عليك
ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تاتي بالطاعة في حال سكون وتمهل
من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه **علم قلة نهوض العباد الى معاملته**
فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك
من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله تع قلة نهوض العباد الى
معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال
طواعية منهم اذ في ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود
طاعته على حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل
الايجاب وتحذيره اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به
وفعل بهم ما يفعل بالصبي الا تراه كيف يؤدب ويضرب على استرساله
على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها وهو
كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل بها فاذا
كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى

الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في
الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا عجب الله من اقوام يساقون
الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف بالسلاسل والسوق بها
واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي الزم العباد القيام بها
من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو ابو خراش الهذلي
وليس كعهد الدار يا ام مالك   ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى
مقصوده في غاية الحسن قال بعض العلما يجوز ان يكون معنى التعجب
المنسوب الى الله تع فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع
الشان وهو ان الجنة التي اخبر الله تع بما فيها من النعيم المقيم
والعيش الدائم فيه والخلود فيه الذي من حكم من سمع من ذوي
العقول ان يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل
المكاره والمشقات لينالها وهؤلاء يمتنعون من ذلك ويرغبون
عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى
المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وتالم منه الابدان وتكرهه
النفوس وقد قرا جماعة من القرا بل عجبت ويسخرون بضم التاء
وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة
في قصة الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو حديث صحيح مشهور فالعجب المنسوب الى الله تع قد ورد في الكتاب
والسنة فهو اذن من الصفات السمعية **أَوْجَبَ عَلَيْكَ وُجُودَ خِدْمَتِهِ**
وَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ إِلَّا دُخُولَ جَنَّتِهِ هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما
تقدم والمقصود من هذا الكلام الاعلام بان الله تع غني عن خلقه لا تنفعه
طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم لما يرجع
اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المولف رض هو حال عامة الناس
الذين من شانهم التاني وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك
احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة للحظ والمبالغة في التكثير واما الخاصة
منهم فلم يحتاجوا الى شي من ذلك لان الله تع شرح صدورهم ونور بصائرهم
وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان
فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب
المحظورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى انواع الطاعات
والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم كلها قربات وذلك
لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
قال في التنوير وانما جعل سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما
هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل
فاوجب عليهم ما اوجب لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا
به قائمين الا قليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق
ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب

عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله
انا لمحنا الواجبات فرأينا الحق سبحانه جعل في كل ما اوجبه تطوعا
من جنسه في اي الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما
عساه ان يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث
انه ينظر في مفروض صلوة العبد فان نقص منها شي كمل من النوافل فافهم
رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل ليكون فيك
ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو
كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك
المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان
الفتاح للعباد باب المعاملة والمهيئ لهم اسباب المواصلة قال واعلم
ان الحق سبحانه علم ان في عباده ضعفا واقويا فاوجب الواجبات
وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما اوجب والترك
لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على
المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم السيد منه انه ان لم يخارجه
لم يهد اليه شيا فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية
وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شي
مثله في الصلوة وبالحول في الاموال النامية العين والماشية
وبوقت حصول المنفعة في الزرع والواحقة يوم حصاده
وبعشر ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف

و وقتها وجعل للنفوس فيها فسحة الحظوظ والسعي في الاسباب
واهل الله هم اهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر
كله نهجا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه
لغيره وكذلك قال الشيخ ابو الحسن رض عليك بورد واحد وهو اسقاط
الهوى وصحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه
وعلموا ان الانفاس امانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا انهم مطالبون
برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكان له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته
عليك دائمة فربوبيته غير موقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغي
ان تكون ايضا كذلك لذلك قال الشيخ ابو الحسن رض ان لكل وقت
سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى مَنْ اسْتَغْرَبَ أَنْ يُنْقِذَهُ اللهُ
مِنْ شَهْوَتِهِ وَأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ وُجُودِ غَفْلَتِهِ فَقَدِ اسْتَعْجَزَ قُدْرَةَ الإِلهِيَّةِ
وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا من استغرقته الشهوة واستولت عليه
الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه
من وجود غفلته لما يشاهده من استحكام ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز
الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا لمن الاشياء
وليعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا يياس وليقصد
باب مولاه بالذلة والافتقار عساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه
ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي
تروى عن الصالحين التي تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت

منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده
وعطفه واصلح اعمالهم وصفى احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات ورفعهم
من اسفل السافلين الى اعلى الدرجات كل ذلك في اقرب زمان واقصر
مدة واوان والحكايات في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض وعبد
الله بن المبارك وابي عقال بن علوان وغيرهم رض معروفة مشهورة
ومن اغرب ما رايت في هذا المنزع ما رواه عبد الصمد ابن معقل عن عمه
وهب بن منبه رض ان رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح من سياح بني اسرائيل
فساله عن ذلك قال فرفع له السائح عرجونا ابيض قديما حائلا ثم قال
له اذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك واراد السائح بذلك ان يؤيسه
من التوبة لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم
عليها فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو حتى اخضر ذلك العرجون باذن
الله تعالى وقدرته واغرب من هذا واعجب ما اخرجه مسلم في صحيحه من حديث
ابي سعيد الخدري رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فاتاه فقال انه قتل
تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة
ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس
فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى
ارض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم
ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق

اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت
ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه
لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا
ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوه فوجدوه ادنى
الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا
انه لما اتاه الموت ناء بصدره وقال عيسى بن دينار كان يقال ما وفق
الله عبدا للعمل الا وهو يريد ان يقبله منه وما وفق الله عبدا للتوبة عن
ذنب الا وهو يريد ان يغفره له وذكر القاضي يونس بن عبد الله المعروف
بابن الصفار في كتاب التسبيب والتيسير لصالح العمل انه اخبره ثقة من
اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب تجمعه بهم مجالس
مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما منعك من اجابتنا فقال
دخلت البارحة في الاربعين وانا استحيي من سني ثم لزم الخير والعبادة
قال وروي عن عمر بن عبد العزيز رضه انه قال وجبت حجة الله على ابن
الاربعين وذكر فيه ايضا عن معتب بن سمير قال كان رجل من بني اسرائيل
يعمل الخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك
فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا ان رجلا من العلماء راى في منامه
شيخا وجماعة من الشعراء قد احدقوا به يسالونه فقالوا له ايها الشيخ اخبرنا
باحكم بيت قالته العرب فانشد صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه
فلما علاه قال للباطل ابعد قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت

ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة او خطيئة الا ارتدعت عنها وارجو ان
لا يفارقني الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تع وفي الكتاب المذكور
حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله الموفق لا رب
غيره ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك الظلم
اضداد الانوار فما من نور الا في مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها
والشيء يعرف بضده كما قيل وبضدها تتبين الاشياء فما اورده عليك من
ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما
من به عليك من انوار التجلي والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع
ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك من لم يعرف قدر النعم
بوجدانها عرفها بوجود فقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا
اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجدوها عندهم
قال سري السقطي رضه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال
الفضيل رضه عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت
اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة
وقال اخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي هذا المعنى قيل انما
يعرف قدر الماء من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطئ الاودية
الجارية وقيل ايضا الولد العاق المصر على ابيه انما يعرف قدر الادب
يوم وفاة ابيه وقيل نعم الله تع مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعاء
بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمك بدوامها ولا تعرفها لنا بزوالها

قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم لا تعرف الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضه انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله تع وروى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال ابو حامد رض وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم في التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب العزا وتأسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم رضه حفر في داره قبرا وكان يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد العاقل الى تعرف النعم الموجودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تع اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول عنه فلا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام

المولف من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها **لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك** اذا ترادفت نعم الله تع عليك فلا ينبغي ان تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وان لا قبل لك به فتتركه فان الله تع رفع قدرك واعلا امرك وجعل القليل منك كثيرا واشهدك من حسن توليه لك ونسبة افعالك اليه ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان الامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله رضه ما من نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد افضل من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه السلام الهي ابن ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تع اليه يا داود اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة مني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رض اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على من قبلي ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله تع لم ينعم على عبده نعمة فحمد الله عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده

المؤمنين وقال تع وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا
الحمد لله واى نعمة افضل من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب هو
الداء العضال القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية
لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب
لم يبق للدواء محل فلذلك اعضل امره وتعذر برؤه لا يخرج الشهوة من
القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها
الا وارد قوى قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف مزعج او شوق مقلق
وما عدا هذين الامرين لا استقلال له بذلك كما لا يحب العمل المشترك
كذلك لا يقبل القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا
يقبل عليه العمل المشترك هو المشوب بالريا والتصنع والقلب المشترك هو
الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه والاعتماد اليه فالعمل المشترك معلل
بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معلل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك
لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص والقلب المشترك لا يحبه ولا
يقبل عليه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح اعماله بالاخلاص
واحواله بالصدق كان محبوبا لله تع مثابا مرضيا عنه والا فلا وقال رض
انوار اذن لها في الوصول وانوار اذن لها في الدخول الانوار الواردة على
القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار اذن لها في الوصول
الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار

الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه واخرته
فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لاخرته وطورا
يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر
بها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال
بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة
وللدنيا وكان مرة مع الله تع ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن
القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ اخر اذا كان
الايمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا
متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب وكان في سويدائه احبه
الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رض وامتحان ذلك ان تنظر فان
كان يؤثر الله تع على جميع اهوائه وتغلب محبته على هواه حتى تصير
محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله تع حقا كما انه مؤمن
به حقا وان رايت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك
قال بعض العلماء رض ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه محل الايمان فمن
ههنا تفاوت المحبون في المحبة كفضل الايمان على الاسلام
وفضل الباطن على الظاهر ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب
محشوا بصور الاثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من
الاغيار تملاه بالمعارف والاسرار الانوار الالهية قد ترد على قلبك
فلا تجد فيه موضعا لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية

واستحكم فيه صور الآثار الكونية فتر تحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة
فان اردت حلول الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار وامح
عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
وقد تقدم من كلام المؤلف كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته
لا تَسْتَبْطِئْ مِنْهُ النَّوَالَ ولكن اسْتَبْطِئْ مِنْ نَفْسِكَ وُجُودَ الإقْبَالِ تقدم التنبيه
على هذا المعنى عند قوله لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك
بتاخر ادبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا **حُقُوقٌ في
الأوْقَاتِ يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا وحُقُوقُ الأوْقَاتِ لا يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا إذْ مَا مِنْ
وَقْتٍ يَرِدُ إلا ولِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِ حَقٌّ جَدِيدٌ وأمْرٌ أكِيدٌ فَكَيْفَ تَقْضِي فِيهِ حَقَّ غَيْرِهِ
وأنْتَ لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللهِ فِيهِ** الحقوق الكائنة في الاوقات هي وظائف العبادات
الظاهرة من صلوة وصيام وغيرهما فمن فاته شيء منها في وقته المعين له امكنه
قضاؤه في وقت آخر اذ قد جعل له في ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته
من تلك الحقوق والحقوق المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة
التي تقتضيها احوال العبد وواردات قلبه المتلونة ووقت كل عبد ما هو
عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك موفوره عليه اذ لله تعالى على
كل عبد في كل حال يحل به ووارد يرد عليه حق جديد وامر اكيد ولا يسعه الا ان
يوفيه اذ ذاك فان فاته لم يجد مجالا لقضائه ولا امكنه ذلك فعلى العبد ان
يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة الحقوق التي لا امكنه قضاؤها ان فاتت
قال سيدي ابو العباس المرسي رض اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية

والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه
الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه
ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح
القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضا والصبر والرضى رضى
النفس عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر
ينصب نفسه غرضا لسهام القضا فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب
بين يدي الرب ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم
فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا له يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي لهم الامن في الآخرة وهم
المهتدون في الدنيا **ما فَاتَ مِنْ عُمْرِكَ لا عِوَضَ لَهُ وما حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لا قِيمَةَ لَهُ**
عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب
في الدار الآخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من اجلها
وليس له منها الا ما سعى كما قال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء
يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض
له منه قال الجنيد رض الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت
وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة
لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة
السلف الصالح رض لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم

ولم يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا
بالجد والتشمير وقد قال امير المومنين علي بن ابي طالب رض بقية عمر المومن ما
لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما امات وقد نظمه بعض الشعرا فقال شعر
بقية العمر عندي ما لها ثمن ٭ وان غدا غير محسوب من الثمن ٭ يستدرك المرء فيها ما افات
ويحيي ما امات ويمحو السوء بالحسن ٭ وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رض وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال له لولا اني ابادر لوقفت عليك فقال له وما تبادر
قال ابادر خروج روحي وقال الحسن البصري رض ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم
اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم دينارا ولا درهما الا
فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون ان تخرج ساعة من اعمارهم الا فيما يعود
نفعه عليهم وقال السري السقطي رض خرجت من بغداد اريد الرباط بعبادان الصوم
بها رجبا وشعبان فاتفق طريقي على الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت
افطاري وكان معي ملح مدقوق واقراص فقال لي ملحك مدقوق ومعك الوان
من الطعام لن تفلح ولن تدخل سنن المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه
سويق الشعير فسف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين
المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر
ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد
تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعا وعشرين
خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان اودع خزانته
في ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به ساعة

في الدنيا لم يذكر الله تع فيها فاذا راها في الاخرة خزائن فارغة لا عطاء
فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاتته حين لم يذكر فيها
ولم يدخر فيها شيا فيرى جزاءه مدحورا ثم يلقى في نفسه الرضى والسكون وجاء
في الحديث ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق
اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظروا الى رجال
من فوقهم اهل عليين يرونهم كما ترون الكوكب الدري في افق السما
وقد فضلوا عليهم في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم
فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال
والاكرام فينادون هولاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل
الله انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون
ويعرون حين تلبسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون
ويقومون حين تنامون ويخافون حين تامنون فلذلك
فضلوا عليكم فذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون وقال ابو علي الدقاق رض روي بعضهم مجتهدا فقيل له
في ذلك فقال ومن اولى مني بالاجتهاد وانا اطمع ان الحق الابرار والكبار
من السلف رض قال الله عز وجل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه
انشدوا ٭ السباق السباق قولا وفعلا ٭ حذر النفس حسرة المسبوق ٭
ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا

المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة به وان لا تبغي به بدلا كما
قيل حبك الشيء يعمي ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فان احببت غير الله فقد
استعبدك ذلك الغير لكائنا ما كان والله سبحانه وتعالى لا يحب ان تكون لغيره
عبدا ولا يرضى بذلك وقد قيل تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة
والزوجة وقال محمد بن السماك رح كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون
لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية بدا فافعل وقال الجنيد رح انك لو تكون
على الحقيقة له عبدا وشيء مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية
وعليك من حقيقة عبوديته بقية وسئل عمن لم يبق له من الدنيا الا
مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا
المعنى ما ذكر عن ابي عبد الله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري
صوفا ورايت على راس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت
في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكان
عادته اذا اراد ان اتبعه التفت الي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف
فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فاحرقهما ومثل هذا انما ينكره
عليه من لم يعرف مقصده في ذلك شيء كثير وورد عنه لا تنفعه طاعتك ولا تضره
معصيتك فانما امرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك الحق تعالى غني
عن اعمال العاملين لانه تعالى منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك
ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع
في الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم

التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة
بالسلاسل قال في لطائف المنن اعلم رحمك الله ان الله عز وجل لم يامر العباد
بشيء وجوبا او يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في تركه ما امرهم بتركه
وجوبا او ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه
يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وسنته
المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذ قالوا يجب
على الله تعالى رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم اذا نظرنا فاذا كل
ما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه
يتضمن التفرقة عنه فاذن مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات
هي اسباب الجمع ووسائله فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة
ووسائلها فلذلك نهى عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص
من عزه ادبار من ادبر عنه عز الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته
في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان ونقية
العلل وقال رض وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان
يتصل به شيء او يتصل بشيء الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه اهل هذه الطريق
هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير
السائرين واما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال
الجنيد رض متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير لمن له شبيه ونظير هيهات
هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا

احاطة الاشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص عمر بن
محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف رضه واعلم
ان الاتصال والمواصلة الذي اشار اليه الشيوخ وكل من
وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول
ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفني
فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تع ويخرج في هذه الحالة من التدبير
والاختيار فهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة
والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق الصفات
وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى الى مقام الفنا مشتملا على باطنه
انوار اليقين والمشاهدة مع مافي شهوده عن وجوده وهذا ضرب
من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة
حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة
في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى
رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة
انه في اول المنزل فاين الوصول هيهات لمنازل طريق الوصول لا
تنقطع ابد الاباد في عمر الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي
قُرْبُكَ مِنْهُ اَنْ تَكُونَ شَاهِدَ الْقُرْبِهِ وَاِلَّا فَمِنْ اَيْنَ اَنْتَ وَوُجُودُ قُرْبِهِ
القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله تع واذا سالك عبادي عني فاني
قريب وقال تع ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز وجل ونحن اقرب

اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط
فيستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتادب
باداب الحضرة واما انت فلا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من
نفسك كما يقوله المولف بعد هذا الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك
اَلْحَقَائِقُ تَرِدُ فِي حَالِ التَّجَلِّي مُجْمَلَةً وَبَعْدَ الْوَعْيِ يَكُونُ الْبَيَانُ فَاِذَا قَرَأْنَاهُ
فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ حقائق العلوم اللدنية التي يعدها الحق
تع في اسرار العارفين عند برائتهم من الدعوى وتحررهم من رق الاشيا
وتعرضهم بالنجا والافتقار لما يفتح عليهم المولى بكرمهم الحق تع بها تحقيقا
لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة عند ورودها عليهم وتجليها لهم يكون
مجملة لا يتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة حقيقتها فاذا وعوها ونظروا
فيها اذهانهم بالاعتبار والتامل يتبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما
بايديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما
يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير ان يلقى له بالا فاذا فرغ من ذكره
او رسمه يتصفحه ويتامله فيجده صحيحا ومستقيما وقد اخبرني بنحو من ذلك
من له قدم صدق في هذه الطريق عن نفسه قال الامام ابو القسم القشيري رح
واصحاب الحقائق يجري بحكم التعريف عليهم شي لا علم لهم به وبعد ذلك
يكشف لهم وجهه وربما يجري على لسانهم شي لا يدرون وجهه ثم بعد
فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد العلم والتحقيق
ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت انتهى كلام الامام ابي القسم وهو موافق

لما ذكره المؤلف والله تعالى اعلم وكانما اشار بذلك الى المسالة المتعارفة
بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل
عبد الله بن طاهر الابهري رضه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم
فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلي رضه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة
ولسان حق فلسان العلم ما تأدى الينا بالوسائط ولسان الحقيقة ما اوصله
الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال رويم رضه
اصح الحقائق ما قارن العلم قال ابو بكر الدقاق رضه كنت في تيه بني اسرائيل
فوقع في قلبي ان علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة ام
غيلان صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر واشارة
المؤلف بالاية التي ذكرها الى هذا المعنى بقوله متى وردت الواردات
الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه
مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب
مشحون بانواع الخبائث والرذائل ازالت ذلك بمره واثبتت عوضا
من ذلك احوالا علية واوصافا مرضية وانشد سيدي ابو العباس المرسي رضه
في هذا المعنى لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ارض النفوس ودكت الاجبال
لرايت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والرجال رجال
الارض ارض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة
بالاية الى هذا المعنى بقوله الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا

يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار
الغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شيء من رعونات البشرية الا دمغه
وازاله وهو ايضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة
بالاية الى هذا المعنى بقوله كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر
وموجود حاضر قد اشبع المؤلف رضه الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب
واتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هناك لا تيأس من قبول عمل لم تجد
فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا يجد
صاحبه حضورا فيه ينبغي له ان لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد
يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجود حضور او حلاوة او غير ذلك
ولو لم يكن الا قصده التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه
على هذا المعنى عند قوله لا عمل ارجى للقلوب لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته
فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار الوارد مراد
لثمرته لا لوجدان حظ نفسك فيه كما ان السحابة مرادة لوجدان الاثمار
الذي اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما
هي تاثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم
فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزكين الوارد ولا تفرح به فان في ذلك
نوعا من الاغترار والخداع بلبسة الاظهار ولكن على حذر منه لا تطلبن
بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت اسرارها فلك

في الله غني عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء انوار الواردات المنبسطة
على العبد هي تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية واسرارها المودعة
فيه مالاح له من عظمة الربوبية فاذا فادك الوارد بهذه الفوائد فلا تطلبن
بقاءه في حال كونه ولا تيأس على فقده اذا افقدته فان لك في الله غني
عنه وعن غيره وليس لك عن الله تع غني في شيء من الاشياء كما قال الشاعر
لكل شيء اذا فارقته عوض ۔ وليس لله ان فارقت من عوض ۔ قال
ابو العباس ابن عطاء الله اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الى ملاحظة
الحق سبيلا ويدخل في هذا الغني الذي ذكره ابن عطاء الله رض جميع الاغيار والانوار
والمقامات والاحوال والدنيا والاخرة والنعم الظاهرة والباطنة فلا تلاحظ
شيئا من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقي او ذهب فان ذلك قادح في
اخلاص التوحيد قال في التنوير واعلم ان الباري سبحانه انما يدخلك في الحال
لتأخذ منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله اليك
فتوجه اليها باسمه المبدئ فابداها وابقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان لك
فيها فلما ادت الامانة توجه اليها المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء
رسول بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما يفتضح المدعون
بزوال الاحوال وتعزلهم عن مراتب الانزال اهنالك يبدو العوار وتنهتك
الاستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته وبنوره او بفتحه وكم
من مدع العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا
على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله

لك ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك وقال سيدي
ابو العباس المرسي رض عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول فالذي
هو في الحال بالحال هو عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول هو عبد المحول وامارة
من هو في الحال بالحال ان يتاسف عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها
والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدها ولا يحزن عليها اذا فقدها
وفي الاشارة عن الله تع لا تركن الى شيء دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك
فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك
وان وثقت بالحال وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه
وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك
فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا
**تطلعك الى غيره دليل على عدم وجدانك له استيحاشك لفقدان ما
سواه دليل على عدم وصلتك به** وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية
مطالبه ومنتهى اماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند
ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفات
اهل التفريد الذين استهتروا في ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبيد البسري
قال سألت رجلا بالكلام ما الذي اجلسك في هذا الموضع فقال لي وما سؤالك
عن شيء ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو قال علمي
بان مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال اواه قد كنت اظن ان
نفسي ظفرت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب في مقالتي لو كنت محبا لله

صادقا ما اطلع على احد فقلت اما علمت ان المحبين خلفاء الله في ارضه
مستانسين بخلقه يبعثونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لي يا محذوع لو
شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت ان
ترى فوق ما رأيت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا انه ما خطر على قلبي ذكر الجنة
والنار قط ان كنت صادقا فامتني فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت
ان يسبق الى الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك
اذا انا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد
قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن انتم فقالوا ويحك هذا رجل
كان يمطر المطر قلبه على قلب ابرهيم الخليل عليه السلام اما رايته يخبر عن نفسه ان ذكر
الجنة والنار ما خطر له على قلب فهل كان احد هكذا الا ابرهيم الخليل فقلت من انتم
فقالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال فقلت علموني شيئا قالوا لا تحب
ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن لا تحب ان يعرف وفي مثل هذا
الحال انشدوا كانت لقلبي اهواء مفرقة ۞ فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده ۞ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ۞ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
وقد سئل ابو سليمن الداراني رضه عن اقرب ما يتقرب به الى الله تع فقال اقرب ما
يتقرب به اليه ان يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والاخرة غيره فهذه
هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم
فان كان له شعور بشيء من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها او استوحش لفقدانها

فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل في
تصحيح هذا المقام جهده وقال رضه النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو
بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود
حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم بالنظر الى وجه
الله الكريم مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من انواع الثواب في الدار
الاخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والماكل والمشارب
والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب
المتنوعة هي ما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم
والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال ونحو غير ذلك
من انواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب
بسبب وجود ذوات هذه الاشيا ومباشرتها للمنعم والمعذب
وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تع وشهوده
للمنعم او وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران بهما
يقع النعيم والعذاب على التحقيق ما تجده القلوب من الهموم والاحزان
فلاجل ما منعت من وجود العيان وجدان الاحزان والهموم الدنياوية
والاخراوية من نتائج روية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو
الذي منع العبد من وجود العيان فلو فني عن روية نفسه وذهب
عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل
يكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تع لا تحزن ان الله معنا

فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهي ما قلناه من وجود العيان
والعيان درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر
كبر العيان علي حتى انه ۔ صار اليقين من العيان توهما ۔ قال الشبلي رح
من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقيل اوحي الله تع الى داود عليه السلام
يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين وللروحانية علم
هوان لا يغتموا وانا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك فينقص
مسرات حلاوة الروحانيين وسياتي من كلام المولف اوحي الله الى داود
عليه السلام يا داود بي فافرح وبذكري فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة
واحتضائه بوجود العيان والروية يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية
على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على
دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغي ان تستحقر من قبل انها موجبة
لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي
كفارات اذا كانت في الامور الدنيوية ودرجات ان كانت في الامور
الاخروية والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما كان في
الماضي **مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرْزُقَكَ مَا يَكْفِيكَ وَيَمْنَعَكَ مَا يُطْغِيكَ**
وجدان الكفاية من الرزق عدم الزيادة عليها والنقصان منها من
نعم الله تع التامة الكاملة على العبد لماله في ذلك من حصول جميع المصالح
الدينية والدنيوية اما مصالح الدين في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ
لو وجدها ربما اوجب له ذلك طغيانا كما قال تع كلا ان الانسان ليطغى ان راه

استغنى فالاستغنا هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان
والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه الله مالا وما آل اليه امره امر مشهور وقال
سعد بن ابي وقاص رض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق
ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث ابي الدرداء رض عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما طلعت شمس الا بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق
غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى واما مصالح
الدنيا في ذلك فسياتي التنبيه عليها في قول المولف رض ليقل ما تفرح به يقل ما
تحزن عليه واما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها
فمن اجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تع ولاجل ذلك
عظمت النعمة بها على العبد قال الله تع وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الاخرة ان تتوصل
اليه بما اتاك من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى
تنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة
الوجه عن ذل المسألة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر
الله تع على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما اتاح له من هذه المنة الجسيمة
فيستعجل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بني جنسه ويحصل له
بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهرتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه

من اقتحام المهالك اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من
لا يعرف قدر ما زوي عنه من الدنيا ابتلي بأحد وجهين اما الحرص مع فقر
ينقطع به حسرات او رغبة في غنى تنسيه شكر ما انعم به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا
شرف الاولياء المختارين وعز اهل التقوى من المومنين المحسنين ولقد
صدق الشاعر في قوله غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى
فقرا يحكى عن بنان الحمال رض قال كنت مطروحا طاويا على باب بني شيبة سبعة
ايام لم اذق شيئا فنوديت في سري ان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اعمى الله عيني قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رض ذكر ان في خراب الابلة جارية
مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خرابة جالسة على حجر
وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان كلمها
من جاء بك يا عبد الواحد قلت لها حب الله بك وعجبت من معرفتها بي
ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا قلت جئت لتعظيني فقالت
واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية
ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فيظل حيرانا والها فان كان له
عند الله تع نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك
عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي
فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة بعد
الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدي ارجع الى ما كنت عليه

ارجع لك الى ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني فانصرفت
وفي قلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا
ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي ثم
المالكي رض في كتاب النصائح له عن ابي عبد ربه الشامي ثم الدمشقي انه كان
من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به
قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تع في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا
ملفوفا في حصير فسلمت عليه فقلت من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين
قلت فما حالك هذه قال حال نعمة يجب علي حمد الله عليها فقلت وكيف
وانما انت في حصير قال ومالي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل
منشأي ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره
ذكره او نشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رأيت
رحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر ههنا قال ولم
قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما
لي فيه حاجة فاردته على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت
في نفسي ومقتها اذ لم اخلف في دمشق رجلا يكاثرني في غنى وانا التمس
الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم اعواني
ما اجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا
الى دابتي فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة ان
مضيت الى متجري فسألني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي فابيت

فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرقه في سبيل الخير حتى افتقر فما وجد بعد هذه الاقدار ثمن الكفن زاد غير ابي ابرهيم وكان يقول يعني ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس هذا العود مات لسعيت اليه وبقيته شوقا الى الله تعالى ورسوله يقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه درء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن لتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح التي تزول عن قريب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه ** فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله ** فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال اني لا اقتني ما يغمني فقده والمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما اولعت بالشيء حزنه ** ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

يحكى انه حمل لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة او فقرا فقال وكيف ذلك فقال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولا تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة او اعظم منها نازل بكل من له

علاقة بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب او سرقة او حاجة نازلة فلا بد ان يؤخذ عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا نزل به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة فلذلك كان الزهد في الدنيا من قضايا العقل قال سهل بن عبد الله رحمه الله للعقل الف اسم ولكل اسم منها الف اسم واول كل اسم منها ترك الدنيا وقال الحسن كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا ومباهاة اهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون واولئك هم الغافلون واولئك هم الجاهلون وقد قيل في المعنى

ايها المرء ان دنياك بحر ** طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاة فيها مبين ** وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال ابو علي الثقفي اف من اشغال الدنيا اذا اقبلت واف من حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شيء اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره ** فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ** وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقيل لابي القسم الجنيد رحمه الله متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما توجه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو اولى فيعمل به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب القصد في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض عليه

وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو احق واولى ولا من صفة الرضى
بالنقص والتقصير لمن كانت هذه صفة بعد احكامه لما يجب عليه من عمل ترك
الشواغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل من حوت
عليه الدنيا وكذلك لا يرضى ان يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده
التشاغل به والعمل له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتابد
سرورها ويتصل بقاؤها وذلك ان الدين يدوم نفعه ويبقى على العاقل
له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه
سوء العاقبة وفيه محاسبة الله تع عليه وكذلك صفة العاقل تصفح الامور
بعقله والاخذ منها باوفره قال الله تع الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب بذلك وصفهم
الله تع وذووا الالباب هم ذووا العقول وانما وقع الثناء عليهم لما
وصفهم الله به للاخذ باحسن الامور عند استماعها واحسن الامور هو
افضلها وابقاها على اهلها نفعا في العاجل والآجل والى ذلك نبه الله
من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد رح وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق
وفيه مناسبة لما نحن بصدده من التنبيه على كلام المؤلف فرأيت ذكره
ههنا لائقا متأكدا والله الموفق للعمل به بمنه **ان اردت ان لا تعزل فلا**
تتول ولاية لا تدوم لك هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية مآلها
الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية
المفروح بها لئلا يقع في العزل المحزون له **ان رغبتك الولايات زهدتك**



النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن بدايات الامور
وظواهرها يرغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها انيقة الحسن مليحة الظاهر
فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات الامور
وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما شهدته من سماجتها وقبح باطنها
فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه رض صحب رجل
بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر
الله تع والتفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما
تريد حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق
نجاح كل بر فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع الى
ربك ان يهب لك نجاح كل بر قال وكيف اعرف ذلك قال كان
جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء المالح
يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب
يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته
ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام نائم يرى السرور في منامه فاذا
استيقظ لم يجد في يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف
يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت
فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من
اعرض عنها قال فرايت جدي في الموت فقال لي يا بني انت مني

وانا منك فقلت فباى شى يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين
بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب فقال خذها ولا اراك
خلفى الا منجزا الفعل دون قول وكان ذلك اخر العهد به وقال محمد بن على
الترمذى رض لم تزل الدنيا مذمومة فى الامم السابقة عند العقلاء منهم وطالبو
مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع فى امة الا وقد حذر متابعة
الدنيا وحبها والحب لها الا ترى مومن ال فرعون كيف قال اتبعونى
اهدكم سبيل الرشاد وقال انما هذه الحيوة الدنيا متاع اى لن يصل الى سبيل
الرشاد وفى قلبك محبة من الدنيا وطلب لها والحكايات والاثار فى
احوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصر ولا شىء ابين فى ذلك من
قول الله عز وجل فى صفتها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد الاية وقال عز وجل وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار
تزهيدا لك فيها وورود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله
عليه لان ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة فى الدنيا والتجافى عنها ولكن
وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يتصوره فى الحال والمال
لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول
على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص
ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على ما يحبه ويهواه كان ينبغى له
ان يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل امرها

الى الفنا والزوال والانقضا والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير
لا يدوم وقد قال الشاعر اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا اری الدنيا على ما كان فيها تدور فلا تديم عليه حالا
ثم هى مانعة له من سعادة الاخرة والقرب من الله عز وجل الذى هو
غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها
لانواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والاكدار فما من احد فيها
الا وهو فى كل حال ووقت غرض لاسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية
وسهم منية فاذا نزل به ذلك عاد النعمة نقمة وانقلبت الحيرة عبرة
فصارت الفرحة ترحة وهذا شان الدنيا ابدا فلا يغى مرجوها بمخوفها
ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر فى قوله ان الليالى لم تحسن الى
احد الا اساءت اليه بعد احسان وصدق ايضا من قال
ما قام خير كيا زمان بشره اولى بنا ما قل منك وما كفى زمن اذا اعطى
استرد عطاءه وان استقام بدا له متحرفا وقد كتب على بن ابى طالب
الى سلمان رض انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها
وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت
من فراقها وكن أسير ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغا
دار الدنيا كاحلام النائم وسرورها كظل الغمام واحداثها كصوائب
السهام وشهواتها كمشوب السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال

ابو العتاهية • هي الدار دار الاذى والقذى • ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها • لمت ولم تقض منها الوطر • ايا من يؤمل طول البقا
وطول الخلود عليه ضرر • اذا ما كبرت وبان الشباب • فلا خير في العيش بعد الكبر
وانشد ابو منصور الثعالبي رحه في ذم الدنيا • تنح عن الدنيا فلا تخطبنها
ولا تخطبن قتالة من تناكح • فليس يفي مرجوها بمخوفها • ومكروهها مهما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا • وعندي لها وصف لعمري صالح • سلاف قصاراها
ذعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح • وشخص جميل يونق الناس
حسنه • ولكن له اسرار سوء قبائح • فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن
من قلبه غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ
ذاك يجمع بين غبنين وخسارتين • ويأتيه الموت وهو صفر اليدين
من منافع الدارين • وذلك هو الخسران المبين • قال ابو هاشم الزاهد رحه
ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل
المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون
والى الآخرة مشتاقون وقيل اوحى الله تع الى الدنيا تضيقي وتشددي
على اوليائي وتوسعي وترفهي على اعدائي تضيقي على اوليائي حتى لا
يتفرغوا لك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا
لذكري علم انك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود
فراقها النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس
بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع سهل القياد واما من ركبت فيه

تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب المقادة
فلا بد في قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو
وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما ذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك
بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته وقدرته وحسن ظنك به
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان
قيد اليه بسلاسل الامتحان العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه
ويكشف به عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم بالله وصفاته واسمائه
والعلم بكيفية التعبد له والتادب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في
الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للاسلام وتكشف عن القلب قناعه فتزول
عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح
في البيت قال محمد بن علي الترمذي رضه العلم النافع هو الذي قد تمكن في
الصدر وتصور وذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت الامور
حسنها وسيئها ووقع لذلك ظل في الصدر فهو صورة الامور فياتي
حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك
العلائم الى الصدر وهي علامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم
اللسان انما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد
احاطت به فذهبت بظلمتها ضوءه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رحه
العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب
الى الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات

النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب
من يشآء دون علم اللسان والمنقول والمعقول وقال مالك بن انس رض
ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله تع في القلوب وانما
منفعة العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن روية نفسه وذلك غاية
سعادته ومنتهى طلبه وارادته وقال الجنيد رض العلم ان تعرف ربك ولا
تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رض مقصود علوم
الصوفية وهو معرفة الله تع وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم
التي ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع بها بكثير
ولا قليل وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رض من لم يتغلغل في هذه العلوم
يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه
العلوم قد لا يحتاج اليها وربما اضر بصاحبه مداومته عليها وقد استعاذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المولف رح
عبارة اخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال **خير علم ما كانت
الخشية معه** خير العلوم ما يلزم من وجوده الخشية لله تع لان الله عز وجل
اثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء وكل
علم لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع
بن انس رح في قوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله
فليس بعالم الا ترى ان داود عليه السلام قال ذلك انك جعلت العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن بك

قال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب لله الخشية لله وشاهد
الخشية موافقة الامر اما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها
وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول
الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا العلم علمه ومن اين يكون من
ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة
التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف اوصافه
من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم
الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه
انتهى وكان سهل بن عبد الله رض يقول لا تقطعوا امرا من الدين والدنيا
الا بمشاورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله تع قيل يا ابا محمد من العلماء قال
الذين يوثرون الاخرة على الدنيا ويوثرون الله عز وجل على انفسهم
وقد قال عمر بن الخطاب رض في وصيته وشاور في امرك الذين يخشون الله تع
وقال الواسطي رض ارحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تع واشفقهم ما علمهم
الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله
برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة انما المراد
به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تع انما يخشى
الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء
انما هم اهل الخشية وكذلك قوله تع وقال الذين اوتوا العلم والراسخون
في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها

لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الانبياء وقوله ههنا طالب العلم تكفل
الله برزقه وانما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوي
القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تع وكلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم
النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله
والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع
العلم بالله والعلم بما به امر الله اذا كان العلم لله انتهى وقد تقدم المعيار
الصادق على صحة دعوى التعلم والتعليم لله عند قوله اذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رح كل علم لا يورث صاحبه الخشية
والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم والاحالة على حسن معاملة
الله ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوار واداء الامانة ومخالفة
النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اعوذ بالله من علم لا ينفع ووصف الله تع
العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبي ايها
العالم فقال له انما العالم من يخشى الله تع وقال بعض السلف من ازداد
علما فليزدد وجلا وقال رجل للجنيد رح اي العلم انفع قال ما دلك على الله
وبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام
المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله تع والاعراض
عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب اربابها وترك ما فيها

على من فيها من اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقرا
وتعظيم اولياء الله تع والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها
وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الاخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله
عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته
اضر بدنياه الا فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الفضيل بن عياض رح طبيب
الدين ودوا الدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى
نفسه فمتى يبرى غيره فاذا وفق الله بعالم من العلما الاقبال على الله وعلى
اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه ان
يعرف نعم الله تع عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا
لله واجتهادا ويعلم انه محمول على ذلك وان ذلك بتوفيق من الله تع
لا بمجاهدة منه فان مجاهدته ايضا ومعرفته نعم من الله عليه بزيادة
توفيق فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما مقتدى به في
احكام الظاهر واحوال الباطن يهتدي بنوره كل من يصحبه ويستضي بعلمه
كل من اتبعه ويكون حجة الله على عباده وبركة في بلاده ومن قاده
علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب الرياسة واستتباع
الخلق فهو العالم الذي هو غير النافع وهو العالم المفتي ولا حسرة اعظم
من ان يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان
انتهى ثم عبر المولف رح بعبارة اخرى من معنى ما تقدم فقال العلم ان قارنته

الخشية فلك والا فعليك العلم الذى تلازمه الخشية لك لانك تنتفع به فى دنياك
واخرتك وليس ذلك الا ماذكرناه والعلم الذى لا خشية فيه عليك لانك
تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الاخرة وعلماء الدنيا من حيث
ان علماء الاخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون
بالامن والعزة وقد بين علماؤنا رح حال الفريقين واوضحوا امرهم بالنعوت
والعلامات واطالوا فى ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفساد فى
الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع اى شئ هو فمن اراد الشفاء فى ذلك
واستيفاء الكلام عليه وما فى ذلك من الاخبار والاثار فعليه بالنظر فى كتاب
العلم من كتاب احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى رح ولباب ذلك ما
ذكره المولف رض ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رض كان العلماء ربيع الناس
اذا نظر اليهم المريض لم يسره ان يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يرد ان
يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا فى زمانه الصالح
فكيف لو ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه قد
ورد فى الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى
حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته فى ذلك ان يكون غرضه
فيه طلب مرضات الله تع واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن
ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هى النية الصحيحة التى تحمد عاقبتها اجلا وتجتنى
ثمرتها فى طاعة الله عاجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل لا ازداد فيه
علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رح

يوم صح

كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك فى تخشعه ولباسه وبصره
ولسانه وصلوته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من
ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له فيضعها فى
الاخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك
لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق وقال سفين الثورى رح انما يتعلم العلم ليتقى
به الله تع وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا المقصد
وفسدت نية طالبه بان يبتغى به التوصل الى منال دنياوى من مال
او جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله تع من كان
يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وماله فى الاخرة من نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما يبتغى
وجه الله ولا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
يعنى ريحها وكان الحسن رح يقول والله ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه
منه ما اراده به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل له وما موت القلب
قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فان انضاف الى هذا الغرض ان يقصد به الى
تولى الاعمال السلطانية كائنا ما كانت او يتوصل به الى اكتساب
مال من الحرام او شبهه فقد تعرض لغضب الله تع وسخطه وباء باثمه واثام
المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من العلم واحمد عاقبة قال ابو عمر
بن عبد البر رح شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف
الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه قال روينا

عن فضيل بن عياض واسد بن الفرات قالا بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن
حملة القران يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان قال الفضيل بن عياض
لان من علم ليس كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار
هذا الوصف المذموم لان حب الدنيا حين استولى عليهم واستهواهم
بالحرص على التقدم والترأس قد ملكهم فاصمهم واعماهم ولذلك امارات وعلامات
لا تخطى ولا تخفى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج
في اخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان
من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك
وتعالى ابي يغترون ام علي يجترؤن فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع
الحليم منهم حيرانا رواه عنه ابو هريرة رضه وروى ابو الدرداء رضه عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال انزل الله في بعض الكتب او اوحى الى بعض الانبياء قل
للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة
يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من
العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن لاتيحن
لهم فتنة تدع الحليم حيرانا وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه
قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تحت ظل السماء
حينئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه
فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يودي صاحبه الى الخوف والخشية

وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان وتوافق
الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها
وايثار الاخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على
التفطن في الاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب
بين يدي الله تع فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب الصادة
له عن ذلك فيتوسعها رفضا وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية
والمناحي السنية فبهذا الكل يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنياوية
والاخراوية فان خلا طالب العلم عنها او عن بعضها فان كان ما
يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا كان وبالا واصلا
اليه والعياذ بالله من ذلك قال في لطائف المنن وربما غر القائل من
طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس في
قول هذا القائل ما يستروح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما
اخبر هذا القائل عن امر من به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم
ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعا
اعيى علاجه وضاق عليه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه
ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب
العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة
للعتب عن الملقين انفسهم الى التهلكة ليس المغرر محمودا وان سلما
وقال في موضع اخر ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر

فقد قال صلى الله عليه وسلم ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم
العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة
من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من
قطع الاوقات في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة
يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلوة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود من وجود
الطهارة وجود الصلوة ولقد سال رجل الحسن البصري رحمه الله عن مسالة
فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزبره الحسن وقال
ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه الذي فقه عن الله امره ونهيه
قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه من انفقا الحجب
عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سال الحسن البصري هو فرقد السبخي والله
اعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء كلاما اتم مما ذكره صاحب لطائف
المنن قال فرقد السبخي سالت الحسن رحمه الله عن مسالة فاجابني عنها
فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فقال لي ثكلتك امك فرقد وهل
رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة
البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن
اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة
المقيم على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز من هو فوقه ولا
يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ على علم علمه الله حطاما قلت وعلى

العلماء ان يتفقدوا احوال من يتعلم منه فلا يبذل العلم الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح
اذ بذلك يستقيم له الثبات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هذا
ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفيان الثوري رحمه الله لو انك انشرت ما معك
من العلم رجوت ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر على ذلك فقال
سفيان والله لو علمت بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت
انا الذي اتيه في منزله فاحدثه بما عندي مما ارجو ان ينفعه الله به وقد
سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار
فقال له اترك اللجام فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله
عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن
يفسده ويستضر به اولى كما قيل ومن منح الجهال علما اضاعه
وقد حكي عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في اخلاقه
فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه التعلم اشد المنع وقالوا انه يستعين
بالعلم على مقتضى الخلق الردي فيصير العلم الة شر في حقه وقد قالت
الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في اصول الحنظل
كلما ازداد ريا ازداد مرارة هذا كله مجرب صحيح فينبغي اذن للعالم ان
لا يهمله بل يراعيه وامثاله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجوه المصالح
على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم
الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم او غير ذلك فان المفاسد التي تقع بسبب

ذلك لهم فى خاصة انفسهم والمفاسد التى تتعدى منهم الى غيرهم اكثر
ودرء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح اما المفاسد التى تختص
بهم فهى تقويه صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم
لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية
الكمال والتمام فاذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم اليه وانعكفوا
بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا
حصلوا على شئ من ذلك وظهرت لهم مخائل وصولهم الى اغراضهم
المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا
واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط فى غاية الذم منهم لان
ذلك متعلق باسباب الدنيا وهو بمنزلة السم القاتل الذى يوجب موت
قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل
اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة ... كالارض ان سبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها ويظهر اثار ذلك على
ظاهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هى عنده من ابنائها
المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل
اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم والتنفق عندهم بانواع من الحيل ولا يسلمون
فى ذلك من الريا والتصنع والنفاق والدهان ويجرهم ذلك الى انواع
من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحل بهم فى ذلك من الذل
والهوان فاذا نالوا ذلك او بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من

179

جميع حظوظهم فخرجوا من الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل
النافع العلم الضار وقد قال الفضيل بن عياض رض لو ان اهل العلم اكرموا
نفوسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله
الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز
الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت
لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا من ذلك ما فى ايدى
الناس فذلوا وهانوا على الناس ولله در الشاعر حيث يقول
يقولون لى فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
اأغرسه عزا واجنيه ذلة ... اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما
وقال وهب بن منبه لعطاء الخراسانى كان العلماء قبلنا قد استغنوا
بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل
الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم
يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم واصبح اهل الدنيا قد
زهدوا فى علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصرى
رض كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم

لكن و

يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلبا لها كان الرجل ينفق ماله على علمه
ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في
باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فساد في الظاهر والباطن
فانظر رحمك الله الى ما ذكره هولاء الفضلاء وتجده لازما لطلبة هذا
الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم
بها في سوءاداتهم يتعذر سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من
علاقات الخلق فقد قيل التعلق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه
فكلما كان بعد المسافة من الحق اتم كان اليأس من الرجعة اوجب
واعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيئ اعمالهم واعتقادهم
انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب فيها وانهم
هم الذين حازوا المراتب الشريفة والمناقب المنيفة التي تختص
بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم
التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم يسلكوا طريق ذلك
ولم يهتدوا الى ما هنالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم
فيه واما الفساد الذي يتعدى الى غيرهم فاظهر من كل ظاهر وناهيك ممن
ملكته نفسه اشد ملك واستعبدته اتم استعباد هل يبقى عليه شيء
من الشر او نوع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن
دقيق ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع
الاغترار للجهلة والاغمار بمشاهدة حالهم فانهم يشاهدونهم قد

حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه ويتوهموا انهم نالوا شرف الاخرة
بما افادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم
ان كانوا ممن فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك ويؤديهم
ذلك الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الداء الدفين وهو
مسارقة طباعهم الدنية واخلاقهم الردية فان نفوس العامة قابلة
لذلك ومهيأة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه اخلاق ابائه وجبلاتهم
ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد
في الدنيا والترغيب في الاخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع
والذلة والتخلق باخلاق الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب
المناهي والاثام ثم يؤول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم
المكر السيئ والعياذ بالله ويكون وبال جميع ذلك راجعا الى المعلم لتيسير
اسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول
وهل افسد الدين الا الملوك ؛ واحبار سوء ورهبانها ؛ وباعوا النفوس فلم يربحوا
ولم تغل في البيع اثمانها ؛ لقد رتع القوم في جيفة ؛ يبين لذي العقل انتانها
وروي عن حذيفة بن اليمان رضه انه اخذ حصاة بيضا فوضعها في كفه
ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة هذه ثم اخذ كفا من تراب
فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن
اقوام يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل

الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشأ
وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها
وانكساف انوار الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم حظهم
بشيء منه فصاروا لذلك ماسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم واذا انهم
فسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات وترتب عليها
اثار صالحة وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق
ويؤذن ذلك بوجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت
النيات فاسدة كانت الاعمال ايضا فاسدة وترتب عليها اثار فاسدة
وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد
من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للصحة
والاعتلال وليت شعري هولاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم
والاثر واتعبوا نفوسهم بالدراسة والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع
والسهر وسمحت نفوسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مالوفاتها
هل بعثهم على ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث
الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه في خراب البواطن
وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخليصهم
من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك
البتة وان ادعوا انهم على احوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى
معرفته والقيام به فهم مخدوعون ومن اين لهم ذلك والعلم لا يحصل

ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور
منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم
الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب تام من اسباب الدنيا ثم صرفوا
ما فضل من اوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم
عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشغال دنياه
الى قطع ذلك الوقت بلهو او لعب او ارتكاب معصية وذلك البطالة
التي يكون فيها استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذا الحال قد يصح
باعث الدين من امثال هولاء واما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها
باعث الا الدنيا المجردة المجوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو
حريص على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها فانه يميل فيما يوصله
الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج
البحار ويجوز البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يومله كل مشقة
تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار
على البلغ والعلق فكذلك هولاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصور وانبعث
خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم
ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك
المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال
فيها عند من له ادنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم
من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاءه عليهم كيف وهم يعتقدون صحة

ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عندما يتجلى عن قلوبهم بعض ظلماتها
وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير متذكر من الخلق او وعظ واعظ في
قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر اوقاتهم الى مألوفاتهم ومعتاداتهم
وانما المانع لهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشية والقدرة واستئثاره بالخذلان
والنصرة فاذا اراد الله تعالى ان يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال
الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وفي مثل هذا
الموطن تبطل احكام الاسباب وتحقق ارباب الحقائق العظمة والجلال
والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه ارباب الابصار وليسلموا
احكام الواحد القهار لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم
عن سوآء الطريق مصائب قوم عند قوم فوائد وليقل العبد المومن اذا نظر
اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم
به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من راى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه وعلى كثير
ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح
لنفسه السالم في عقله وحدسه العامل على تصحيح اعماله وهمه المشفق على دينه
الذي هو منوط نجحه ودمه ان يتامل هذه المفاسد ويقيس بها ما توهمه
من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه
في اكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع

خطار في نظره ولا سبيل له الى هذا ولا سعة خلاف ذلك اذا كان منصفا
قال بعضهم رايت سفين الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال وهو يرم
ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا
عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقول حدثنا
سفين الثوري وعليه ايضا ان يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه
من التعليم لان كل ما تستحليه النفس ويوافق غرضها مصحوب بالافات
والعلل التي تقدح في الاخلاص واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول
وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام
علي بن ابي طالب رضه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم للعمل عند قوله
ما قل عمل برز من قلب زاهد وقد تقدم الكلام ايضا على اتهام النفس في
دعاويها الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك امران ولتتعلم الحزم
في ذلك من بشر بن الحارث رضه كان يقول انا اشتهي ان احدث ولو
ذهب شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه
سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار من هذا
الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون فلما سمعه منه
قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل على العبادة
وروي ايضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من الحديث
بهذه المثابة عند امامي المحدثين في زمانهما مع ما فيه من الفوائد الاخراوية
فما ظنك بغيره من محدثات الامور ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر

بن عبد البر رض باسناده الى عبد الله بن مسلمة القعنبي رح قال دخلت على مالك رض
فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا عبد الله
ما الذي ابكاك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني جلدت
بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا
الرأي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان
اخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على اصول صحيحة غير ملفقة فالظن بما
انتشر بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضاء المعصية وتمالي
الناس على الضلال وتقليد الروساء الجهال دينا قويما وصراطا مستقيما
وعلى كل واحد من المعلم والمتعلم ان يشتغل بما هو اهم عليه مما هو مامور
به ومسئول عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك شغل
شاغل عما يفرق همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال وهب بن منبه
ذكر طلب العلم عند مالك بن انس فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية
ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى
حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وكان الثوري يقول لاهل العلم الظاهر
طلب هذا ليس من زاد الاخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من
عدة الموت ولكنه علة يتشاغل بها الرجال وكان يقول لولا ان للشيطان
فيه نصيبا ما ازدحمتم عليه يعني العلم فهذه نبذة قصدنا الى ثبتها في هذا
الموضع اللائق بها من هذا التنبيه ليتنبه بها من سبق له من الله زوال
العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من العالمين والمتعلمين والمتبين

بها كلام المؤلف رض غاية التبيين وبالله الذي لا اله الا هو استعين
متى آلمك عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى
علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه
اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون مطمح
نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا باعراضه عنه
ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون
عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى في قوله رض غيب نظر الخلق اليك
بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى آلمك
عدم اقبالهم عليه او توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان
كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان له في ذلك اعظم سلوان عما يفوته
من جهة المخلوقين بل لا يجد في قلبه موقعا لما عسى ان يكون منهم من
اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك اعظم
من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له في اذى الناس البتة عند
من عرف سر ذلك على ما ذكره المؤلف الان قال ابرهيم التيمي رض لبعض
اصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون انك مرائي فقال الان
طاب العمل فقال بشر رض اكتفى والله بعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم
الله علم غيره وقال بشر الحافي سكون القلب الى قبول المدح لها اشد
عليها من المعاصي انما اجرى الاذى عليك منهم كيلا تكون ساكنا اليهم
اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء وجود اذية الناس

للعبد نعمة عظيمة عليه لاسيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام والمبرة والاحترام
لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم
فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي ابو الحسن رضه اذاني انسان
مرة فضقت جزعا بذلك فنمت فرايت يقال لي من علامة الصديقية
كثرة اعدائها ثم لا تبالي بهم وقال بعض العارفين الصيحة من العدو
سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب
في ظل العز والجاه وهو حجاب عظيم عن الله وقال سيدي ابو محمد عبد
السلام شيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي رضه في دعائه اللهم ان قوما
سالوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك
اللهم واني اسالك اعوجاج الخلق الي حتى لا يكون ملجاي الا اليك وقال
ابو الحسن الوراق النيسابوري رضه الانس بالخلق وحشة والطمانينة
اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع
واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان
سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قالوا الزاهد يخرج
المال عن الكيس تقربا الى الله تعالى واهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف
من القلب تحققا بالله عز وجل قال في لطائف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى
حكمهم في بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا
وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد وتميلوا اليهم باستناد ومن اذاك
فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك لوجود

امتنانه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من
رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن رضه
اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك
في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير
من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله تعالى خير من حبيب
يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا
تراهم اذا اقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبدا
طريقهم سنة الله في احبائه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن رضه اللهم
ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى
وجدوا وكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف
رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار
معرفتك قال ومما يدلك على ان هذه سنة الله في احبائه واصفيائه
قوله تعالى وزلزلوا حتى الاية وقوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل
الاية وقوله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
الايتين وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون الاية الى غير ذلك من الايات
الدالة على المعنى انتهى وكذلك من استحلى حالا او سكن مقاما فمن سنة الله تعالى
مع اوليائه تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تنالها العزة
ولئلا تتقيد بسواه قال الامام ابو القسم القشيري رضه ومن المقاطع المشكلة السكون

الى الاستحلاء مايلاقيك به من فنون تقريبك وكانه في خلال ما يناجيك
يناغيك فانه بكل لطيفة يصعقك ويطربك وتحتها خدع خافية
ومن ادركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله لا باثباته في لطيف
احواله وما يخصه به من افضاله واقباله واداء الطاعة على وجه الاستحلاء
معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي الشيخ
ابي الحسن الشاذلي رض لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام في اول ما لقيه
وساله عن حاله فقال له اشكو الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو
انت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن اما شكواي من
حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك من برد الرضى
والتسليم فلم افهمه فقال اخاف ان تشغلني حلاوتهما عن الله عز وجل وقال
سيدي ابو العباس المرسي رض اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون
اليه والوقوف عنده وشدة الفرح وكذلك قال السري السقطي رض لو
ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تع من الاشجار عليها من
جميع ما خلق الله تع من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته فقال السلام
عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم
لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض ولا تظله سما ولا يكون له
قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل احواله الى الحق وقال الفقير من لا دنيا
له ولا اخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالي وان سلم الى رضوان
قال لا اهتدي اليه وليس من رجالي وان قلت ممن هو وما الذي يدري

به قال ليس ممن يدعي بشيء وقال محمد بن حسان رح بينا انا ادور
في جبل لبنان اذ خرج شاب قد احرقه السموم والرياح فلما نظر الي
ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال احذره فانه غيور ولا
يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رح الى بعض اخوانه
من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه
واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه
كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من
قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع فتزداد رغبته منهم مع
فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حيوته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا
ونحن نعوذ بالله من السكون لغير الله **اذا علمت ان الشيطان لا يغفل
عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده** الشيطان عدو مسلط على
الانسان ومقتضى ذلك ان لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين
والاغوا والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة
فاذا علمت انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده وهو
الله عز وجل وذلك تحقيق عبوديتك له واستعاذتك به من شر
عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتنجو من غائلته قال
الله تع ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال
عز من قائل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تع والعبودية

له والتوكل عليه واللجا والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به
كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله حبيبه وولي حفظه ونصره
ولولا ما امرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ
بالله منه ما استعاذوا منه قال سيدي ابو العباس رضه في قوله تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا ففهم قوم من هذا الخطاب انه امر بعداوة
الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان
لكم عدو واني لكم حبيب فاشتغلوا بالمحبة فكفاهم من دونه وقال ابو
حازم رحه ومن الشيطان حتى يهاب لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال
بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني يمسح به اقذار الذنب وهي نسبة
الشرور وانواع الفساد والمعاصي اليه ابدا مع الله عز وجل وهذا سر ايجاده
كما قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان واما
ان له حولا وقوة يضر بها او ينفع فلا قال ابو سليمن الداراني رحه ما خلق الله عز
وجل خلقا اهون عليه من ابليس لولا ان الله عز وجل امرني ان اتعوذ منه
ما تعوذت منه ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان قال
وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا اليه فكفانا من دونه وسئل بعضهم عن
دفع ابليس فقال لا ادفع من لا اعرفه فاما ان اهملت ذلك وغفلت
عنه ولم تعبا به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة
اليك قال اهل العلم ان لكل احد من الناس وسواسا موكلا به ومستبطنا
قلبه واضعا راسه او قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر

الله تعالى خنس اي تاخر واستتر وقال يحيى بن معاذ الشيطان قديم وانت
حديث والشيطان كبير وانت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وانت لا
تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له
ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وانت لا تقاومه الا بعون الله وقال
مالك بن دينار رضه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله
وفيه يقول القائل ولا اراه حيث ما يراني ما انساه لا ينسا في فليسدكي
ان لم يغث سباني وقال ذو النون المصري رحه ان كان هو يراك من
حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه
وعن ابي سعيد الخدري رحه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت
الارواح فيهم قال الله عز وجل بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني
جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليديم اقبالك عليه
عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها
كما قلناه انه لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه
وبجنده وبخيله وبرجله ولا طاقة لك على مقابلته بنفسك لانك في
غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك
القوي المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل
عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الحق بها اليه
وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حركة النفس عليك

بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جبل فيها من الطبع والجبلة نعمة
عظيمة ايضا وان كانت اعدا الاعداء لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك
وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها
ودفع هواها الممزوج بلحمك ودمك الا بمن هو اقوى منك وليس ذلك الا
مولاك فتعود دعاك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف بالهم عليه وكان
المولف رح قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعدا الاربعة المذكورة في قول
الشاعر اى بيت ازبع يرمونني بالنبل عن قوس لها توتير ·
ابليس والدنيا ونفسي والهوى · يارب انت على الخلاص قدير · وبين
كلام وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها وتم ذلك بيان ان تلك
العداوات وان عظمت من اعظم الوسائل الى سني المطالب لمن اريد لذلك
ووفق له واتى بجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف
قدر هذا الفضل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل من اثبت لنفسه
تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت
لنفسك تواضعا رفعة فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود
الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابت
موجودا ولا ينفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا
يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي اثبته
العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا فان لفظ التواضع
تؤذن بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة واكثر باب التفاعل صنع

لا اظهار صفة وليس كذلك وضيعة التواضع لا تقتضي حقيقة الضعة
وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انما
هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط بان ينتفي عنه وجود الرفعة
بالكلية وحينئذ يزول العبد من الكبر ولا يكون له وجود البتة ليس
المتواضع الذي اذا تواضع راى انه فوق ما صنع بل المتواضع
الذي اذا تواضع راى انه دون ما صنع هذا بيان اخر لما ذكره من
ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة
قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو
التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووجده به وظهور اثاره عليه
بل شهوده لذلك ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه كما قال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رح من وجد ذوق ذلته في ذلة فهو متعزز
وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من افعال المتواضعين
ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع
من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان اثبته لنفسه
وراى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له
بزعمه فهو متكبر حقيقة وكذلك قال الشبلي رح يوما في بعض
كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من راى لنفسه قيمة فليس له
من التواضع نصيب وقال ابو سليمن الداراني رح لا يتواضع
العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد رح ما دام العبد يظن

ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير
لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته بنفسه وربه
وقال ابو سليمن رض لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي
ما قدروا عليه وقال يونس بن عبيد رض وقد انصرف من عرفات لم
اشك في الرحمة لولا اني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل رض ادع الله لنا
فبكى وقال ليتني لم اكن سبب هلاككم ومن علامات التحقق بهذا الخلق
ان لا يغضب اذا عيب او نقص ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر
ومن علاماته ايضا ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه وقدر عند
الناس ويلتزم الصدق في حاله وان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت
مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويحكى عن ابي الحسين بن الكريني استاذ الجنيد رض
ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى
ادخله داره في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت نفسي
على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد
ثم يدعى فيعود ويرمى لها عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم
دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال ابو طالب رض وحدثت عن بعض
الصوفية انه وقف على رجل ياكل فمد يده وقال ان كان ثم شيء لله تعالى
فقال له اجلس فكل فقال اعطني في كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه
ياكل فساله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله الذل

فكرهت ان افارق حالي قال وكان هذا ربما يمد يده الى الهراس فيجعل
فيها هريسة ومن اغرب ما رايت في التواضع ما ذكره صاحب
عوارف المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت
معه في سفره الى الشام وقد بعث له بعض ابناء الدنيا طعاما على رؤوس
الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى
ينتظرون الاواني حتى تفرغ فقال للخادم احضر الاسارى حتى
يقعدون على السفرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا
واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله
والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر بايمانه وعلمه وعمله واغرب
من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب ابو
الحسن الشيخ علي بن عتيق بن مومن القرطبي رض انه راى الفقيه ابا
محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن معيد وكان من الفقهاء العلماء يوما
وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على
الطريق التي كان عليها قال فرايته قد لصق بالحائط وعمل للكلب
طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه
الكلب قال رايته قد ترك مكانه الذي كان هو فيه ونزل اسفل
وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه
فوجدته وعليه كآبة قال فقلت له يا سيدي اني رايتك

الآن صغت شيئا استعربته منك كيف رميت بنفسك في الطين
وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان علمت له طريقا
نحي تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو
والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله وانا كثير الذنوب
والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا
الآن اخاف المقت من الله تعالى ان لا يعفو عني لاني رفعت نفسي
على من هو خير مني التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن وجود عظمة
وتجلي صفة شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد
وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها
ويبطل انيتها فما تجلى الله تعالى لشيء الا خضع له فلا ينقلع من القلب
شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه
من اعمال واحوال قال الجنيد رح التواضع عند اهل التوحيد تكبر
قال ابو حامد رض ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وقال
ذو النون المصري رح من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى
فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله عز وجل ذهب
سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع
ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وفي كتاب عوارف المعارف
واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة

في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر
والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق لمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها
لا يحجبك عن الوصف الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة موافقة
لمعنى ما تقدم الان والوصف المذكور اولا وصف العبد والوصف
المذكور ثانيا وصف الرب تعالى عز وجل المؤمن يشغله الثناء على الله عن
ان يكون لنفسه شاكرا ويشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه
ذاكرا شكر النفس نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها وذلك
ثناء عليها وهو مضاد الثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها
حقا على ما تفعله من الطاعة وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى
فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء من المحاسن اليها
وفي طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على
توفية حقوقه عن جميع ذلك ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا
او يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له
المحبة تقتضي من المحب بذل كلياته وجزئياته في مرضات محبوبه
من غير طلب حظ يناله منه فهذا ما يلزم وجود المحبة كما قيل ان
المحب اذا احب حبيبه تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل بل يرى ما فعل
من ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه نهاية السعادة
والبخت كما قال ابو حفص عمر بن الفارض رح مالي سوى روحي وباذل
نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف فلئن رضيت بها فقد اسعفتني

يا خيبة المسعى اذا لم تسعف ٭ ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع
لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه وحظ
نفسا ولا سنه ولا يستثني من كل ما يبذله له سمسه وانشدوا ٭
لئن بقيت في العين مني قطرة ٭ فاني اذن في العاشقين دخيل ٭
وقال ابو عبد الله القرشي رح المحبة ان تهب كلك لمن احببت حتى
لا يبقى لك منك شيء وقال ابو يعقوب السوسي رح حقيقة المحبة
ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين
وكان قد بذل المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية
ما كان سبب حالك هذه في المحبة قال كلمة سمعتها من خلق لخلق
عملت في هذا البلابل وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول
له انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال
له المحبوب ان كنت تحبني فاي شيء تنفق علي فقال يا سيدي املكك
املكك ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق
وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا
الذي ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية واما رجاء العوض وطلب
العوض فهو حال من مقام الرجا وليس من مقام المحبة المخصوصة في شيء
وقد قال الشاعر من لم يكن بك فانيا عن حظه ٭ وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف ٭ لمنال حظ او لحسن مآب ٭ وقال آخر
وما انا بالباغي على الحب رشوة ٭ ضعيف هوى يرجى عليه ثواب ٭

وقال ابو محمد رويم من احب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه
حب الدنيا والآخرة ملأته بحبي وقال بعض المحبين كوشفت
باربعين حوراء رايتهن يتباعين في الهوى وعليهن ثياب
من ذهب وفضة وجوهر تتخشخش وتتثنى معهن فنظرت اليهن
نظرة فعوقبت اربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين
حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت
عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا
حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ
ابو نعيم رح قال قال ابي ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات
فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد فحمل على الميمنة حتى
ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناها ثم انشا يقول ٭
احسن بمولاك سعيد ظنا ٭ هذا الذي كنت له تمنى ٭ تنح يا حور الجنان عنا ٭
ما لك قاتلنا ولا قتلنا ٭ لكن الى سيدكن اشتقنا ٭ قد علم السر وما اعلنا ٭
قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو
فاذا هو قد حمل على الناس وانشا يقول ٭ قد كنت ارجو ورجائي لم يخب ٭
ان لا يضيع اليوم كدي والطلب ٭ يا من ملا تلك القصور باللعب ٭
لولاك ما طابت ولا طاب الطرب ٭ فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم
رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل وانشا يقول ٭ ٭

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ما لك قاتلنا كفي وارجعي ثم ارجعي الى الجنان واسرعي
لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي ثم حمل فقاتل ثم قتل ولاجل ما ذكرناه من اقتضاء
مقام المحبة كلية البذل من المحب لزم وقوع الائتلاف والمصابرة
حتى يحصل له توفية هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يقول الله تعالى
للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا ما اريد
الا انت قال له من دخل معي في هذا فليدخل باسقاط الحظوظ
ورفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب لك العدم وقال بعض
العلما اذا رايت تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال
بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل
ابتلاك بمحبوب سواه فاثرت عليه اياه فقال لا فقال فلا تطمع نفسك
في المحبة فانه لا يعطيها لاحد حتى يبلوه وقال بعض العلما رضه كل اهل
المقامات يرجى ان يعفى عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم
يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة
لله ومع الله وقال ابراهيم بن ادهم رضه وكان له مقامات في المحبة رفيعة
قلت ذات يوم يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن
به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم
انه اوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ما
تسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه وهل
يستريح المحب الى غير مشوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر

ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول قال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني
على بلائك واوزعني شكر نعمائك انتهى فللمحبين دقائق خطرات
ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوب في صفاء حبهم والبعد في
مواطن قربهم فهم يفزعون منها ويخرجون عنها مخافة ان يسترق شيء من
ذلك قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط من مقامهم
الرفيع الذي اهلهم له واهلوا له ولذلك قال ابو محمد سهل بن عبد الله رضه
جناية المحب على الله اشد من معصية العامة وهو ان يسكن الى غير الله
او يستانس بسواه قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اني
حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري ويحكى ان الله تعالى قال لموسى
عليه السلام نعم العبد برخ هو الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه
قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء ويروى
ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة
ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت
انس بصوت ذلك الطائر قال ففعل ذلك فاوحى الله الى نبي ذلك
الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا
تنالها بشيء من عملك ابدا ولولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين
لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك
وبينه حتى تمحوها وصلتك السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو
اثار دواعيها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى يظهر من ذلك

ويحصل لها اهلية القرب من الله تع ويصل الى سعادة لقائه ولولا معناه
هذه الاشيا لم يتحقق السير والسكون كيف والحق تع اقرب الى العبد من
نفسه فالبعد الحسي وهو المسافة التي تطوى بها رحلته والبعد المعنوي هو
القطعة التي تمحوها وصلته محالان في حقه تع لنفي المثلية في الاول وعدم
الضدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر بها المولف من السير والميادين
والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع
وهي عبارات استعملها الصوفية في امور معنوية تجوزوا بها من امور حسية
ومرجع جميع ذلك الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لاغير وهذا
الكلام الذي ذكره المولف ههنا وما تقدم له ولنا غير ما مرة من ان
النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تع وان مجاهدتها وقمعها وموتها
تنال سعادة لقاء الله تع صحيح المعنى قال بعضهم ما الحيوة الا في الموت اي ما
حيوة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس لان
النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي ابو مدين من
لم يمت لم ير الحق وقال سيدي ابو العباس رض لا يدخل على الله الا من
بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الفنا الذي يعنيه
هذه الطائفة وعن حاتم الاصم رح انه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل
في نفسه اربع خصال من الموت موت احمر وموت اسود وموت ابيض
وموت اخضر فالموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاسود احتمال
اذى الناس والموت الابيض الجوع والموت الاخضر طرح الرقاع

بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رح للنفس سر ما ظهر ذلك السر لاحد
من خلق الله تع الا على فرعون فقال انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماوية
وسبع حجب ارضية وكل ما يدفن العبد من نفسه ارضا سما قلبه سما سما
فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى العرش يعني اذا
خالفها وفارقها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون
بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في ان يعينه ويقويه على
امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل هذا في كل حال ووقت
وليجعله عدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المولف ما توقف
مطلب انت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس
بالنفس انما يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل براعاة حدود الشريعة
والطريقة في ظاهره وباطنه والتزام اداءها ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي
لا محالة حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس
فحركات العبد وسكناته هي اعماله الظاهرة ومقصوده وهمه وارادته
هي اعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغي ان ياخذ فيه بعزائم الامور
ويجتنب الرخص التي هي من شان العامة والجمهور حسب ما تقدم عنه فانه
من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان
واجبا فليبادر الى فعله ولا يتوانى عنه وليقم بجميع ادابه اللازمة له
وليتحقق بذلك ما يكون منه وباليه اذا علم في اي مرتبة هو وانما
اشترطنا هذا الشرط لان المند وبات التي تعترضه يحتاج فيها الى

تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا او قدم ما
ليس باهم كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من
غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث عائشة رضها انها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وان افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي هريرة رضه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه وليقطع
عن نفسه جميع اسبابه ويلحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا
فهذا هو محل نظر المريد فعليه ان يأخذ بالعزيمة فيه ويقف على حدود الضرورة
منه ولكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه اكثر من
اجتنابه لما فقد منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص
يميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس الآخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته
من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على
ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة ومما
يشتد ميل نفوس اكثر الناس اليه ما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة
نظر الخلق والجري على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة النفس
في مثل ذلك عسر جدا لا سيما من ابتلي بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق
في ولاية حكم او نشر علم او غير ذلك فانها اشد الشهوات علاقة بالقلب
واضرها بالمريد فيجب عليه ان يعتني بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره وباطنه

منه بما يتعاطاه من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب
عند قول المؤلف ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم
نتاجه ويتعين على المريد في رياضته ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف
جوارحه عن التطلع والجولان في مظان وجدان شهواته ومبادي عاداته
وان لا يجامعها ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد
وضر كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ان لا تمر على حال بواديها
فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك مثلا في
طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق ان يقع بصره على شيء له فيه هوى
وشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه
ويختل عليه في لحظة ما كابد امره في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه
وقد شبه العلماء رضه في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها
ليتصرف بها في حاجاته فكانت دابة جموحا صعبة المرام فجاز بها المستعير
في بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه يحتاج لا محالة
الى الصرف عنها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها
بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة وسبب
هذا انما هو حضوره بها على دار مولاها الذي الفته واعتادته ولو لم
يمر بها على دار مولاها لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان
تغافل عنها حتى ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه
ثم اراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار

كرها وربما جرحت راسه والمنة وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل
بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس فالنفس ان اعطيتها
هواها فاغرت نحو هواها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات
على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادية قد نسيت عوائدها وفترت
دواعيها وبدوامه على ذلك تحصل بها من التزكية والتحلية والاستقامة
والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شي مما ذكرناه
اختل عليه حاله واحتاج من ذي قبل الى المجاهدة الشاقة والرياضة
الصعبة وانى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر
من فترة قال الامام ابو القسم القشيري رض الفرق بين الفترة والوقفة
ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير
باستحلاء حالات الكسل وكل مريد وقف في ابتدا ارادته لا يجي منه شي
انتهى كلامه رض فبدايات الامور هي التي يجب ان يرعاها المريد والله ولي
التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من
العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع حاصله الى امر واحد وهو
اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على
الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين
يديه وهذا المعنى هو الذي صنف المولف كتابه التنوير في اسقاط التدبير
فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى
شي من الكرامات وخرق العوائد وانواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية

قاطع عليه طريق العبودية قال ابو عثمن المغربي رحمه الله من اختار الخلوة على
الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع
الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب
وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية قال الشيخ ابو
عبد الله القرشي رض من عمل ليجد او يرى لم يفتح له بشي حتى يكون قصده
تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية قال صاحب
كتاب عوارف المعارف فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان
وسول له انواع الطغيان وامتلا من الغرور والمحال وظن انه حصل على
حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها
واقبلوا على ذكر من الاذكار واحموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا
الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في
جمع الهم لها تاثير في صفا الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة
الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب
والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله باخلاص من الصلوة
والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس يستعان به على اكتساب
علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر من ذلك كثر
البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان مما يكتسب
من العلوم الرياضية وبما قد يترا اى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى

يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان
هذا العمل من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليت اي المقصود
بالخلوة يقول بعضهم الحق يريد منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد
يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادة وصدق الفراسة وتبيين ما
سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم بذلك ولا يقدح في حالهم عدم
ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن جادة الاستقامة وما يفتح من ذلك
على الصادقين يصير مزيد انتفاعهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة
والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك
على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته
والاستطالة على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام
من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود
من العبادات ذكر وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى تلحد
وتزندق ونعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لقوم خيالات يظنونها
وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رض
وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمداومة العبد على هذه الاسباب
التي ذكرناها مشاهد التوفيق ربه عز وجل وتاييده له يحصل له مزيد كثير
وعند ذلك تطهر باطنه من جميع الافات ومن خيالات الصفات وتستنير
سريرته بانوار المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو القسم القشيري رح
عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة

التبري من حولها وقوتها او شهود الشيء منها ورد دواعيها اليها
وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها والانسلاخ
من اختيارها وارادتها وامتحاء اثار بشريتها عنها فاما بقاء الرسوم
والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة
اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولا بد للمريد في هذه
الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص
من هواه فليسلم نفسه اليه وليلزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير
به عليه من غير ارتياب ولا تاويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له
شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي الثقفي رح لو ان رجلا جمع العلوم
كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ
او امام او مودب ناصح ومن لم ياخذ ادابه من امر له وناه يريه
عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتدا به في تصحيح المعاملات
قال سيدي ابو مدين رح من لم ياخذ الادب من المتادبين افسد
من يتبعه قال المولف رض في لطائف المنن انما يكون الاقتدا بولي
دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك
شهود بشريته في وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك
بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكائنها ودفائنها
ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في

طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويوقفك
باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهروب منها وعدم
الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر
اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين لي من
هذا وصفه لقد دللتني على اغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك
وجدان الدالين وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا
تجد مرشدا وتجد ذلك في ايتين من كتاب الله قال الله سبحانه امن
يجيب المضطر اذا دعاه وقال الله سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف
الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت
الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك
مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك
عليك انتهى وفي كلامه رض تنبيه على ان الشيخ من منح الله تع وهداياه
للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته
لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله لاستعمال
الاداب معه لما يشهده من علي مرتبته ورفع درجته قال سيدي
ابو مدين رض الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم
الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
قال المولف رض في لطائف المنن وليس شيخك من واجهتك عبارته

انما شيخك الذي سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى
الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك
مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي اخرجك من
سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة
قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك
حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك في
نور الحضرة وقال ها انت وربك واداب المريد مع الشيخ والشيخ مع
المريد كثيرة مذكورة في كتب ائمة الصوفية رض ومن ابلغ ذلك
واوجزه ما ذكره الامام ابو القسم القشيري رح شرط المريد ان لا يتنفس نفسا
الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا او جهرا فسيرى عينه من غير
ما يجب سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه منه اشد مما يكابدونه
بالجهر واكثر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة
الصدق فان بدر منه شيء من ذلك فعليه سرعة الاعتذار والافصاح
عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه
ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب
على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض
عليهم ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى وقال
الشيخ العارف محي الدين ابو العباس البوني رض واياك ان تحتقر
فعلا يحطك الان تلقيه الى الشيخ طاعة كان او معصية على اي نوع

برزلك ولو اختلف عليك الف مرة في الساعة اختلفت اليه الف ساعة
في الخاطر ليعلمك الدوا الذي تزعجه به ويحل عنك بهيبة قال ولقد رايت
تلميذا من اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر
القرشي المهدوي رضه وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده باقلاه فقال
يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاه فما اصنع بها فقال له اتركها حتى تقطر
عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاه نعلم بها فقال يا ولدي لو خالفني في
لحظة من خطراته لم تفلح ابدا فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوبلت
بهذه المقابلات رجعت عن جميع مالوفاتها الدنية وعاداتها الردية
وزال عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار
وتزكت اعمالها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت
لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما العنت سوى هذه لمرض
اصابها من الركون الي هذا العالم الادني والانس بالشهوات التي
تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها
وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة
والى طبعها الاصلي فالفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك
مطمئنة صالحة لان تقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ
العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي رحمه النفس المطمئنة هي التي تخلصت
من السوى ولم يبق بينها وبين السوى نسبة وكانت مباديها في

الاكتساب الايماني والرضى المكتسب فلما صفت وتطهرت من جملة
المخلوقات وزال الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت الندا من مكان
قريب فجاءت لعدم الحجاب فخرجت للمواهب والرضى الموهبي الذي
قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه ودخلت في رضى الله المطلوب الموهوب
وفي عبادته وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى وعلامة
وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان يستوى عنده الاحوال ولا يتاثر
باطنه مما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة
حضرة الكمال قال ابو عثمن الحيري رحمه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه
في اربعة اشيا في المنع والعطا والعز والذل وقال محمد بن خفيف رضه
قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه واخذ
منه الطست طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك الله
فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك
الله وحكي عن ابرهيم بن ادهم رضه انه قال ما سررت في الاسلام قط
الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات
المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رايت وقتا في معركة الترك
علجا ففعلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على حلقي هكذا والناس
يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر
فسررت بذلك ويوما اخر كنت جالسا في دار انسان فصفعني من غير
سبب ويوم اخر كنت جالسا في دار انسان فبال علي وكان في وقت

حاتم الاصم رض رجل يسيء القول فيه وفي اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع
عليه جذع من السقف في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم
فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا خلاف ما امرنا فقال ما حمدت الله شماتة
بموته بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته هذا واشباهه من احوالهم معلوم ضرورة
وابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية البقا في الدنيا شوقا الى لقا المولى
قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقا الله في كل نفس من غير
اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامة في نفسه
فقد خرج عن عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر
لك الدهر طوع والانام عبيد * فعش كل يوم من زمانك عيد * وكما قال
سيدي ابو العباس بن العريف رحمه الله في هذا المعنى * هذا الكسر طال عليك اكتتامه
ولاح صباح كنت انت ظلامه * فانت حجاب القلب عن سر غيبه * ولولاك لم يطبع عليك ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت * على هرب الكشف المصون خيامه * وجاء حديث لا يمل سماعه
شهي الينا نثره ونظامه * اذا سمعته النفس طاب نعيمها * وزال عن القلب المعنى غرامه
وفي معناه ايضا * فقولي لا مالي الا فا بعدي * فذا انجز الاحباب لي موعدي
فقد كنت قبل اليوم مستانسا * منك بخل مشفق مسعد * وان نسيم الوصل من نحوهم
هب فقل عندك ظل يدي * وحيث لاحت لي اعلامهم * فليس مفتقر الى مرشد
وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهدته ولا يغتر بما يتراءى
له من سني حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق
موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزا بالخشن والنخالة

والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهمته
وقصوره وارادته وترك الالتفات الى ما يحمد منها وما يذم فذلك كله غلو
وبدعة وقد غلط في هذا طوائف من الناس غلوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم
ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فادا هم ذلك الى اختلال عقولهم
والخلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة
وما كان عليه سلف هذه الامة **جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته
ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك
اصداف مكوناته** خلق الله الانسان في احسن تقويم واتم تسويته وتعديل
وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها
وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال له
العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط بين
عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نخبة
جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها
له باعتبار احاطتها به وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ
الشيء ويصونه فكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة
والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة امره
فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه
عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وينظر هذا المعنى الى ما قال الشاعر

أدركت كرسياً وعرشاً وجنة ٭ وناراً وأفلاكاً تدور وأملاكا
وكنت من السر المصون سريره ٭ وأدركت هذا بالحقيقة إدراكا
فقيم التأني في الحضيض تثبطاً ٭ مقيماً مع الأسرى أما حان إسراكا

وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضه يقول الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة وقد روي في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له وقال الواسطي رح في معنى قوله تع ولقد كرمنا بني آدم قال بأن سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شيء ويتفرغوا إلى عبادة ربهم وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه إنما هو باكتفائك به وقضا أوطارك منه ووقوف أملك في منال حاجاتك عليه ولا خاصة لك في هذا أيها الإنسان لأن مرتبتك أجل من ذلك وإنما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولأنها سبب إلا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك التي فيها سموك وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها إلى أسفل سافلين قال أبو عبد الله بن الجلا رضه من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى معه شريك وسئل أحمد بن خضرويه رضه أي الأعمال أفضل قال رعاية السر

عن الالتفات إلى شيء سوى الله تع الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم يفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سره إلى فضا مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفة أصحاب النار كما قال تع أحاط بهم سرادقها وليس في جهنم عذاب أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تع وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً وما ذكرناه هو حال من تبع مع نفسه وعمل على نيل حظه كائناً ما كان وفي بعض الآثار المروية عن الله تع عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل همك ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك فرق بين كونك مع الأكوان وكون الأكوان معك فإن كونك مع الأكوان يقتضي تعبدك بها وحاجتك إليها فأنت بذلك عبد لها ما هي خادمتك ومسلمتك أحوج ما تكون إليها وهذه حالة خسيسة تقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الأكوان معك تقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فأنت حينئذ حر عنها وهي محتاجة إليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات قال الشبلي رضه ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضه أنا أدخل السوق والأشيا تشتاق إلي وأنا من جميعها حر وعن المزين الكبير رضه قال كنت

مع ابرهيم الخواص في بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لاقتلها
فمنعني وقال دعها كل شيء مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شيء وقال محمد بن
المبارك الصوري رح كنت مع ابرهيم بن ادهم في طريق بيت المقدس فنزلنا
وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل
الرمان يا ابا اسحق اكرمنا بان تاكل منا شيئا فطاطا ابرهيم راسه فقال
ذلك ثلث مرات ثم قال يا ابا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيئا فقلت
يا ابا اسحق لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني
الاخرى وفي هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامضا
وانها كانت تطعم في كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم
في كل عام مرتين وكانت السباع تجيء الى سهل بن عبد الله رح فيدخلهم بيته ويضيفهم
ويطعمهم اللحم قال ابرهيم الخواص كنت في البادية مرة فسرت في
وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب ماء فنزلت فاذا انا بسبع عظيم
قد اقبل فلما قرب مني اذا هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في
حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فاخذت خشبة وشققت
الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة ومضى فاذا انا به بعد
ساعة قد اتى ومعه شبلان يتبصبصان وحملا الي رغيفين قال بعضهم
اشرفت على ابرهيم بن ادهم وهو في بستان يحفظه وقد اخذه النوم واذا
حية في فيها طاقة نرجس يروحه بها وحكي عن ابي اسحق الصعلوكي رح قال
خرجت مرة الى الحج فبينا انا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل وكانت ليلة

قمراء سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحق قد انتظرتك من الغداة
قال فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف اشرف على الموت وحوله
رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت
قال من مدينة شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة
فخرجت وقد اشرفت على الموت فسالت الله تعالى ان يقيض لي وليا من
اوليائه فارجو انك هو قال فقلت الك والدان قال نعم واخوة واخوات
فقلت هل اشتقت اليهم والى ذكرهم فقال لا الا اليوم اردت ان اشم
ريحهم فاحتوشتني السباع والبهائم وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين
قال فبينما انا في تلك الحالة يرق له قلبي اذا بحية اقبلت في فيها
طاقة نرجس فقالت دع شركعنه فان الله تعالى يغار على اوليائه
قال فغشي علي فما افقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ثم
وقع علي سبات نوم فانتبهت وانا على الجادة قال فدخلت مدينة
شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتني امراة بيدها كوز فرايت اشبه
بالشاب منها فلما راتني قالت يا ابا اسحق كيف رايت الشاب
فاني انتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى ان قلت
قال اردت ان اشمهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم السم ثم خرجت
نفسها فخرجت اتراب لها عليهن المرقعات والفوط فكفلن امرها
وتولين شانها رضي الله عنهم اجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف
الارادة والنية لا يساكن احدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على

شي من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بأمره ويجعل الكون خادما له بأمره رزقنا
الله تعالى ما رزقهم ووفقنا لما وفقهم بجوده وكرمه لا يلزم من ثبوت الخصوصية
عدم وصف البشرية إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت
في الأفق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة
يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك
إليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف
البشرية لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والأمور الذاتية اللازمة
يستحيل عدمها وانقلابها وإنما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك
الوصف على العبد فقط لأجل الوارد الغالب فإن قدر ذهاب هذا الوارد
الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يديه أسيرا ومثال
ذلك من المحسوسات إشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار
ظلمتها فتستنير بذلك وتشرق فإذا غابت الشمس رجعت إلى حالها من
الظلمة لأن النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية
المذكورة هي ما يخص الحق تعالى به أولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته
القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف نفوسهم الدنية الردية عنهم لئلا تظهر
أثر كدوراتها في صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله إذا أراد أن يوصلك إليه
ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فإذا أشرقت أنوار ذلك على
ليل وجودهم ذهبت ظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة
من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك إليك وإن

غابت عنهم تلك الأنوار المشرقة رجعوا إلى أصلهم ولزموا الوقوف على
حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك والغرض من
هذا الرد على طوائف غلطت في هذا الأمر وتغالت وزعمت أن القرب
من الله تعالى والوصول إليه إنما يكون بعدم اتصاف البشرية وزوالها بالكلية
واتصافه بصفة الربوبية بدلا منها وقررت بهذا ما عبر به المشايخ
من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق ونعوذ بالله من
ذلك والمعنى الصحيح في ذلك إنما هو ما ذكره المؤلف رضي الله عنه هنا دل بوجود
آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود
أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فأرباب
الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم إلى
التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين
لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه
عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول إليه ينقسمون إلى قسمين
سالكين ومجذوبين فشأن السالكين الاستدلال بالأشياء عليه وهم
الذين يقولون ما رأينا شيئا إلا رأينا الله بعده وشأن المجذوبين
الاستدلال به على الأشياء وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا إلا رأينا
الله قبله ولا شك أن الدليل أبدا أظهر من المدلول فأول ما ظهر
للسالكين الآثار وهي الأفعال فاستدلوا بها على الأسماء وبالأسماء على

على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود
من اسفل الى اعلى واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم
ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما ثم انزلوا الى
شهود الآثار فكان حالهم التدلي والنزول من اعلى الى اسفل مما بدا به السالكون
من شهود الآثار اليه انتهى بالمجذوبين وما ابتدى به المجذوبون من
كشف حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان مراد
السالكين شهود الاشيا لله ومراد المجذوبين شهود الاشيا بالله فالسالكون
عاملون على تحقق الفنا والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقا
والصحو ولما كان شان الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم
منه التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل **لا يعلم
قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السماء
الا في شهادة الملك** انوار القلوب والاسرار المشرقة عليهما من سماء التوحيد
والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك
يحصل تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما ان
انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك وهو
عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشيا **وجدان ثمرات
الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزا عليها آجلا** ما يجده
العاملون بطاعة الله تع في اعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين
وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشائر من الله تع عاجلة

بوجود الجزا عليها في الدار الآخرة فانها مقبولة عند الله تع وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
**كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزا
على صدق هو مهديه اليك** العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه
هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه
مضرة والاعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا او باطنا بخلاف هذا كله اذ
هي مسلوبة عنك منسوب الى ربك خلقها واختراعها عائدة ثمرة ذلك
ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر
عنها بالتصدق والاهدا تنبيها على ان ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض
والجزاء اذن على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك صدر المولف كلامه
بكيف ليعجبك من ذلك قال الواسطي رضه مطالعة الاعواض على
الطاعات من نسيان الفضل وسئل ابو العباس بن عطا رضه
عن اقرب شئ الى مقت الله قال روية النفس وافعالها واشد
من ذلك مطالعة الاعواض على افعالها واستعمل المولف لفظ
الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه
مدار الاعمال الباطنة اشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة
والهدية **قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم
ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا** اسبقية
الاذكار للانوار هو حال المريدين السالكين وذلك لان شانهم المجاهدة

والمكابدة فهم يأتون بالاذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك
زوائد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تع والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المرادين المجذوبين
لانهم مقامون في السهولة والخفة فهم لما ووجهوا بالانوار حصلت منهم
الاذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه ابي العباس
المرسي وقال رضه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله
وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه يجتبي اليه من
يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس
من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوي مهامه نفسه وبيدا
طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا
استعداد ويشهد لذلك قوله تع يختص برحمته من يشاء فالاول حال
السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدأوه المعاملة فنهايته
المواصلة ومن كان مبدأوه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا
تظنن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تع له
فسلكها مسرعا الى الله تع عاجلا وكثيرا ما تسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق
ان السالك اتم من المجذوب لان السالك اعرف طريقا بها يوصل اليه
والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب لا طريق له
وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه

ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاتته متاعبها
وطول امدها فالمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر
اليها على اكوار المطايا انتهى ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو حسن
قل ان يوجد لغيره فلذلك اوردته ههنا بكماله **ما كان ظاهر ذكر الا عن**
باطن شهود وفكر اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر فالذكر
الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين هذا المعنى بقوله
اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت باحديته
القلوب والسرائر كاشف الله تع القلوب والاسرار في غيب الغيب
بحقائق وحدانيته واحاطة قيوميته فلما شهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت
وتلاشت فتحققت بذلك لاحديته فلما اظهرها في عالم الشهادة ملتبسة
بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها
ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود لما اشهدت
فالعبد من حيث سره وقلبه يوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت
الفرق ولا بد في هذه الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع
بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رض في معنى الجمع
والتفرقة ، وتحققتك في سري فناجاك لساني ، فاجتمعنا لمعان
وافترقنا لمعان ، ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ،
فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني ، ذهب الجنيد رض الى ان فرقه

بالوجد جمع وغيبة في البشرية تفرقة اكرمك كرامات ثلاثا جعلك في اكرا
له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق
نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك اكرم الله تعالى عبده
المومن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له
بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له ذلك وباي وسيلة ما لولا
فضل الله تعالى وكرمه عليه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه
وصفيه ومختاره وذلك بما اكرمه به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات
الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه
هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل
معناه ذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد الله وفي حديث ابي بن كعب رضه قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقرا عليك القران قال قلت
يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرا علي قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي حبة البدري رضه
قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا الى اخرها قال جبريل عليه السلام ان الله يامرك
ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني ان
اقرئك هذه السورة قال ابي او ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكا ابي
وفي حديث ابي هريرة رضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في
نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت

مطلب

اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي
اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد رضه انهما شهدا به على النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه
الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله
فيمن عنده وقال يحيى بن معاذ رحمه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير
القلم حين يجري بذكرك في اللوح المحفوظ لمت طربا رب عمر اتسعت
اماده وقلت امداده ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده الامداد
الالهية التي يمد الحق تعالى بها عباده المومنين زيادة في ايمانهم وتقوية
لايقانهم لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد
به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب
قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف ذلك باختلاف
تركيب خلقهم ومجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا
فضلت هذه الامة سائر الامم على قصر اعمارها وطول اعمارهم
قال احمد بن ابي الحواري رحمه قلت لابي سليمن الداراني رحمه قد غبطت
بني اسرائل قال باي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان
البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشي
لا والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد
منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا اصدق عشرة ايام نال ما نال
ذلك في عمره من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان من

حين يجري

من الله تع ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة البركة
في العمر ان يرزق الله العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام اوقاته
وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية
ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح
الالهية ويشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي
الاشارة اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيرتفع له في شهر مثلا ما
يرتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها
خير من العمل في الف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة
ليلة القدر وكان سيدي ابو العباس المرسي رض يقول اوقاتنا
والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة
مدته وقيل هذا المعنى في تاويل ما روي في الخبر البر يزيد في العمر الخذلان
كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك
ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تصدك العوائق والشواغل عن التوجه
الى الله تع والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترمي
بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا
ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل
انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال
على وجود الفراغ من رعونات النفوس فان زالت شواغلك
وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فذلك الخذلان كل الخذلان

اعاذنا الله منه قال الامام ابو القسم القشيري رض فراغ القلب عن
الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه
باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه
وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار
الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الاغيار
فقط وهي مخلوقات الله تع ومصنوعاته واما الفكرة في ذات الله تع
فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون في اياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته
روى ابن عباس رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر قوما فقال ما لكم
فقالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق
فانكم لا تقدرون قدره قال الامام ابو القسم القشيري رض التفكر نعت
كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب
ورد على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها
لطالبها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب
فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الالاء والنعم
فيزدادون محبة للحق سبحانه وقال الجنيد رض اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سير
القلب في ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر الفكرة سراج القلب
فاذا ذهبت فلا اضاءة له القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم
بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء

مثل غزالة يدخل بها ميدان الفكرة الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة
شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود
والاستبصار تقدم الآن ان الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار
وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهي
فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا حال السالكين وهو حال
ترقيهم وهو نعت المستدلين بالاثار على المؤثر والنزول لارباب
الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف
المستدلين بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب
والسالك وقال رض مما كتب به لبعض اخوانه هذا كتاب يتضمن ذكر
حال السالك من اول ابتدآء سفره الى انتهائه وحصوله في مستقره
وذكر اداب السلوك والوصول وقد اتى رح في ذلك بعبارات
صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا
سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذلك الا لما
علق بها من انوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز اما بعد فان البدايات مجلاة النهايات
المجلاة محل التجلي والظهور فالسالك في ابتدآء سلوكه يتجلى له امر
نهايته وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته هذا بيان ما
ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان يكون مجاهداته ومكابداته
وارتداع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تع والاعتماد عليه والانقطاع

اليه فبذلك يصح له وينفذ في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف
مطلب انت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه اليه ان ينكشف له
انفراد الله تع بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو الاول
والاخر والظاهر والباطن الخ فايظهر له به عدمية ذاته ولاشيئيته
وتدكدكه واضمحلاله قال الله تع بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل
الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامة النجح في النهايات
الرجوع الى الله في البدايات والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت
اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه المشتغل به لك ايها المريد السالك
انما هو عملك على التقرب من ربك والتوسل اليه بالطاعة والعبودية
له وهو الذي احببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك ان لا
يستقل ذلك الشغل بل يكون قرير عين والمشتغل عنه انما هو متابعة
حظوظك العاجلة ومراداتك الزائلة وهو الذي تستحق الايثار عليه
اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطلب عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا
ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لعزمه وانهاض لهمته
قال الشيخ ابو القسم عبد الرحمن الصقلي سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي
يقول ما انقطعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا
رجل يسف التراب فقلت مجهود او مجنون ثم قلت له يا هذا اتسف
التراب قال فقال لي او تراب هو ثم ناولني فاشككت انه سويق

او قد انا اشك أيهما قال فقلت ولي الله وجثوت على ركبتي وقلت
ادع الله لي فقال لي عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما
تترك **وأن من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه ومن علم أن الأمر**
بيد الله انجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف
العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة
والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق العبد في طلبه
واجتهاده اذا ايقن بذلك والامور كلها بيد الله تع ومن ذلك سعيه
وكدحه فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه ويتيسر امره اذا علم ذلك
فالقسم الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة
وأنه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه ذكر
هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته
لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه او يزال عنها ولو بعد
حين وكلما هو آت قريب لم يعسر لما يكون مآل امره الى ذلك
ويكون طيب النفس بتركه وبتهدم الدعائم وسلب الكرائم من الاشعار
البديعة **فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق**
نوره وظهرت تباشيره فرح العبد بالاشياء الفانية هو موجب للزيادة
في همه وغمه اذا افتقدها قال سهل ابن عبد الله رض من فرح بغير معروف به استجلب
حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما
تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون

فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى قد اشرق نور ذلك في قلبه وظهرت
تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه
في مقام الزهد **فصدف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها موليا فلم يتخذها**
وطنا ولا جعلها سكنا فلما كان العبد على هذا الوصف صدف عن هذه الدار
الدنياوية اي مال عنها مغضيا جفنه عن اقذائها من غير مبالاة بذلك معرضا
عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا مبالغة في نبذها
واطراحها فلم يوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستيثار ولم يساكنها
بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والضيق ووطن
نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامة على تحققه بالزهد
في الامور الفانية التي هي بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة
قلبه وصفاء لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم فجعل الدنيا
معبرا يعبره اليه كما سيقوله المؤلف الآن **بل أنهض الهمة فيها إلى الله**
وسار فيها إليه مستعينا به في القدوم عليه قد ابتدأ سفره بقلبه الى
الحضرة العلية وبدأ بانهاض الهمة الى ربه والاستعانة به في القدوم
عليه وهو اساس امره كما تقدم قال الشاعر • اذا لم يعنك الله فيما تريده •
فليس لمخلوق اليه سبيل • وان هو لم يرشدك في كل مسلك • ضللت ولو ان السماك دليل •
قال ابو محمد الجريري رض من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى مأموله
الاعلى والادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن
ينجي أحدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف يوصل الى المأمول

ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول فما زالت مطية عزمه
لا يقر قرارها دائما تسيارهم الى أن اناخت بحضرة القدس وبساط الانس
محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة
فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون هذه استعارات
مليحة استعملها في سفر القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك لولا
ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس
هما موضع حط الرحال وبلوغ الاوطار والآمال من قبل ان السالك تمحى عنه
رسوم بشريته وتبطل احكام ابنيته وينكشف له اذ ذاك اوصاف معروفه
كراي العيان ويكون سره مع الله تع بلا اين فلما وصل الى هذه الحضرة
العلية ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف
وفنون من تحف السادات والاشراف وهي معاني هذه الالفاظ
السنية التي ذكرها المولف ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين
معانيها فحينئذ الفى السائرون عصى سيرهم وحمدوا عاقبة امرهم
فصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم
الى ظلها يأوون اذا اصلى غيرهم بنيران هواه وفي دار المقامة منها
يسكنون حين تزعج سواهم منعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام
الفنا والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقي فان نزلوا
الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة

والمنفعة بل دخلوا في ذلك كله بالله ولله ومن الله والى الله هذا هو سفر
التدلي والنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة
منتهاهم الى سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه
ليعقوا مواجب ذلك فعلا وتركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم التي
بها تبقيهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن
والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا في الاشيا بمراد
الله تع لا بمراد انفسهم ويجدون الاذن من الله تع لهم بما يشرق في قلوبهم
من النور الذي جعله علما لهم على ذلك وقد ذكره سيدي ابو الحسن في بعض
كلامه قال رضه ومعنى الاذن في حق الولي نور ينبسط على القلب
يخلقه الله تع فيه وعليه فيمتد ذلك النور على الشي الذي يريده فيدركه
نورا مع نور او ظلمة تحت ذلك النور فيهبك ان تاخذ ان شئت او
تترك او تختار او تدبر او تعطي او تمنع او تقوم او تجلس او تسافر او
تقيم هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القول تأكد الفعل
المباح بمراد الله تع فان قارنته نية صحيحة بفعل بر زال عنه حكم المباح
وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو
ان يلوح عليها لائح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه
المحظور او يكاد ولا يقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله تع او سنة
او اجماع او خلاف لمقلد قلدته كمالك والشافعي وغيرهما من العلماء
الراسخين فاحكم اذن على اصل صحيح وان تكن الظلمة شبهة غيم

لا يتصدع معه القلب ولا يتفرغ به الذهن فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون
مكروها ولا تحكم بعقلك ورايك فقد ضل من ههنا خلق كثير ولا تقلد
احدا وان استفتاك واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان
تادبت ههنا فعن قريب تاتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه
انتهى كلام سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المولف رضه الان وفيه
من التفصيل لم يتعرض له المولف بل ابقى الامر في ذلك مجملا كما تراه وتقريره
فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة
وهوان ليشهدوا اقيامهم بها من انفسهم او يطلبوا عليها ثوابا من ربهم وان
نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا متعة
يقصدون الى نيلها في دنياهم بل دخلوا في ذلك بالله مستعينين ولله
عابدين ومن الله اخذين والى الله متوسلين فقد تولى الله ادخالهم في
الاشيا واخراجهم منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية نفوسهم لهم فصاروا
احرارا كراما **وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ليكون**
نظري الى حولك وقوتك اذا ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك
اذا اخرجتني المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بها بين العبارتين
عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل
في حال فنائه عن رويته غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى
الخليقة لفائدة الارشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين
المقامين اعني مقام الفنا والبقا هو معنى صدقه مدخلا ومخرجا واما

طلب ما يحصل له به ذهابه عن رويته نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ
ففي المدخل يشاهد حول الله تع وقوته فتنتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي
المخرج يستسلم الى ربه وينقاد اليه فتنتفي عنه بذلك مراعاة حظه **واجعل لي**
من لدنك سلطانا نصيرا تبصرني وتبصر بي ولا تبصر علي تبصرني على شهود
نفسي وتفنيني عن دائرة حسي طلب من الله تع النصرة له ليستقيم امره وطلب
منه النصرة به ليكمل حاله فالنصرة له هي ملاك ارباب البدايات من
السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس ودفع محو دعاوى الهوى
والحس والنصرة به هو مقتضى حال ارباب النهايات من المحققين لان
بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد من القسمين
نصره على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس واخرج النصرة عليه من
السوال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة احكام
نفسه وبقاوه مع دائرة حسه وقال رضه مما كتب به لبعض اخوانه **ان كانت**
عين القلب تنظر الى ان الله تع واحد في منته فالشريعة تقتضي ان لا
بد من شكر خليقته اذا وصل الحق تع اليك نعمة على يد انسان سواء كانت
دينية او دنياوية فعليك في ذلك وظيفتان احدهما ان تشهد انفراد
الله تع بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن اجراها
على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدعاوى والبواعث حتى
لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت
اليك على يديه بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تع وعملا بما جات

به الشريعة قال الله تعالى ان اشكرلي ولوالديك وفي حديث النعمان بن بشير رضه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم
يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك
واهله له ومن اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق الشرع **وان
الناس في ذلك على اقسام ثلاثة غافل منهمك في غفلته فويت دائرة حسه
وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب
العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي** هذا بيان احوال
الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسائط والعبيد فبدا بذكر عامة
الناس وهم الغافلون المنهمكون في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الذين
فويت دائرة حسهم فقيدتهم ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم
يجلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فتعبدوا لهم فطمعوا فيهم ولم يشهدوه
من رب العالمين فكفروا النعمة واستوجبوا السخط ونقمة ثم هم في ذلك على قسمين
احدهما ان يعتقدوا ذلك اعتقادا فيعلو بهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك
الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله
والثاني ان يحصل ذلك منهم استنادا اي اعتمادا على غير الله وسكونا الى
سواه مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق
الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه
وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود

**مسبب الاسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك
للطريقة قد استولى عليه مداها غير انه غريق الانوار مطموس
الاثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه
وغيبته على حضوره** هذا هو حال الخاصة من ارباب الحقائق وهم الذين
غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات
اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا
ولا جعلا فهم مواجهون لحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها اي نورها وضياؤها
سالكون طريقة الحق وقد استولوا على مداها اي وصلوا الى غايتها
ونهايتها الا انهم غرقى في بحار التوحيد مطموس عليهم اثار الوسائط والعبيد
اي مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم
احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت
وجود الحق افرادا على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو
استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم
وهو ذهاب احوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني
هذه الالفاظ كما تراها متقاربة وهي الفاظ تداولها الصوفية
المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا
بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به ولهم الفاظ كثيرة
غيرها وكان المولف رضه اراد ان لا يخلو كتابه عن ذكر شي منها
واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه

يحجبه عن فرقه ولا فرقه تحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصرفه عن بقائه ولا بقاؤه
يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه هذا هو حال
خاصة الخاصة الذين حازوا رتبة الاكملية وهم قوم شربوا كؤوس التوحيد
فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم قد ملكوا الاحوال وتمكنوا
في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو ولا طي ولم يحجبهم شي عن شي بل وفوا حقوق
جميع المراتب واعطوها ما لها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم
ونفوذ بصرهم وهذه هي صفة الصديق رض في القصة التي نذكرها الآن
وقد قال ابو بكر الصديق رض لعائشة رض لما نزلت برائتها من الافك على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله فدلها ابو بكر رض على المقام الاكمل
مقام البقا المقتضي لاثبات الآثار وقد قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك
وقال صلوات الله عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هي
في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد الا
الواحد القهار هذا مثال هذين القسمين وقد اشبع المولف رح الكلام فيه
والمعنى في ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد تنبيه الا قوله وكانت هي
في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها اي مقتطعة عن شاهدها وهو حكم
بشريتها مستوفاة عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل
القهر وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار
بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل كان ذلك في وقت

مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها رض هو حال الكمال
في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كنحو حال ابيها رض
وذلك معلوم من اخبارها وسيرها رض وقال رض لما سئل عن قوله صلوات
الله عليه وسلامه وجعلت قرة عيني في الصلوة اهل ذلك خاص به ام
لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على قدر
المعرفة بالمشهود والرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة كمعرفته
فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه في صلوته بشهوده جلال
مشهوده لانه اشار الى ذلك بقوله في الصلوة ولم يقل بالصلوة اذ هو
صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا
المقام ويامر به من سواه بقوله صلوات الله عليه وسلامه اعبد الله كانك
تراه ومحال ان يراه ويشهد معه سواه قال له القائل قد يكون قرة
العين بالصلوة لانها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف لا
يفرح بها وكيف لا يكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم ان الآية قد اومأت الى الجواب
لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح
يا محمد قل لهم ليفرحوا بالاحسان والتفضل ولكن انت فرحك بالمتفضل
كما قال في الآية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الصلوة هي
اجل ما يتحف الله به عباده ويهديه اليهم وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوتي عبد في الدنيا خير من ان يوذن له

فى ركعتين يصليهما ففيها يحصل لهم الخلوة معه والانفراد به والمجالسة له
والانقطاع اليه وفيها يرتفع عن قلوبهم الحجب والاستار وتتجلى فيها حقائق
الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة
كما تقدم وهى صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن على الترمذى رح
الصلوة عماد الدين واول شئ فرضه الله على المسلمين وفى الصلوة
اقبال الله تع على العبيد ليقبلوا اليه فى صور العبيد تذللا وتسليما وتبذلا
وتخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم والثناء
والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب
والتشهد تملق فاقبال العبيد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم
والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شيئا من امر الدين اعظم
من هذا ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وقال
فى حديث اخر الصلوة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه
مادام فى صلوته وان الله لينصب الى احدكم وجهه مادام مقبلا عليه
انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلوة مفزع ذوى الفاقات والضرورات
من ارباب القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب ويتسلون بها
عن كل محبوب قال الله تع وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسألك رزقا نحن نرزقك الاية فواجب اذن ان تكون قرة
اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والراحة
وكمال النعيم واللذة التى تحصل من غاية الموافقة والملائمة الا انها

تختلف باختلاف احوال الناس فى مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت
منزلته وعلت مرتبته كانت ملائمته وموافقته فى شهود التوحيد
وكمال التجريد المشار اليه فى قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك
تراه اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه كما قاله المؤلف رح وفيما يروى
عن عبد الله بن عمر رض فى قوله لعروة بن الزبير رض انا كنا نترائى الله
بين اعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة بن الزبير ابنته وهو فى الطواف
فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشئ ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام
وصاحب هذا الحال تكون قرة عينه فى الصلوة لانها لما تضمنه من
التجلى التام والشهود الحقيقى ومن كانت منزلته دون ذلك كانت
ملائمته وموافقته فى شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة
عينه بها لا فيها لانها فضل من الله وبارزة من منة الله كما قاله المؤلف رح
ولا شك ان معنى قرة العين فى الوجه الاول احق وبه انسب واليق
لان صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوجه فهو من
المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين ومن زالت سلطنته
عنه فى صلوته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلوته ملزومة
بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه
ووسوسة عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة ويتحقق فى حقه معنى قرة
العين بخلاف الوجه الاخر فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن
ان يرتقى الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع حديث النفس ولا وسواس

العدو فيحتاج لامحالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش بغيه وتتكدر لذته
فيضعف معنى قرة العين فى حقه قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز
المهدوى رضه وقرة العين لاتكون لمجاهد ولا لمن يدفع الشيطان عنه
بل هى لمن ستراح من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم عند ربه عز وجل اشرف المنازل ومرتبته فى المعرفة به ارفع المراتب
بحيث لايتصور ان يشاركه فى ذلك غيره او يحل بها سواه كانت قرة عينه
فى صلوته على حسب ذلك فمن قال ان ذاك خاص به لانفراده بالمرتبة
العليا والخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عينى فى الصلوة بعد قوله انما حبب الى من دنياكم الطيب
والنسا ولاشك ان حبه لهذين الامرين ليسا على قياس حب غيره لهما
وانما ذلك لوجود الخاصية التى اقتضت منه ذلك الاترى انه ابيح له
مالم يبح لغيره من عدد الحرائر وامن من اجل ذلك من وقوع مفسدة
التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستعماله صلى الله عليه وسلم
الطيب وحبه له انما هو للقاء الملائكة التى تناجيه والا فهو فى ذاته
غنى عن الطيب واستعماله كما قال انس بن مالك رضه مامسست حريرة
ولا خزا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط
مسكا ولا عبيرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان هذا
حاله فى هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب
وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله فى الامر الثالث مع انه عبر عنه

بقرة العين وهى غاية المحبة وهو من اعمال الاخرة وقيل معنى قوله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا اى فى الدنيا ومن قال ان لغيره منه شربا
ونصيبا على المعنى الذى يليق بهذا الغير فلقوله وجه وجواب المولف رضه
محتمل لهذين الوجهين والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما وقال رضه مما
كتب به لبعض اخوانه الناس فى ورود المنن عليهم على ثلاثة اقسام فرح بالمنن
لا من حيث مهديها ومنشيها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين
يصدق عليه قوله تع حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح بالمنن
من حيث انه شهدها منة ممن ارسلها ونعمة ممن وصلها يصدق عليه قوله
تع قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير لهم مما يجمعون وفرح
بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر
الى الله عما سواه والجمع عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تع قل
الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون تضمن هذا الفصل بيان ما يجد من احوال
الناس وما يذم عند ورود النعم عليه وحصول الفرح اذ ذاك لهم وينبنى عليه ما
يكون من ذلك شكرا او ما لا يكون وقد قسمهم المولف رضه ثلاثة اقسام
وجعلهم طرفين وواسطة فقسم فى غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا
بالنعم من حيث فيها قضاء اوطار نفوسهم ونيل اغراضهم والتمتع بشهواتهم
ولذاتهم فاحوال هولاء مذمومة جدا اشبه شئ بالبهائم وهذه احوال
اهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر حسب ما اشار اليه فى الاية الكريمة
التى ذكرها المولف رضه فى هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر

سبحر الانعام ح

منافية وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم
يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من كونها
دلائل على عناية الله تع بهم حيث من بها عليهم فاحوال هولا محمودة جدا لانهم
غابوا عن الاغيار العدمية وتحققوا بالحقائق الوحدانية كما اشار اليه
في الاية الكريمة التي ذكرها المولف رض في هذا القسم وحال هولاء هي الشكر
الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان عن حظوظ
نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا
عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من التغيير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب
ما يخاف على غيره ببقاء حظ قال ابو محمد الجريري رض من راى النعم ولم ير
المنعم فقد حجب عن الشكر ومن راى المنعم بغية النعم فقد شكر وقال الشيخ
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رض كل من لم يشاهد المنعم في النعمة كانت النعمة
في حقه استدراجا لانه يوديه ان يسكن اليها فاذا نزعت لزمه ان يتغير عليها
ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة
وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تع عليهم من حيث شهودهم لمنة
من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم وكانت احوالهم محمودة وهي شكر منهم
لائق بهم ومن حيث نظرهم لانفسهم وبقائهم مع حظوظهم كان له نصيب من
الدناءة والخسة فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا
بالوصف الاول عن احوال الادنين فخوطبوا بما خوطب به عامة المومنين
واوساطهم في الاية الكريمة التي ذكرها المولف رض في هذا القسم وقد ضرب

الامام ابو حامد الغزالي رض في كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة مثلا
فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح
المنعم عليه بفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس
وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح
من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحرا فاخذه
لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني انه يفرح به لا من حيث انه
فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه
واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه له غير الملك
لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا ولاستحقاره له
بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث يقنع
بان يكون محله في قلب الملك ومحل من يعطيه فرسا ويعني به هذا
القدر من العناية بل هو طالب بان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا
بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك
والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة
دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل
فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس
لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة

لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث انه
فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه
على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى
ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح
الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على
التوصل بالقرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه
هي المرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة
ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله
لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس
لانه جواد ومهلج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته
له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رض الشكر روية المنعم لا روية
النعمة ولذلك قال الخواص رح شكر العامة على المطعم والملبس وشكر
الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت
عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان
والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة
الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل شعر
ومن يك ذا فم مر مريض ٭ يجد مرا به الماء الزلالا ٭ فاذا اشترط

الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم يمكن له ابل فيعري وان لم يكن هذا فالدرجة
الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم بين من يريد الملك للفرس
وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لنعمه عليه
وبين من يريد نعمة الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام ابي حامد رض وهو
في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رح ولذلك
اوردته ههنا بكماله وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين
بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا بها تحققت صديقيتهم وعلم ارتفاع رتبتهم على
من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض الايام على رابعة العدوية رح
وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت
له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم اره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة
ومن اولى بهذا التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت
مسافرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه
ويرقص فتقدمت اليه فقلت له يا شيخ ما هذا الرقص فقال دعني عنك قلت في
نفسي عبد من انا وكلام من اتلو وبيت من انا قاصد فاستغرقني الوجد
فرقصت وانشدوا في هذا المعنى ٭ قوم تخالجهم زهو بسيدهم ٭ والعبد يزهو على
مقدار مولاه ٭ تاهوا برؤيته عما سواه له ٭ يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا
ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا اي بذكري اياهم في الازل
حيث لا وجود لهم والا فان الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل وهم
اجل رتبة من ان يكون تنعمهم بشيء ملتبس بهم فالله تعالى يجعل فرحنا واياك

به وبالرضى منه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا مسالك المتقين
بمنه وكرمه هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم وهو بين لا يحتاج الى تنبيه
عليه والله يحقق لنا ذلك بفضله وقال رضه الهي انا الفقير في غناي فكيف لا
اكون فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي
العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب
اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المولف رضه من كونه فقيرا في غنائه
وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما فقصد رضه بهذا الى الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم
الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه
والتعلق به والسوال والطلب منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم شعر
اني اليك مع الانفاس محتاج ، لو كان في مفرقي الاكليل والتاج ، وهذا منه
دليل على تحققه في مقام العبودية التي اقتضتها عظم الربوبية وتقديمه لهذه المعاني
بين يدي دعائه ومناجاته في غاية الحسن قال سيدي ابو الحسن رضه ما طلبت
من الله شيئا الا وقد قدمت اساءتي امامي يريد رضه حتى لا اطلب من الله شيئا
بوصف استحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله وقال ابو عثمن
رضه في قوله تع ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال التضرع في الدعاء الا تقدم اليه افعالك
وصلواتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على اثره انما التضرع ان تقدم اليه
افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علقة
ولا سبب فيرفع دعاؤك وقال الواسطي رضه التضرع بذل العبودية وخلع الاستطالة
وقال سهل رضه ما اظهر عبد فقره الى الله تع في وقت الدعاء في شيء يحل به الا قال الله

للملائكة لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة
حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس
منك في بلاء تلوين الاحكام على العباد يقتضي ان لا يسكنوا الى حالة سارة يكونون
عليها ولا ييأسوا في حالة ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرح وهذا محض
تعلق بالله عز وجل وهو نعت العارفين الهي مني ما يليق بلومي ومنك ما يليق
بكرمك لوم العبد الذي ركب عليه يقتضي مبارزة مولاه بالعظائم والكبائر
وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول
عذره وهذا الكلام من لطف وجوه السوال والرغبة وهو من اداب الدعاء
يحكى ان رجلا قال لبعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام قل له كم اخالفه واعصيه
وهو لا يعاقبني فاوحى الله تع الى ذلك النبي قل لفلان ليعلم اني انا انا وانت انت
الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما بعد
وجود ضعفي اللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما في الازل قبل
وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود اثارهما فيما لا يزال
بعد وجود ذات العبد وصفاته وهي اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه
فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك
المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي ظهور المحاسن
على العبد وهي انواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل من
الله تع والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوي منه وهي ضروب
المعاصي والسيئات والاوصاف المذمومات عدل من الله تع اذ له ان يفعل

بعبده ما يشاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة العبد لمولاه
بهذا الكلام من احسن المناجاة وهي مقتضية لوجود اسعافه ومولاه
الطافه عليه لما فيه من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته
العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيه
ايضا من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور
وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق
باستار الكعبة وقال الهي لا شريك لك فيؤتى ولا وزير فيرشى ان
اطعتك فبفضلك ولك الحمد وان عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي
فباثبات حجتك علي وانقطاع حجتي لديك الا غفرت لي فسمع هاتفا
يقول الفتى عتيق من النار **الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف**
اضام وانت الناصر لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي الوكيل والناصر
والحفي اسماء الله تعالى وهي مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية والمنعة
والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن
العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة والضيم في اللغة
معناه انتقاص الحق والحفي هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق
مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله
لطيف بعباده **ها انا اتوسل اليك بفقري اليك** التوسل التقرب
والوسيلة ما يتقرب به واعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه
عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى لنفسه حسنة يقتضي

لها ثوابا ولا يدلي بحجة يدفع بها عن نفسه عقابا قال ابو يزيد رضي الله عنه
نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوءة من الخدمة فان اردتنا
فعليك بالذلة والافتقار وسئل ابو حفص رض بماذا يقدم الفقير على
ربه قال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره **وكيف اتوسل**
اليك بما هو محال ان يصل اليك بين المتوسل به والمتوسل اليه
نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت له وجود التوسل
ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب
الذي له الغنى الاكبر وايضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له
واعتداده به واعتماده عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة
فيها والاحوال المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى
بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من هذا الوجه ايضا
والى هذا المعنى يشير ما حكي عن سيدي ابي الحسن الشاذلي حين دخل
على شيخه ابي محمد عبد السلام رض فقال له يا ابا الحسن بماذا تلقى
الله تعالى قال بفقري فقال الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه
بالصنم الاعظم ولا يصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت
غنيا بفقرك فاذن لا وسيلة الى الله سواه **ام كيف اشكو اليك**
حالي وهي لا تخفى عليك شكوى الحال لا تصح الا لمن هي غائبة عنه
وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقال الخليل عليه الصلوة والسلام
حسبي من سؤالي علمه بحالي **ام كيف اترجم لك بمقالي وهو منك برز**

اليك الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان عما في الضمير ليقع التفهم بذلك
للمترجم له والله تع هو الذي انطق اللسان واطلقه بذلك فالترجمة
من الله تع برزت واليه مآل امرها والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف
تنسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تع دليل على احاطة علمه باحوال
العبد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة ام كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت
اليك الامال الوافدة الى الله تع لا يخيبها من قبل انها فارة اليه
ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تع كريم جواد مفضل منعم فليثق
العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يسال ولم يطلب ام كيف
لا تحسن احوالي وبك قامت واليك من تحقق في المعرفة راى احواله
كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع امرها اليه وهذه كلها انواع من
التعجب عجب بها المولف رض نفسه من نفسه فيما هو بصدده من
سواله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي اوجبت له روية نقصه
وقصوره في احواله الاول الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما ارحمك
بي مع قبيح فعلي شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب الحيا والانكسار
فيتحسن منه حينئذ الاعتراف بالنعم فقط الهي ما اقربك مني وما
ابعدني عنك شهود المولف رض شدة قرب الله تع منه لما راى من
بعد الاشياء عنه ورفعها له اليه كما سياتي من قوله قد دفعتني العوالم
اليك وشهود لبعده من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له
والطلب للشي دليل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الاولى

اوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ما سواه
والمشاهدة الثانية اوجبت له التلطف في سوال التقريب والاستغنا
عن طلب القريب ومن دعا سيدي ابي العباس المرسي رض يا قريب
انت القريب وانا البعيد قربك اياسني من غيرك وبعدي
عنك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك
يا قوي يا عزيز وما ارافك بي فما الذي يحجبني عنك الرافة اشد
الرحمة ولما شاهد رافة ربه غاب بهذا الشهود عن روية نفسه
وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه الهي قد علمت
باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار ان مرادك مني ان تتعرف
الي في كل شي حتى لا اجهلك في شي كان المولف رض يقول اختلاف
الاثار علي وتنقلات الاطوار في من الصحة والمرض والغنى والفقر
والعز والذل والقبض والبسط والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات
احوالي التي هي من شونك التي تنزلها بي علمت منها ارادتك
بي ان تتعرف الي في كل شي تعرفا خاصا في حالة خاصة حتى
اشاهد وحدانيتك وعظمتك وجلالك وكمالك بحيث لا يتصور
مني جهل بما انا قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الامر هذا
والزمتني حالة واحدة ارتضيها لنفسي واختارها لكانت معرفتي
ناقصة ومشاهدتي قاصرة فانا الان اتقلب في جنة معجلة اتبوا
منها حيث اشا فقد استغرقني ما انا فيه من عظيم النوال وشغلني

ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب الكون على ما ارتضيه من الاحوال
فلك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم
في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الاخرة ولا الى شيء ولم
يستوحش من شيء قيل وما هي قال معرفة الله تع وقال مالك بن دينار رض
خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال
المعرفة ثم قال ان عرفان ذي الجلال لعز وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء وعليهم من المحبة نور فهنيئا لمن عرفك الهي
هو والله دهره مسرور وقد روي انه رؤي صورة حكيمين من
الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا
احسنت كل شيء فلا تظن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل
وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واظما حتى اذا
عرفته رويت بلا شرب قال في التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان
الحالة زائلة عنك لا محالة فان مراده ان تنقلك في الاطوار
وتحالف عليك فانه ليتعرف اليك في كل حالة خاصة بتعرف خاص
فان اردت ان يديمك على حالة واحدة فقد اردت ان يسلك بك
غير الكمال فكانه يقول لك لا تطلب مني ان اقيمك في حالة
واحدة فاني لا افعل ذلك معك اتريد ان تبقى ربوبيتي معطلة
الاثار ولكن سلني ان اشعرك لطفي حيثما اردتك او حيث ما
اقمتك حتى تكون بي ولي قال الله سبحانه وتع يسأله من في السموات

والارض كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي ويضع ويعلي ويقبض
ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات اثاره فكانه
سبحانه وتع يقول لك يا عبدي لا تأنس على شيء ما دمت لك ولا تفرح
بشيء وانا لست لك فاما العوض عما سوائي وما سوائي لا يغنيك عني
ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدني لي
فاني بكمال الغنى موصوف وبدوام الافضال معروف قال الله عز
وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة لان الذي طلبه
عزلناه عنه فما دام له وهو فما طلبنا حتى نكون له ومن عبده لما سواه
فهو عبد ما سواه ومن عبده لاجل جوده ونعمائه فهو عبد جوده ونعمائه
لان من احب شيئا فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
فكن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى وفقرا وقبضا
وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء الى غير ذلك من
مختلفات الاثار وتنقلات الاغيار انتهى كلامه رض وقد احسن فيه
الاحسان الكلي فجزاه الله خيرا **الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما
ايأستني اوصافي اطمعتني منتك** لؤم العبد ومخالفته وعصيانه يخرس
لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه ينطقه
بذلك واوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه

من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تع التي شملت البر
والفاجر تطمعه في ذلك **الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون**
مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه
دعاوي هذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب الى العبد نقصان على التحقيق
فما ظنك بنقصانه **الهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي**
مقال مقالا ولا لذي حال حالا شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام
الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال حميد لم ينقطع ببقا
ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تع وقهر مشيته **الهي كم من**
طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها
فضلك الطاعة صفة ظاهرة للعبد والحالة صفة باطنة وبناؤه للطاعة
هو اقامتها على الوجه المامور به من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما
يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها
وصيانتها عما يكدر صفاها ويكشف ضياها وكانه لما فعل هذين
الامرين راى انه تحصن بحصن حصين واوى الى ركن متين لكن لما
شاهد عدل الله تع هدم عليه ذلك لان مقتضاه ان يفعل ما يشا ولا
يبالي باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له
من التعلق والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض
فسبحان المتفضل المنان **الهي انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا**
جزما فقد دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان

لم يدم عليها فعلا احدى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد
وابعد فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم **الهي كيف اعزم وانت القاهر**
وكيف لا اعزم وانت الآمر استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل
مستند ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد
ايضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد امره
بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله **الهي ترددي في الآثار يوجب**
بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك شكا الى مولاه عز وجل
طول تردده في الآثار وهي الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار
وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند
قوله لا ترحل من كون الى كون ثم ساله فطلب منه ان يختصر له طريق
سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها
عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول **الهي كيف يستدل**
عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك
ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك هذا تقبيح لاحوال
المستدلين على ربهم وهم اصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى
اهل المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن علي
الكتاني رضه وجود العطا من الحق شهود الخلق بالحق لان الحق دليل
على كل شيء ولا يكون شي دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن وارباب

الدليل عوام عند اهل الشهود والعيان قد سوا الحق في ظهوره ان يحتاج الى
دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به
وهو المعرف له قال الشيخ ابو الحسن رض كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف ام كيف يعرف بشئ من سبق وجوده وجود كل شئ وقال
مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له اسحقك الله اتطلب مع العين اين
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين من يستدل به او يستدل عليه
الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب الحفيظ فمن راى الله تع رقيبا عليه
يعلم جميع احواله ولا يخفى عليه شئ منها استحى منه وهابه ان يراه على ما يكرهه
منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا
الوصف وغفل عن نظر الله تع اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى
بانواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم
بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بان رؤية الحق
سبحانه له تسبق نظره الى تلك المحظورات قال الله عز وجل وما تكون في
شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ
تفيضون فيه قال الامام ابو القسم القشيري رض خوفهم بما عرفهم من اطلاعه
عليهم في جميع احوالهم ورؤيته لما يسلفونه من فنون اعمالهم والعلم بانه
يراهم يوجب استحياهم منه وهو حال المراقبة فالعبد اذا علم بان
مولاه يراه استحيى منه وترك متابعة هواه فلا يحوم حول ما يهواه وفي
حديث عبادة ابن الصامت رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان **وخسرت صفقة عبد لم تجعل**
له من حبك نصيبا حب الله تع للعبد هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه
وحب العبد لله عز وجل هو موافقة امره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف
الى الكاف في قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى الفاعل والى المفعول
والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ وامدح ولان محبة الله تع للعبده
اصل محبة العبد له قال الله تع يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تع من الحب
المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك
فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته في بعض الكتب المنزلة على بعض
الانبيا عليهم السلام يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن
بعضهم انه قال اشتريت مملوكة فسمعتها في شطر الليل تقول الهي بحبك
اياي الا ما غفرت لي فقلت لا تقولي هذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت
يا سيدي بمحبته اياي من علي بالاسلام وانقطني لعبادته وكثير من عباده
نيام وقال زيد بن اسلم رض ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له
ان يقول اصنع ما شئت فقد غفرت لك **الهي امرت بالرجوع الى**
الاثار فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك
منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة
عن الاعتماد عليها انك على كل شئ قدير الاثار التي امر العبد بالرجوع
اليها بعد وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي تكرهه
اذا تلبس بها حق او يكون له فيها منفعة وحظ فسال الله تع ان يرجعه

اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه
مكسوا الكسوة الانوار وهي انوار اليقين ومويدا بهداية الاستبصار وهو
العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الاثار على هذا الاسلوب والمعيار لم يوثر
فيه ولم ياخذ منه لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه في مال امره مثل
دخوله عليه في ابتدائه سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان
مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال واحسان وقد تقدم هذا المعنى في قوله
فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ الخ وقال رض الهي هذا ذلي ظاهر
بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك هذا انطراح على مولاه ومبالغة في
بث شكواه وتلطف في سوال رحماه وبمثل هذا ترجي اجابة الدعاء
واستحقاق جزيل العطا وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع بالايدي بل بنفس
المحتاج وقال بعضهم قلت للنهرجوري اجد في قلبي قسوة وقد شاورت
فلانا فاشار علي بالصوم فلم يزل وشاورت اخر فاشار بالسفر فلم يزل
فقال له النهرجوري خلطاتك احضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل
تحيرت في امري فخذ بيدي ففعل وزالت القسوة وقال الشاعر
ومارمت الدخول عليك حتى ❊ حللت محلة العبد الذليل ❊ واغضيت الجفون على قذاها
وصنت النفس عن قال وقيل ❊ وذل العبد لمولاه غاية العز والفخر قال
ذو النون المصري رض ما اعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه
وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه منك اطلب
الوصول اليك هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق نظرهم الا الى الله

ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير وبك استدل عليك
لا بغيرك لانك الظاهر قبل وجود كل شيء ظاهر بل بظهورك ظهرت المظاهر قيل
لبعض العارفين بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت
ربي وقال ابو القسم النصرابادي رض الاشياء ادلة منه ولا دليل عليه سواه
وقال احمد بن ابي الحواري رض لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب
الخدمة فاهدني بنورك اليك وهو نور الايمان واليقين واقمني بصدق
بين يديك
العبودية حتى اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك الهي علمني من علمك المخزون
اضافة العلم الى الله تع ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم
اللدني الذي اختزنه عنده فلم يوته الا المخصوصين من الاولياء كما قال تع
في شان الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث ابي هريرة رض
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا
العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم هي
اسرار الله تع يبديها الى امنائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع
ولا دراسة وهي الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر
الواسطي رض في قوله تع والراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم
في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب
الزيادة فانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف
واية من الفهم وعجائب النفر فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة
وصني بسر اسمك المصون الصون المطلوب هو صيانته عن رؤية

الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار **الهي حققني بحقائق اهل القرب** حقائق اهل
القرب هو الفنا في التوحيد والتحقق بالتجريد فيبطل في حقهم روية الاسباب
ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن رضه في حزبه
المبارك الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محققه
عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسواله منك وحجبته بذلك
عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن مضرة الاعدا من غيبته عن منفعة الاحبا
كلا اني اسالك ان تغيبني بقربك مني حتى لا ارى ولا احس بقرب شي
ولا ببعده عني انك على كل شي قدير **واسلك بي مسالك اهل الجذب**
اهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها
ولا مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم وذلك من قبل انه
اخرجهم من اسر نفوسهم وتولاهم بكلايته ورعايته من غير مجاهدة منهم
ولا مكابدة **الهي اغنني بتدبيرك لي عن تدبيري واختيارك لي عن اختياري**
واوقفني على مراكز اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشية
والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شي من ذلك فقد
نازع الله عز وجل في ربوبيته ونزع من عنقه ربقة عبوديته فلذلك
ساله وطلب منه ان يغنيه بتدبيره واختياره وان يوقفه على مراكز
اضطراره ليكون متحقق بصفاته متعلق بصفات مولاه وقد تقدم
هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهو استعارة
حسنة **الهي اخرجني من ذل نفسي** ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها

لغير الله تع بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت اغصان
ذل الا على بذر طمع **وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي** الشك والشرك
هما سبب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه
الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد عافانا الله منها والشك
ضيق الصدر عند احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره
بسبب ذلك اظلم قلبه واصابه من اجله الهم والحزن وطهارته منه انما
تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول
عنه الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون
انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح
بالله تع وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل
الهم والحزن في السخط والشك والشرك تعلق القلب بالاسباب
عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق الصيد بالشبك فيكون مبدا
ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيخلو له
حينيذ الهوى فيفزع في ذلك الى الاسباب التي يتوصل بها
الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتبك في مواحل ذلك في حبايل الشرك
وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى
في قلبه فيطمئن بذلك نفسه ويسكن عن الشره الذي اصابها وكلما
قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر فيمحي

منه الاسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك
والشرك تولاه الله بالهداية والتسديد والمعونة والتاييد وفي اخبار
داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود هل تدري متى اتولاهم اذا
طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك بك استنصر فانصرني
وعليك اتوكل فلا تكلني واياك اسأل فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا
تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك اقف فلا تطردني تعلق
بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب واضرب عن الوسائط والاسباب
وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سال من مولاه ان يحققه به بتطهيره
من اضداده . ومعاني هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال
ابو الحسن علي ابن هند الفارسي رضه اجتهد في ان لا تفارق باب
سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها
لقدميه قرارا ولا مقاما الهي تقدس رضاك ان يكون له علة منك
فكيف يكون له علة مني رضي الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة
ولذلك امتنع عليها سبقية العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشيء واذا
كانت صفاته العلية منزهة عن ان يكون لها علة منه فكيف يكون
لها علة من غيره فرضي الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه
هما سبب اعمال العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم
باعمال اهل الرضى وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال اهل السخط قال
ابو بكر الواسطي رضه الرضى والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان

على الابد بما جريا في الازل يظهران الرسمين على المقبولين والمطرودين
فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين
بظلمها عليهم فاني ينفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة
والاقدام المنتفخة . انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك
فكيف لا تكون غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضى وكان المولف
قصد في مناجاته بهذه الكلمات الاسترضا والاستعطاف وطلب
المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة واحواله المعلولة وذلك من
احسن المقاصد للداعي الهي ان القضا والقدر غلبني وان الهوى
بوثائق الشهوة اسرني . فكن انت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي واغنني
بفضلك حتى استغني بك عن طلبي . هذا اعتذار واعتراف والله تعالى اكرم
من ان يرد عذر من اعتذر اليه او يخيب امل من اعترف بذنبه واقر به
لديه يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى في الاعتذار والله سبحانه يقول له
عبدي لو لم اقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار قال الكتاني رضه لم يفتح الله تعالى
لسان المومن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك
وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على اعدائه ولم يقتصر على ذلك
بل اضاف اليه طلب النصرة به لكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه
كما قال سيدي ابو الحسن رضه واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا
بينهم وبين اعدائك ثم لم يقتنع بذلك حتى طلب منه ان يغنيه بما
يستغني به عن الطلب منه وهو ما يوليه من فضله العظيم وكرمه

الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما قال سيدي ابو الحسن رضه والسعيد
حقا من اغنيته من السؤال منك أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ
أَوْلِيَائِكَ حتى عرفوك ووحدوك وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ
أَحْبَابِكَ حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا الى غيرك أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ
أَوْحَشَتْهُمُ العَوَالِمُ سبب ايحاش العوالم لهم ما هي عليه من وجود الافتقار والحاجة
والاضطرار فكل واحد منها جالب لنفعه طالب لحظه من كمال نفعه
ووفا بجنسه والله غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده
عطوف عليهم متودد اليهم رؤف بهم فلما شاهدوا هذا كله مشاهدة
يقين ومعاينة اشهاده اياهم لم يتمالكوا اذ احبوه واووا اليه
وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمد انسهم واستغنوا به عن ابنا جنسهم
فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو
النون المصري رضه بينا انا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني امراة
فقالت لي من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله
احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الي عمر بن عبد
العزيز رحه وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا
استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استينا سا من الناس
في كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس
أوحش ما يكونون وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُمُ المَعَالِمُ
لما تولى الله تعو هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة ابان لهم علامات ذلك

ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والادلة انشرحت صدورهم
بانوار الايمان واليقين فلم تداخلهم شك ولم يخالجهم ريب
والمعالم جمع معلم وكانه رضه عرض في هذه الكلمات بالمطلب
الذي بحصوله له يستغني عن الطلب وهو اشراق الانوار في
قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه وهذه
الاربعة مطالب متضمنة لاسنى الرغائب مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ
وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ قد تقدم غير ما مرة ان ما سوى الله تعالى
عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المتحقق انما هو الله عز وجل
فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المولف رضه ههنا وكان حقا
لا مرية فيه قال ابو علي الروذبادي رضه سالني ابو بكر الدقاق رحه
فقال يا ابا علي لم ترك الفقرا اخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت
لانهم مستغنون بالمعطي عن العطا فقال نعم ولكن وقع لي شي
أخر فقلت هات اخذني ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم
الوجود اذا الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذا الله وجودهم وكان
ابو حمزة البغدادي رضه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم انني
من افقر خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بغني عن
غيرك فلا تسد فقري لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ
ابْتَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلاً هذا بين وهو مبني على ما تقدم الان من الكلام
روي الشبلي رضه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك

فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما
لا خسارة اعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم
من خسران لقائي وفي معناه انشدوا ، سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير فقدك ضائع ، وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث
عندنا ثلث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى اقعد من
رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت
بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استانست بسواك ثم يسكت الى
المغرب كيف يرجى سواك وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب
من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان هذا التعجب ممن كان على
هذا الوصف وهو اعجب من كل عجيب والمعنى في ذلك بين يا من اذاق
احبابه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين التملق هو التلطف
في التودد وترتبه على ذوقهم لحلاوة مؤانسته بين ويا من البس
اولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته متعززين استعزازهم بعزته
هو رفع هممهم عن تعليقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به
وذلك لما البسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتاله
قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو
الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب
صغر الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بان
يكون لك بك معك بين يديك انت الذاكر من قبل ذكر الذاكرين

وانت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وانت الجواد
بالعطاء من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب ثم انت لما وهبتنا
من المستقرضين الحق تعالى له الاولية فيما ذكر كما ذكر قال ابو يزيد رضي
غلطت في ابتداء امري في اربعة اشياء توهمت اني اذكره واعرفه
واحبه واطلبه فلما انتهيت رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته
تقدمت معرفتي ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي اولا حتى طلبته فاذا كانت
له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه
ومما يوافق ما ذكره المؤلف ما حكي عن الجنيد رضي في مناجاته يا ذاكر
الذاكرين لما به ذكروه ويا بادي العارفين بما به عرفوه ويا موفق
العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك ومن ذا
الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض العبد من ربه ما وهبه له غاية
في ترفيعه لقدره وابانة لشرفه ووعده ومع ذلك جزيل الثواب عليه
نهاية في اكرامه له وتفضله عليه قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك
ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم
وعدك عليه من العوض اضعافا بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدتان
ان يكونا مشوبتين بالعلل الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك
واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله عز
وجل الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا يتاتى له الاقبال
اليه الا بمنته فلذلك طلب منه ان يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية

التي ذكرناها قبل **الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما ان**
خوفي لا يزايلني وان اطعتك الخوف والرجا حالان يتعاقبان على قلب
العبد واعتدالهما واستواهما هو المطلوب سوا كان العبد في طاعة او
معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا من اعلى مشاهد
العارفين والاوليا وذلك لان منشأهما عندهم انما هو شهود الصفات
المخوفة والمرجوة وصفات الله تع لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتها
لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدته ناقصة
واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة
وغلبة الرجا مع ارتكابه المعصية كما وصف به المولف نفسه قال يحيي
بن معاذ رض الهي رجاي لك مع الذنوب يغلب رجاي لك مع الاعمال
لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزه وانا بالافة معروف
واجدني في الذنوب اعتمد على فضلك وكيف لا تغفرها وانت بالجود
موصوف وقد تقدم من كلام المولف رض من علامة الاعتماد على العمل
نقصان الرجا عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي ابي الحسن رض
الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية قابلتني
بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي
رجاء فليت شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف اجهل فضلك
مع عصيانك ومن كلام سيدي ابي العباس رض العامة اذا خوفوا خافوا
واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في

لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر
فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما
لاهل الله تع واهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان وراء خوفهم وما به خوفوا
اوصاف المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان يوئس
من منته فاحالوا على اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه
وليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من
وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما اظهر من الرجا اختبار العقول لهم
هل تقف مع ظاهر الرجا او تنفذ الى خوف ما بطن في مشيئته فلذلك
استثار خوفهم **الهي قد دفعتني العوالم اليك** انما دفعته العوالم اليه
لما تضمنته من السمات الموحشة ولقد احسن من قال لا وحشة مع
الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا
يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت ۰ بمنظر حسن مذ غبت عن عيني
وقد اوقفني علمي بكرمك عليك اذ الكريم لا تتخطاه امال المومّلين ولا
تتوجه نحو سواه طلبات الطالبين **الهي كيف اخيب وانت املي ام كيف**
اهان وعليك متكلي لما تعلق بالله وتوكل عليه استبعد ان يخيب امله
او يناله هوان يؤوده بجمله **الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام**
كيف لا استعز واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت الذي
في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني تلونه
في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من المشاهدة ما يوجبها

والذلة المثبت فيها هي ذلة الخلقة والعبودية والنسبة التي اشار اليها
هي سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة والاستغنا مثل العزة قال بعضهم
رايت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد
عزي على عزهم وقال الشبلي رضه لقد ذللت حتى عز في ذلتي كل ذي ذل
وتعززت حتى ما تعزز احد الا بي ولمن به تعززت أنت الذي لا اله
غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل
شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء هذا كله قد تقدم
معناه ولفظه في كلام المولف رضه على غاية الكمال والتمام والحاصل منه
ان الظهور التام لله تع بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن ذلك بالعبارة لم يذكرها
فيما تقدم وهي قوله يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش
غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه كانه اشار بهذا الى
معنى قوله تع الرحمن على العرش استوى وقوله تع ثم استوى على العرش
الرحمن ورحمانية الله تع كونه رحمانا والرحمن اسم لله تع يقتضي وجود كل
موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ههنا هي الرحمة العامة التي
وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء في قوله تع مخبرا عن حملة العرش اذ
قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذلك دخل تحت مقتضى اسمه الرحمن
جميع اسمائه تع الالهية ويفهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضاهما
في حق الله تع ان لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره
فلا جرم لما كان الحق تع مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها

في طيه كان العرش غيبا في الرحمانية مندرجا فيها والعوالم كلها غيبا في
العرش لانها في طيه فلا ظهور اذن للعرش ولا للعوالم انما الظهور التام
لله عز وجل محقت الآثار بالآثار كما بين العوالم والعرش ومحوت الاغيار
بمحيطات افلاك الانوار كما بين العرش والرحمانية ومحيطات افلاك
الانوار هي اسماء الله الحسنى والله اعلم يا من احتجب في سرادقات عزه
عن ان تدركه الابصار عزة الله تع اقتضت كون كلما سواه محجوبا عن روية
الله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز
اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره
ولا يسمو الى صمديته فهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز من ضلت
العقول في بحار تعظيمه وحارت الالباب دون ادراك نعته وكلت
الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وذكر
السرادقات مضافة الى عزه واحتجابه بها مجاز حسن يا من تجلى بكمال
بهائه فتحققت عظمته الاسرار كمال بهائه هو محاسن صفاته واسمائه
فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته اسرار العارفين كيف تخفى
وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر والله الموفق
وبه استعين هذا كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما
مرة من كلام المولف رضه وقد نجز بحمد الله ما اردناه وبلغ الغرض
الذي قصدناه ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك

مسّس ما تعدى فی مسائل الکتاب والله تع الهادی للصواب قد
تقدم فی أول هذا التنبیه انی لم اقصد فیه الا هذا المعنی ولم نلتزم کون
ما ذکرنا فیه صحیح المعنی حتی نحتاج نصب الادلة والبراهین علی ما ادعینا
فیه وانما سقنا ذلک علی سبیل حکایة مذهب من المذاهب وللمحکی له
ذلک ان یصححه او یبطله ان احب وما وقع فیه من نوع استدلال علی
مطلب من المطالب فانا فی ذلک متبرع فان صح ذلک الدلیل فهو المطلوب
وان بطل لم یلزم من بطلانه بطلان المدلول وبقی المذهب قابلا للتصحیح
والابطال من غیر ان یتوجه علی مطالبة بذلک والذی حملنی علی سلوک
هذا السبیل ما فیه من وجدان السلامة من الخطر الذی یتعرض له کل من
یتکلم علی طریق التصوف ممن لا تحقیق له فیه ویدعی صحة ما ینظره
بعقله او فهمه وینسب ذلک الی القوم ولعل شیئا من ذلک لا یصح عنهم
فیکون بذلک مفتریا کذابا علیهم ثم فیه من سوء الادب معهم والتقدم بین
ایدیهم ما لا یقوم له شیء وعند ذلک یکون الخرس والبکم وذهاب الحس
والحرکة اولی به واحمد عاقبة له لتخلصه بذلک من شر لسانه وبنانه ثم
ان ما قصدناه من ذلک لا یمنع من حصول الفائدة لمن اراده الله تع بها
ووفقه لها فعلی العبد ان یعمل علی خلاص نفسه ولا یلزمه اتباع مرضاة غیره
فقد قیل رضی الناس غایة لا تدرک ونحن نرغب الی من وقع بیده هذا التالیف
وظهر له فیه خطأ وتحریف ان یصلح منه ما الفاه معتلا وان ینتهج من الاعتدال
عنه الطریقة المثلی فان ظهر له ان یضع فی ذلک تالیفا یتضمن تنبیهها وتعریفها

فذلک من المذاهب التی ترتضی ومن لم یزل من شان من قد مضی
ونحن نستغفر الله تع مما یعلمه منا من التعدی والجراة فیما تعرضنا له من
بیان کلام الاولیا والراسخین من العلما وتقریر عباراتهم واشاراتهم من غیر
اطلاع منا علی کنهها ولا البصیرة فیها ونستغفره ایضا مما اقدمنا علیه
من اظهار ما ستروه واعلان ما اسروه ونستغفره ایضا مما وقع منا فیه
من ذکر احوال الاولیاء ومقاماتهم وتحریضنا علی سلوک طریقهم المستقیم
مع افلاسنا من جمیع ذلک وعدم احتظائنا به ونساله مع ذلک
ان لا یواخذنا بما انطوت علیه ضمائرنا واکنته سرائرنا من انواع القبائح
والمعائب التی یعلمها منا ولا نعلمها او نعلمها ولا تسمح نفوسنا
بالسعی منها والتنزه منها اغترارا منا بحلمه واستهانة منا بنظره
وعلمه ونرغب الیه جل وعلا ان یمن علینا بتوبة تمحو عنا کل حوبة
حتی تنقلب اعداؤنا عنا خائبین خاسرین داخرین صاغرین لم
ینالوا من تحقیق ارادتهم فینا مطلبا ولم یبلغوا من عدم اسعافه
ایانا لما طلبناه منه مأربا وان یشمل معنا فی ذلک کل من امن
علی دعائنا ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله من اخواننا المسلمین ونتوسل
الیه فی بلوغ هذا الامل والوصول الی المبتغی الاجل بمن صرفنا به
عن تولی کل جحود وکفور واخرجنا علی یدیه من الظلمات الی النور
سیدنا محمد خاتم النبیین وامام المرسلین وحبیب رب العالمین
صلی الله علیه وعلی اله الطیبین الطاهرین واصحابه البررة الاکرمین

وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بكاملت نعم السرور لصاحبه

وعفا الاله بفضله وبجوده عن كاتبه

الفقير محمد بن نجم الدين الصالحي

شهرة والدمشقي انسبا والاشعري

معتقدا والشافعي مذهبا

عفا الله عنه وعن

سائر المسلمين

امين

وكان اتمامه صبيحة يوم الجمعة الغرا ثالث شهر ربيع الاول سنة

قال بعض الفضلاء يجب على الانسان ان يحمد الله تعالى في ثمانية اوجه الاول انه اوجده من العدم الثاني انه خلقه حيوانا ولم يخلقه جمادا الثالث انه خلقه ناطقا ولم يخلقه غير ناطق الرابع انه خلق ذكرا ولم يخلقه انثى الخامس ان جعله مسلما ولم يجعله كافرا والسادس ان جعله سنيا ولم يجعله بدعيا السابع ان جعله من اهل العلم ولم يجعله من اهل الجهل الثامن ان وفقه لمعرفة هذا الرب الكريم

قلت ولك ان تزيد على هذه الاوجه مجال للمعتبر كالعافية للبدن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

فالحمد لله على النعم حررت من شرح منية المصلي لابن امير الحاج من مجلده بخط مصنفه

اكرم بنسخة بالسعد طالعها يا فوز من قد غدا يوما يطالعها

اوج المنازل قد حلت مطالعها يا حسن نسخة يتلو محاسنها

ما قد حوت من فرائد الحكم

تدعو لمن زل حيث الندم سكت وكم حوت حكما بين الورى ونكت

عبد اللطيف حوت لطفا به ذكرت صحت وقد لطفت آدابها فحكت

لطف النسيم وحاشاها من السقم

ترجمة صاحب الحكم ابن عطاء الله الاسكندراني

وفي سنة تسع وسبعماية توفي الشيخ تاج الدين احمد بن عطاء الله الاسكندراني الامام المتكلم على طريقة الشاذلي كان جامعا لانواع العلوم من تفسير وحديث واصول وفقه على مذهب مالك وصحب في التصوف الشيخ ابا العباس المرسي وكان اعجوبة زمانه وله تصانيف منها التنوير في اسقاط التدبير والحكم ولطائف المنن في مناقب ابي العباس والشيخ ابي الحسن مدفون بقرافة مصر

قال الشيخ مويد الدين الجندي في وحدة الوجود

البحر بحر على ما كان في قدم ان الحوادث امواج وانهار

لا يحجبنك اشكال تشاكلها عمن تشكل فيها فهي استار

فارسي لملا جامي

موجهائي كه بحر هستي راست جمله در آب حباب بود گر چه آب و حباب باشد دو در حقيقت حباب آب بود

پس از اين روي هستي اشيا راست چون هستي سراب بود

محيي الدين عربي حقنده مدح ايدنلر دره و معاصرلر در رحمهم الله تعالى [illegible]

[illegible]

امام فخر رازي محمد بن عمر بن حسين الرازي والشيخ عز الدين ابن عبد السلام والشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي

وقاضي القضاة القاضي شمس الدين الخونجي والشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي وقاضي القضاة المكية الحافظ ابن عساكر

وابن النجار وابن الدبيثي وقاضي القضاة ابي يحيى زكريا بن محمد بن محمود الانيسي القزويني والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني

و ذم ايدرك بعضنده توقف ايدنلر در رحمهم الله تعالى

كالشيخ ابي الحسن علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي اليمني والشيخ عماد الدين ابن كثير الدمشقي والشيخ عبد الله بن اسعد اليافعي

والشيخ محيي الدين سبط ابي الفرج ابن الجوزي البغدادي

ترجمة محيي الدين ابن العربي محيي الملة والدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي الحاتمي الطائي

الاندلسي المشهور بابن العربي ولد ليلة الاثنين سابع عشر شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة وتوفي رحمه الله بدمشق

ليلة الجمعة الثامنة والعشرين سنة ثمان وثلثين وستمائة كان لجنازته يوم مشهود ووقت محمود

صاحب دمشق راجلا مع جمهور الامراء والوزراء والعلماء والفقراء ولم يبق بدمشق احد الا شيعه

والناس فيه ثلث فرق في الدر الثمين لابن زاده رحمه الله تعالى

من الدر الا عن جياد الكواعب والا استقي سواها في العواقب

وخذ دهن لب الجوز ثم ارم قشره وكن عند نهما قيل ما ذا الجانب

ولا تسرعن ان كان بيتك سائل

كيف الوصول الى السعاد ودونها

قلل الجبال ودونهن حتوف

الرجل حافية وما لي مركب

والكف صفر والطريق مخوف